وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل



الاسم/ طارق حامد

تاريخ الوطن العربي الحديث و المعاصر






الفصل الاول

الوطن العربي تحت السيطرة العثمانية

قيام الدولة العثمانية في الاناضول والتوسع العثماني نحو الغرب :

لم تكن الامارة العثمانية سوى واحدة من الامارات التي ظهرت في الأناضول وعلى حدود الدولة البيزنطية في القرن الثالث عشر الميلادي ومن هذه الامارات منتشا وصاروخان وقرمان وكرميان وقره سي وحميد . وقد سعت هذه الامارات التي عرفت في التاريخ العثماني باسم « امارات الغزاة » للتوسع على حساب الأراضي البيزنطية والعمل على نشر الاسلام .

وكان من حسن حظ العثمانيين ان موقعهم الجغرافي في شمال غرب الأناضول على الحدود البيزنطية قد ساعدهم على تولي مسؤولية حماية الثغور الاسلامية ، كما ان انشغال بيزنطة آنذاك بكثير من القلاقل والفتن الداخلية في العاصمة وفي البلقان ، وبالصدام المستمر مع اعدائها من امارات الثغور الاسلامية الأخرى الواقعة على حدودها أمثال كرميان وقره سي ، سهل على العثمانيين التفرغ لتوسيع امارتهم . فسقطت بايديهم بورصة سنة ١٣٢٦ ونيقيا سنة ١٣٣١ ونيقوميديا سنة ١٣٣٧ . ثم جاء سقوط القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية بيد السلطان محمد الثاني المعروف بالفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) في ٢٩ آيار ١٤٥٣ بداية لمرحلة جديدة من تاريخهم . اذ اخذت قدرتهم العسكرية تزداد ، وتحتم عليهم متابعة التوسع باتجاه اوربا الوسطى والشرقية .

وفي عهد السلطان سليم الاول الذي تولى الحكم سنة ١٥١٢ ، حدث انقلاب في ستراتيجية الدولة العثمانية . اذ توقف زحفها على حساب الغرب الاوربي إو كاد واتجهت نحو الوطن العربي ويبدو ان الاحداث التي وقعت في الشرق أوائل القرن السادس عشر هي التي جذبت الدولة العثمانية الى الوطن العربي . ومن ابرز هذه الأحداث ظهور

الدولة الصفوية في ايران والغزو الاستعماري الاوربي للوطن العربي . وسنتعرض في هذا الفصل الى نشأة الدولة الصفوية ليسهل علينا فهم دوافعها التوسعية واسباب صراعها مع الدولة العثمانية بعد ان تاخمتها وأثر ذلك في مستقبل الوطن العربي .

ظهور الدولة الصفوية في ايران والتحول العثماني نحو الشرق :

نشأت الدولة الصفوية في فارس اولاً كحركة دينية وسط الاضطراب الذي عم ايران في اعقاب السيطرة المغولية عليها . ومؤسس الحركة الشيخ اسحق صفي الدين المتوفي سنة ١٣٣٤ . وقد انتقلت المشيخة بعد وفاته الى خوجا علي بن حيدر الذي اتصل بالقائد المغولي تيمورلنك خلال غزوه للمنطقة وتعاون معه ، فاوقف عليه هذا اردبيل القريبة من بحر قزوين . لذلك تمركزت الحركة هناك ثم اخذت في الانتشار . وحين انتقلت المشيخة الى جنيد سعى لتحويلها الى حركة سياسية متخذاً القوة اداة لنشرها . وقد ارتبط جنيد بأواصر المصاهرة مع اسرة اوزون حسن (حسن الطويل) مؤسس الامارة الآق قونيلية (اي امارة الخروف الابيض) وهي امارة تركمانية ضمت العراق واذربيجان بين سنتي ١٤٦٧ و١٥٠٨ فاكتسب بهذا الزواج قوة كبيرة ، واصبح للحركة الصفوية ابعاد سياسية واضحة .

أما حفيده حيدر فيعد منظم قوات الصفويين العسكرية . وفي وقت لاحق بعد مقتله في احدى المعارك المحلية ، تولى قيادة الحركة الشيخ اسماعيل الصفوي الذي سيطر على اذربيجان ودخل تبريز وجعلها عاصمة له بعد أن كانت عاصمة لدولة آلاق قونيلو ، ثم اتخذ لنفسه لقب شاهنشاه ايران وسط مراسيم مفخمة . وقد استخدم الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٠-١٥٢٤) التعصب الطائفي وسيلة لغرض هيمنته على ايران . وللوصول الى هدفه هذا استند الى بضعة مظاهر سطحية استحدثها في عصره وبعثها من جديد . ومن ذلك اتخاذه سب الخلفاء الراشدين الثلاثة الاول وسيلة لامتحان الايرانيين ، فمن يسمع السب منهم يجب عليه ان يوافق على ذلك ، واذا امتنع قطعت رقبته . وقد ازداد عدد ضحاياه على عشرات الألوف من الناس . كما اكد على ضرورة المبالغة في الاحتفالات الدينية .

أدت خطوة الشاه اسماعيل تلك الى تأجيج الصراع في العالم الاسلامي حتى باتت كل من الدولة الصفوية والدولة العثمانية تدعي احقيتها في تزعم العالم الاسلامي وتتستر وراء الدين والمذهب لتحقيق اهدافها التوسعية .

تطلع الشاه اسماعيل بعد ان قضى على دولة الآق قونيلو الى العراق ويبدو ان اوضاع العراق السياسية والاقتصادية المتدهورة انذاك ، كانت مشجعة للتوسع الصفوي والعراق الى جانب هذا يعد بوابة الوطن العربي الشرقية ، والسيطرة عليه تفتح المجال للتوسع الصفوي الفارسي . هذا فضلاً عن مركز العراق الديني المتمثل بوجود العتبات والمراقد المقدسة فيه .

قام الشاه اسماعيل الصفوي بالسيطرة على العراق سنة ١٥٠٨ وبهذا اصبحت الدولة الصفوية متاخمة الدولة العثمانية . وسرعان ما اعلن السلطان سليم الأول نفسه حامياً العثمانية للمسلمين وزعيماً لهم . واستحصل على فتوى تجيز له محاربة الصفويين .

لم يكن الاختلاف المذهبي سبباً للصراع والحرب بين الدولتين العثمانية والصفوية . كما يشير بعض المؤرخين انما يمكن ان نرد الصراع الى موافقة سياسة التعصب المذهبي للنوايا التوسعية لكل من الشاه اسماعيل والسلطان سليم . وليس ادل على ذلك ان الشاه تعاون مع الدولة المملوكية في مصر والشام وامارة ذي القدر شمال بلاد الشام وملك جورجيا ضد الدولة العثمانية وتعتمد سياسة المحالفات هذه العامل المذهبي . فالدولة المملوكية كانت تعد نفسها حامية الحرمين الشريفين ، كما ان ملك جورجيا كان مسيحياً . وكان هدف الشاه من سياسة المحالفات عزل الدولة العثمانية عن جاراتها ، ولايمكن ان ننسى العوامل الاقتصادية المتمثلة بتجارة الحرير والتوابل التي اصبحت في القرن السادس عشر اكثر اهمية لكونها مصدراً للدخل في كل من الدولتين العثمانية والفارسية . ففي الوقت الذي كانت فيه ايران تعتمد على تجارة الحرير في صادراتها الى الغرب . وتقوم بمقابلته بالسلاح والذهب ، فان الدولة العثمانية عمدت الى الحيلولة دون قيام ايران بتصدير الحرير ، وبالتالي تخفيض مدخولاتها ومنعها من تحقيق اطماعها التوسعية .

وفي صيف ١٥١٤ جرت معركة جالديران (عند واد يبعد عن تبريز قرابة مئة ميل وفي منطقة جبلية تقع على الحدود الغربية لأيران اليوم) ، بين الجيشين العثماني والفارسي . وقد استطاع السلطان سليم احتلال مدينة تبريز عاصمة الدولة الصفوية ، ولم يشأ السلطان التغلغل داخل ايران لصعوبات تتعلق ببعد المواصلات والحصول على المواد التموينية . اما خطة الشاه اسماعيل فكانت تقوم على اساس جر الجيش العثماني الى داخل الاراضي الايرانية . جرح الشاه اسماعيل وفر من المعركة الى دركزين في شمال همدان ، وكان هذا عاملاً مساعداً في ترجيح كفة الحرب لصالح العثمانيين ، بالاضافة الى التفوق العسكري العثماني وخاصة في مجال المدفعية . وقد بلغت خسارة الطرفين قرابة خمسة الاف شخص

وعندما علم الشاه اسماعيل بانسحاب العثمانين من تبريز عاد اليها ثانية وباشر في اعادة تنظيم جيشه ودولته .

ان معركة جالديران لم تحسم الصراع العثماني – الفارسي ذلك ان الموقف العسكري ، كما يشير الى ذلك ارنولد توينبي في كتابة دراسة للتاريخ ، ظل مائعاً راكداً اذ لم يؤد الى انهيار احدى الدولتين ، بل اتضح لهما ان سقوط احداهما سقوطاً مباشراً أمر يتعذر ولذا كان لابد من اللجوء الى وسيلة جديدة ، الا وهي محاولة احدى القوتين الكبيرتين قلب ميزان القوى لصالحها بنقل الصراع الى خارج ايران ، أو الاناضول . وان يجد هذا الصراع لنفسه مجالاً في المناطق الواقعة بينهما ولم تكن تلك المناطق سوى الاقطار العربية .

– السيطرة العثمانية على اقطار المشرق العربي :

كان الوطن العربي في اعقاب سقوط الدولة العربية الاسلامية على يد المغول سنة ١٢٥٨ يتألف من جزأين المشرق العربي ويضم الشام ومصر والحجاز واليمن والعراق واقطار الخليج العربي . والمغرب العربي ويضم ليبيا وتونس والجزائر ومراكش . ولقد عانى المشرق العربي من التمزق السياسي والتدهور الاقتصادي . وكان المماليك يحكمون الجزء الغربي من المشرق العربي وذلك منذ ان انتزع المماليك السلطة من الايوبيين في منتصف القرن الثالث عشر . وبعد تغير طرق التجارة واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحول تجارة اوربا مع الشرق الى هذا الطريق الجديد بدلاً من مرورها بمصر ، عانت الدولة المملوكية تدهوراً في اوضاعها الاقتصادية . اذ فقد المماليك مورداً مالياً كبيراً كانوا يحصلون عليه من الضرائب المفروضة على البضائع التي كانت تنقلها القوافل عبر اراضيهم . وقد وقع عبء هذا التدهور على عاتق الطبقات الشعبية الكادحة من اصحاب حرف ومزارعين ، اذ فرضت السلطة المملوكية الضرائب الفادحة التي كانت موضع استياء الشعب انذاك .

اما الجزء الشرقي من المشرق العربي والمتمثل بالعراق فقد كان تحت الاحتلال الفارسي منذ سنة ١٥٠٨ . وقد تدهورت اوضاع سكانه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة لسياسة الاهمال التي اتبعها الفرس ، فقد كثرت الاوبئة واهملت مشاريع الري وظل نظام الاراضي يعاني كثيرا من الفوضى .

اتجه العثمانيون بعد انتصارهم في موقعة جالديران سنة ١٥١٤ للتوسع على حساب دولة المماليك في بلاد الشام خاصة بعد ان شعر العثمانيون بانهم اصبحوا القوة الوحيدة القادرة على مواجهة الخطر الاستعماري الاوربي الذي بات يهدد العالم الاسلامي انذاك وكانت حجة العثمانيين في الاصطدام بالمماليك ، ان امارة ذوالقدر ، وهي امارة تركمانية صغيرة تأسست في منتصف القرن الرابع عشر وتقع في الجنوب الشرقي من الاناضول على الحدود الشامية وعاصمتها مرعش قد تعاونت مع دولة المماليك . وعرقلت سير القوات العثمانية اثناء تقدمها لمحاربة الايرانيين . وهكذا وقعت الحرب بين الدولتين . وجرت معركتها الحاسمة على ارض سوريا في سهل مرج دابق في ٢٣ آب ١٥١٦ الى الشمال من مدينة حلب وكان السلطان سليم الاول يقود الجيش العثماني . اما الجيش المملوكي فكان بقيادة السلطان قانصوه الغوري (١٥٠٠–١٥١٧) ووضح منذ اللحظة الاولى للمعركة انه ليس ثمة تكافؤ بين الطرفين في مجال التنظيم وادارة الحرب ونوعية الاسلحة المعتمدة وكان لخيانة قائدين مملوكين للسلطان الغوري وهما خايربك نائب حماه وجان بردي الغزالي نائب حلب وتبادلهما الرسائل سراً مع السلطان سليم اثر كبير في هزيمة المماليك ومقتل السلطان الغوري وانسحاب بقية القوات المملوكية المنهزمة الى مصر وملاحقتهــا والاشتباك معها على مشارف القاهرة عند الريدانية في ٢٣ كانون الثاني ١٥١٧ . وقد انتهت المعركة بهزيمة المماليك ودخول العثمانيين مدينة القاهرة في اليوم السادس والعشرين من الشهر نفسه وبذلك هوت الدولة المملوكية التي امتد حكمها من سنة ١٢٥٠ وحتى سنة ١٥١٧

وكان من الطبيعي ان يتبع سقوط دولة المماليك سقوط الحجاز واليمن . وذلك لان المماليك كانوا اصحاب السيادة عليهما . وقد اعلن زين الدين بركات بن محمد الحسني شريف مكة (١٤٩٧–١٥٢٥) ولاءه للسلطان العثماني وارسل وفداً برئاسة ابنه ابي نمي الى القاهرة في ٣ تموز ١٥١٧ ليلقي بين يدي السلطان سليم بمفاتيح الكعبة وبعض الآثار النبوية الشريفة اقراراً له بالسيادة على الحجاز . كما ارسل اسكندر الجركسي حاكم اليمن المملوكي وفداً آخر ليقدم فروض الولاء للسلطان العثماني الذي وافق على ابقائه في منصبه . الا ان الصراعات الداخلية بين القادة المماليك انفسهم من جهة وازدياد نفوذ الامامة الزيدية في الجبال من جهة اخرى جعلت السيطرة العثمانية في اليمن ضعيفة ، هذا فضلاً عن الخطر البرتغالي الذي كان يهدد السواحل اليمنية مباشرة .

اما العراق ، فقد سيطر العثمانيون على الموصل والمناطق المجاورة لها بعد انتصار السلطان سليم الاول في جالديران . اذ أبقى فرهاد باشا احد قواده لاكمال احتلال الولايات

المتاخمة للحدود العثمانية . وقد أمر فرهاد باشا بيقلر محمد باشا بالسيطرة على الموصل وأربيل وكركوك وقد تم احتلالها سنة ١٥١٥ . غير ان الحكم العثماني في هذه المناطق ظل قلقاً بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السلطان من العثمانيين انذاك .

اما العراق الأوسط والجنوبي . فقد بقي تحت الاحتلال الفارسي . وقد أعد السلطان سليم الأول حملة لاحتلال العراق وطرد الفرس الصفويين لكن المنية عاجلته سنة ١٥٢٠ وعندما تبوأ السلطان سليمان القانوني العرش (١٥٢٠ ١٥٦٦) وضع في منهاجه توجيه ضربة قوية الى الدولة الصفوية عن طريق السيطرة على العراق والذي يمكن ان تتخذه الدولة العثمانية ، فيما بعد كقاعدة للانطلاق نحو الخليج العربي تعزيزا لجهودها في مواجهة البرتغاليين في البحرين الاحمر والعربي .

لقد حاول السلطان سليمان القانوني في بداية الأمر تنفيذ احتلال العراق باستماله بعض حكامه المحليين . ولكن هذه الخطوة كانت سبباً في جعل العراق ساحة للصراع العثماني – الفارسي . وكاد السلطان سليمان يحقق هدفه بالسيطرة على العراق حين اعلن ذو الفقار علي بيك نفسه حاكماً على بغداد . وعزل عمه ابراهيم خان موصلو : وتقرب من العثمانيين واظهر الولاء لهم . الا ان الشاه طهماسب الذي تولى الحكم بعد ابيه اسماعيل الصفوي سنة ١٥٢٤ قام بهجوم كبير على بغداد سنة ١٥٣٠ وتمكن من قتل ذو الفقار واخماد حركته واعادة العراق الى الحكم الفارسي ثانية .

شجعت هذه الاحداث السلطان سليمان القانوني الذي تحرك في سنة ١٥٣٤ بجيش كبير متجهاً نحو تبريز ثم همدان وعبر جبال زاكروس وتوجه غربا نحو بغداد . وقد انسحبت الحامية الفارسية منها اثر سماعها بانباء وصول الجيش العثماني ، وهكذا دخل السلطان سليمان القانوني بغداد في ٣٠ كانون الاول ١٥٣٤ . وقد اعقب احتلال العراق امتداد النفوذ العثماني الى منطقة الخليج العربي : اذ صارت البصرة بعد تأكيد السيطرة العثمانية الفعلية عليها سنة ١٥٤٦ القاعدة الثانية بعد السويس وقد بدأ الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين حوالي سنة ١٥٥٠ عندما اعلن اهالي القطيف ولاءهم للعثمانيين وفي ١٥٥١ ارسل السلطان العثماني قائد البحر بيري بك على رأس اسطول يتألف من ثلاثين سفينة لاحتلال عدن . وقد واصل العثمانيون جهودهم في تركيز سيطرتهم في الخليج العربي والسعي لكسر الطوق البرتغالي على التجارة فيه . فاسندت قيادة الاسطول العثماني في مصر سنة ١٥٥٣ الى سيدى علي الذي اصطدم باسطول برتغالي قرب مسقط لكنه فشل في تحقيق اهدافه .

وبعد حملة سيدي علي ارسلت الى الخليج العربي بضع حملات عثمانية الا انها لم تحقق اكثر من احتلال مؤقت للبحرين سنة ١٥٥٩ ولمسقط سنة ١٥٨١ وفي كلتا الحالتين اجبرتها الاساطيل البرتغالية على الانسحاب ولقد تولت دولة اليعاربة في عمان منذ قيامها سنة ١٦٢٤ مسؤولية الصراع مع البرتغاليين ونجحت في عهد حكامها الاوائل وخاصة ناصر بن مرشد ١٦٢٤ ١٦٤٩ وسلطان بن سيف ١٦٤٩ ١٦٦٨ في القيام بحركة تحريرية كبرى شملت الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية وكان ميناء كنجان الصغير على الشاطئ الشرقي للخليج العربي اخر معقل للبرتغاليين دمره العمانيون سنة ١٦٩٥ .

ان اسباب عدم نجاح العثمانيين نجاحا تاماً في كفاحهم ضد البرتغاليين يرجع الى عدم كفاءة بعض قادتهم البحريين وقيامهم باعمال تعسفية ازاء السكان العرب . وصعوبة تجهيز وادامة اسطولهم بما يكفي لمواجهة الاساطيل البرتغالية المحيطية الكبيرة وانشغالهم في هذه الفترة بالحروب البرية الطويلة ضد الامبراطورية الرومانية المقدسة وضد الصفويين .

٢ – السيطرة العثمانية على اقطار المغرب العربي :

اخذت الدولة العثمانية على عاتقها مهمة انتزاع السيادة البحرية من الدول الاوربية على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وذلك لمواجهة الاطماع الاستعمارية الاسبانية والبرتغالية في اقطار المغرب العربي ، خاصة بعد ان احتل الاسبان مرفأ عنابة سنة ١٤٦٣ ومدينة المرسى الكبير في غربي الجزائر سنة ١٥٠٥ ومدينة وهران سنة ١٥٠٩ ومدينة بجاية سنة ١٥١٠ ومدينة الجزائر سنة ١٥١١ . وكان لظهور دولة اسبانيا الحديثة الموحدة اثر زواج فرديناند الخامس الكاثوليكي بالملكة ايزابيلا الاولى ملكة قشتالة الكاثوليكية اثر كبير في توجيه انظارهم نحو المغرب العربي . اذ لم يقنع الاسبان بالقضاء على الوجود العربي في الاندلس ، وانما هدفوا الى مطاردة العرب في شمال افريقيا والوصول الى مصادر ثروتهم الاساسية في ذلك الوقت والمتمثلة باحتكار التجارة .

لقد عاصرت مشروعات الدولة العثمانية في منطقة المغرب العربي . ظهور حركة عامة بين قادة البحر المغاربة تستهدف العمل على حماية موانيهم وسواحلهم من الاطماع الاوربية ، والعمل على تأمين وصول المهاجرين العرب من الاندلس . وكان من ابرز اولئك

القادة البحاران المغربيان عروج بن يعقوب واخيه خير الدين المعروف ببارباروسا (اي ذو اللحية الشقراء) اللذان كانا يمتلكان اسطولاً قوياً يعمل في البحر المتوسط .

وكان للقصص التي يتداولها الناس عن جرائم الاسبان ضد عرب الاندلس والمخاطر التي يتعرضون لها عقب خروجهم من الاندلس . وخاصة خطر وقوعهم اسرى لدى القراصنة الاوربيين من الاسباب التي جعلت عروج واخيه خير الدين يوجهان جزءاً من نشاطهما للعمل على انقاذ العرب الاندلسيين عن طريق تأمين ايصالهم الى المغرب العربي لذلك انجهت الانظار اليهما ، وكانت بجاية في طليعة المدن التي استنجدت بالاخوين لتحريرها من اسبان . وربما كان ذلك بسبب كونها انذاك اكبر ميناء في شرقي الجزائر . وقد لبى الاخوان الدعوة ، لكنهما اخفقا في تحريرها بسبب مناعة حصونها ، لذلك أحس الاخوان بضرورة البحث عن قاعدة جديدة لنشاطهما ، فوقع اختيارهما على ميناء جيجل الجزائري الذي يقع على بعد (١٠٢) كم غرب بجاية ، وقد تمكن الاخوان من تحريره وجعله مركزا لنشاطهما .

اتصل عروج بعد تحرير جيجل بالسلطان سليم وارسل اليه جزءاً من الغنائم وشرح له طبيعة المخاطر التي كان يتعرض لها المغرب العربي ، وبين له حاجته الى الدعم والتأييد . وقد بعث السلطان سليم الى عروج اسطولا مؤلفا من (١٤) سفينة مع امدادات من الرجال والسلاح والذخيرة . وقد استطاع الاخوان تحرير ميناء الجزائر في اواسط ١٥١٦ ثم اتجها نحو تلمسان وتناس والمدية وميليانه في جنوب مدينة الجزائر لتحريرها من السيطرة الاسبانية .

وبعد مقتل عروج سنة ١٥١٨ ، ادار خير الدين الصراع ضد الاسبان . وادرك منذ البداية ضعف موقفه السياسي وضآلة امكانياته العسكرية ، لذلك ارسل بعثة الى استانبول ترأسها ابو العباس بن أحمد بن قاضي الزواوي يطلب فيها المساعدة من العثمانين . وقد رحب السلطان سليم بالبعثة وارسل اليه في سنة ١٥١٨ قوة قوامها ستة الاف رجل بمدافعهم وعتادهم الحربي . وقد نجح خير الدين في اقتحام مدينة تونس في ١٨ نيسان ١٥٣٤ . كما وضع خطة للاستيلاء على طرابلس وفي ١٨ ايلول ١٥٥١ نجحت السفن العثمانية في احتلالها . اما اقليم فزان فقد اعلن زعماءه من اسرة بني محمد ولاءهم للعثمانيين . هكذا وقع المغرب العربي تحت السيطرة العثمانية باستثناء مراكش الواقعة في الركن الغربي من المغرب ، والتي ظلت بعيدة عن متناول العثمانيين وحكمهم المباشر وذلك بسبب تنامي قوة الدولة السعدية الناشئة منذ منتصف القرن السادس عشر وظهور شخصية المنصور السعدي الذي سعى للمحافظة على استقلال مراكش .

الادارة العثمانية للاقطار العربية :

اهتم العثمانيون منذ بدء سيطرتهم على الوطن العربي في القرن السادس عشر ، والتي استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ ، بتثبيت دعائم حكمهم وتنظيم الادارة والمجتمع مستندين في ذلك الى مصدرين اساسيين اولهما النظم التي كانت متبعة في مختلف انحاء الدولة العثمانية . وثانيهما النظم التي كانت سائدة في الاقطار العربية قبل احتلالهم لها ، ولقد اصبحت الاقطار العربية بعد خضوعها للسيطرة العثمانية وحدات ادارية سميت بالايالات ثم ابدلت التسمية الى مصطلح الولايات ، وتنقسم الولاية الى سناجق (الوية) والالوية الى اقضية ، والاقضية الى نواح . وكان على رأس الادارة في الولاية . الوالي وفي كل لواء « متصرف » وفي كل قضاء « قائمقام » وفي كل ناحية « مدير ناحية » وفي كل قرية « مختار » . وقد بلغ مجموع الولايات العربية خلال العهد العثماني (١٢) ولاية و(٤) متصرفيات مستقلة وهذه الولايات هي : ولاية الحجاز ، ولاية بيروت . ولاية اليمن . ولاية البصرة ، ولاية بغداد ، ولاية الموصل ، ولاية حلب ، ولاية سوريا ، ولاية الجزائر ، ولاية طرابلس الغرب ، ولاية تونس ، ولاية مصر ، اما المتصرفيات فهي متصرفية القدس ، متصرفية بنغازي . متصرفية دير الزور ، متصرفية جبل لبنان ، وترتبط هذه الولايات والمتصرفيات بالعاصمة استانبول .

لم يكن للعرب طيلة الفترة العثمانية كيان سياسي خاص بهم ، ولم يمارسوا بصورة عامة اية سلطة سياسية مباشرة . ولكن هذا لم يمنع العثمانيين من مراعاة الفوارق الدينية والمذهبية والعرقية . اذ لم يحاولوا في بداية الامر التغلغل في حياة السكان طالما حافظوا على ولائهم للحكم العثماني . وكان المجتمع مقسماً الى طبقتين : الاولى وهي

الأكثرية وتضم المنتجين للثروة . من العمال والفلاحين والحرفيين وهم يدفعون الضرائب للحكام . أما الطبقة الثانية فهم الحكام ويمثلون الاقلية ولا يدفعون الضرائب ولا يقومون بأي عمل انتاجي ، وانما ينصرفون لجمع الاموال ويستخدمونها في دعم سلطتهم . ومن هنا يمكن القول ان السطحية كانت من ابرز خصائص الحكم العثماني . وان هذه السطحية قد جعلت الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية خارج مسؤوليات الحكومة العثمانية ومن مسؤوليات السكان . أما واجبات الدولة العثمانية فقد انحصرت في حفظ النظام وحماية الدولة من الخطر الخارجي وتنظيم استثمار الثروة التي تعود الى السلطان العثماني الذي يعد الرئيس الأعلى للدولة والجيش ويشترط فيه ان يكون من الاسرة المالكة العثمانية التركية الاصل وقد تمتع السلطان بسلطة عسكرية ومدنية مطلقة . ويلي السلطان

« شيخ الاسلام » وهو الرئيس الاعلى للعلماء . وهناك « الصدر الأعظم » أي رئيس الوزراء وكان يقوم باعانة السلطان في اصدار القوانين وادارة البلاد ، ويطلق على الحكومة المركزية للدولة اسم « الباب العالي » . ويتولى الشؤون الخارجية « ريس افندي » وهو بمثابة وزير الخارجية . وكان ثمة ديوان مركزي يترأسه السلطان ويضم كبار رجال الدولة المدنيين والعسكريين وعلماء الدين . وهذا الديوان يناقش المسائل ويخطط السياسة العامة للدولة . وكان السلطان يواظب على حضور جلساته ولكن بعد عهد السلطان سليمان القانوني تلكأ السلاطين في حضور جلساته واكتفوا بالسماع الى ما كان يدور فيه من مناقشات ، فكان ذلك من اسباب تدهور الدولة العثمانية .

واعتمدت الدولة العثمانية على المؤسسة العسكرية لتحقيق اهدافها في التوسع والسيطرة على الاقطار العربية . وتألفت المؤسسة العسكرية العثمانية من نوعين من القوات : القوات الاقطاعية والقوات الانكشارية . فاما القوات الاقطاعية فان جذور تأسيسها يرجع الى المراحل الاولى في نشأة الدولة العثمانية ، حين اعتمدت على النظام الاقطاعي وهدفت من ورائه تحقيق امرين اثنين اولهما : تأمين الرزق لفئات متعددة من الجند بدلاً من تخصيص رواتب لهم ، فقد كانوا يجهزون انفسهم ويتقدمون الى ميادين القتال . اما الامر الثاني ، فهو ان هذا النظام ساعدهم في تهيئة مايحتاجونه من الجند في حركات التوسع العثمانية . وقد شكلت قوات الفرسان الاقطاعية نواة الجيش العثماني .

اما النوع الثاني من القوات التي اعتمد عليها العثمانيون في ادارة عملياتهم التوسعية فهي القوات الانكشارية . وقد ظهرت الحاجة الى هذا النوع من القوات بعد ان فقدت القوات الاقطاعية اهميتها ، وصار من الصعب جداً الاعتماد عليها في اماكن بعيدة عن مواضع اقطاعاتها . ومما ساعد العثمانيين على انشاء الجيش الجديد « يني جري » ثم طور بعدئذ ليكون الانكشارية تلك الاعداد الكبيرة من الاسرى المسيحيين الذين حصلوا عليها خلال عمليات توسعهم في اوربا . فقد كانت العادة المتبعة هي تخصيص خمس الاسرى للدولة وتحويلهم الى جنود يعملون في بناء الامبراطورية . وكان لارتباط الجيش الانكشاري بالطريقة البكتاشية . وهي طريقة صوفية باطنية شاعت بين قبائل الاناضول منذ منتصف القرن الثالث عشر . وكان الشيخ البكتاشي يتقدم القطعات الانكشارية عند السير نحو الحرب شاهرا سيفه ، ومن هنا اصبح كل نصر يناله الانكشارية يعزى الى ذلك الشيخ وبركاته . وليس من شك في ان هذا الارتباط ساعد الى حد كبير على تقوية سمعة الجيش الانكشاري الذي اصبح في نهاية القرن الخامس عشر القوة العسكرية الضاربة للدولة العثمانية . فلقد اعتاد السلاطين بعد احتلالهم الاقاليم تثبيت حامية من الانكشارية في مركز كل ولاية . وكان (اغا) الانكشارية بمثابة القائد العام للحامية العسكرية في الولاية وقد اخذ الجيش الانكشاري بالتدهور بعد ان دخلت فيه عناصر لاتتقن صنعته الجندية . وقد قاسى الاهالي منهم الكثير من العنف وضجوا بالشكوى من تعدياتهم وتزايدت اعباؤهم المالية . كما استفادوا من ظروف الصراع الذي كان ينشب بين ابناء السلاطين المتنازعين على العرش ليفرضوا نفوذهم على السلطان ، فتحولوا لذلك الى اداة هزيمة وتخريب

واستمرت تمرداتهم خلال القرن الثامن عشر ، وكان اخطرها تلك التي حدثت في عهد السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠) حين تمكن الانكشارية في الثامن والعشرين من ايلول ١٧٠٣ من السيطرة على العاصمة وخلع السلطان واعدام الصدر الاعظم واثنين من معاونيه . وقد لعب الانكشاريون كذلك دورا خطيرا في تاريخ الولايات العثمانية ومنها العربية . اذ ساهموا في الفتن الداخلية . وكثيراً مانشب القتال بينهم وبين القوات المحلية

ان التدخل في شؤون الحكم واثارة المشاكل جعل الجيش الانكشاري بعيداً عن ممارسة مهامه الرئيسة في حفظ حدود البلاد وحمايتها من الاخطار المحرقة بها . وفي الوقت الذي كان فيه الانكشاريون يعبثون بمقدرات السلاطين لحقت بالدولة العثمانية في المجال الخارجي ، طوال القرن الثامن عشر ، هزائم خطيرة امام الدول الاوربية اضطرت على اثرها التوقيع على معاهدات مهنية ، منها معاهدة كارلوفتز ١٦٩٩ التي سلمت بها المجر الى النمسا ، ومعاهدة بساروفتز سنة ١٧١٧ التي فقدت بها جزءا مهما من البلقان . ومعاهدة كوجك كينارجي التي اعقبت هزيمتها امام روسيا سنة ١٧٧٤ ومعاهدة ياسي سنة ١٧٩١ التي ذلتها امام روسيا . وقد انكشف ضعفها كذلك في عدم قدرتها على مواجهة الغزو الفرنسي لمصر وفلسطين وسوريا (١٧٩٨-١٨٠١) . وقد ادى ذلك كله الى ظهور اتجاه جديد في الدولة يدعو الى ايقاف التدهور ، وهو الاتجاه المعروف بحركة الاصلاحات والتنظيمات العثمانية . ولقد كان من الطبيعي ان يستهدف الاصلاح في المقام الاول التخلص من الجيش الانكشاري وانشاء جيش جديد يحل محله ، ولم يتحقق ذلك الا في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) .

الدولة العثمانية والقوى المحلية في الاقطار العربية :

كان لضعف سلطة السلطان في المركز ، وانحلال عساكر الانكشارية وعجزها وضعف ارتباطها بالتكتلات العسكرية واعتماد بعض الولاة على التكوينات العسكرية المحلية . وعدم

قدرة العثمانيين على فهم الـدور التاريخي للشعب العربي ولامركز الـوطن العربي الاستراتيجي والحضاري ، ومحاولتهم عزل الولايات العربية عن كل نشاط سياسي وقضائهم على حيوية المجتمع العربي وحرمان العرب من اية سمة قيادية وتحويلهم الوطن العربي الى ولايات تابعة الى مركز واحد هو استانبول ، كل ذلك لعب دوراً كبيراً في قيام بعض الاسر والزعامات المحلية بالاستئثار بالسلطة وتحقيق نوع من الاستقلال عن الدولة العثمانية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر. ولعل من ابرز هذه [illegible] في بغداد (١٧٥٠-١٨٣١) والجليليون في الموصل (١٧٢٦-١٨٣٤) و[illegible] في مصر (١٧٥٧-١٧٨٩) وآل ظاهر العمر في فلسطين (١٧٣٧-١٧٩٩) وآل [illegible] في لبنان وآل العظم في سوريا ، والاسرة القرامنلية في طرابلس (١٧١١-١٨٣٥) والاسرة الحسينية في تونس .

لقد كان من نتائج هذه الظاهرة ، ان شهدت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثامن عشر محاولات عديدة لاصلاح نظم الحكم والادارة العثمانية سميت منذ سنة ١٨٣٩ تقريباً باسم التنظيمات . وانقسم دعاة الاصلاح في الدولة العثمانية الى فريقين ، ذهب كل منهما مذهبه في سُبل الاصلاح فالفريق الاول يرى ان العلاج يكمن في تطبيق الانظمة الاسلامية والتقاليد العثمانية الاصيلة . اما الفريق الثاني ، فقد ارتأى ان الاصلاح في الدولة العثمانية يستلزم « اقتباس النظم الاوربية واستلهامها » . ويظهر ان نجاح الاقطار الاوربية انذاك في الامور العسكرية وفي تطوير انظمتها الاقتصادية واندفاعها في سبل النهضة الشاملة بسرعة متزايدة رجح كفة الفريق الثاني وعليه فقد صارت حركة الاصلاح تستهدف تطبيق الانظمة الاوربية الحديثة في مجالات الحياة المختلفة مع عدم التفريط باحكام الشريعة الاسلامية .

وكانت وراء حركة الاصلاح العثمانية التي ابتدأت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر عوامل عديدة منها :

ان الضغط الاستعماري على الدولة العثمانية هو السبب الذي دفع الحكومة العثمانية الى ان تصلح من شأنها . هذا فضلاً عن أن هناك دافعاً داخلياً للاصلاح تمثل في ان الطبقة البرجوازية الناشئة في استانبول بدأت ، بالرغم من ضعفها انذاك ، تساند اي اتجاه اصلاحي يسير نحو التخلص من الاوضاع الاقطاعية المتخلفة السائدة في الدولة العثمانية . وبدات تقف وراء الحكومة المركزية في اعادة سيطرتها المباشرة على بعض الولايات التي تمتعت ردحا من الزمن بالاستقلال وخلف هيكل جديد من الادارة والقوانين المدنية . وقد رحبت السلطة المركزية العثمانية بتأييد الطبقة البرجوازية

في حركاتها الأصلاحية لأن هدم الاوضاع البالية سيدعم مركزية السلطة . ومما يلحظ ان هذا شبيه بما حدث في اوربا نفسها في القرنين السادس عشر والسابع عشر من تعاون الطبقة البرجوازية في غرب اوربا مع النظم الملكية لهدم الاقطاع واقامة ملكية مطلقة

اقتصرت الاصلاحات الاولى على الجيش . فالدولة العثمانية عسكرية الطابع منذ نشاتها . كما ان المؤسسة العسكرية القديمة اصبحت قوة رجعية مسيطرة في الدولة تشل الجهود الرامية الى اصلاح بنية الدولة . وهي المسؤولة عن الهزائم المتكررة التي لحقت بالدولة طيلة القرن الثامن عشر . وقد ظهر للعيان تفوق النظم الاوربية في شؤون الجيش بأثاره المادية ، الامر الذي جعل الاصلاح العسكري يبدو هدفا مركزيا . فشؤون الجيش كانت بمثابة المحور الاساس لجميع شؤون الدولة . لذلك فقد بدأت حركات الاقتباس والاصلاح في الشؤون العسكرية ، ثم امتدت بعد ذلك الى الجوانب الادارية والماليه والقضائية والتعليمية .

أ – الاصلاحات العسكـريـة :

كان سليم الثالث (١٧٨٩ – ١٨٠٧) اول سلطان عثماني يطلق عليه لقب (مصلح) وفي عهده ظهرت ردود الفعل العثمانية ازاء قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ وسقوط آل بوربون وغزو فرنسا لمصر سنة ١٧٩٨ . فلقد دعا السلطان سليم الثالث عدداً من قادة الفكر والسياسة لمعرفة ارائهم حول كيفية معالجة عوامل الضعف في الـدولة . فاكدوا جميعا ضرورة الاصلاح العسكري . وفي سنة ١٧٩٢ أصدر سلسلة من التنظيمات الهادفة الى اجراء اصلاحات في المجالين العسكري والمالـي سميت بـ (نظام جديد) . ومن بين الأنظمة التي اتخذت اعتماد نظام مالي جديد دعي باسم « ايرادي جديد » لدعم مصاريف المؤسسات التي احدثت ، يقوم في تغذية مالية الدولة على العائدات من الاراضـي وخصوصاً الاقطاعات العسكرية ، وأحدثت ضرائب جديدة على الانتاج الزراعـي . كما اتجهت رغبة السلطان الى اصلاح الجيش والبحرية ، لذلـك اسـس عددا من المدارس العسكرية تدرس فيها اللغة الفرنسية مستعينا باساتذة ومدربيـن أكثرهم من الفرنسيين وكان سليم يأمل من وراء عمله هذا انشاء (جيـش جديد) . وقد شرع في انشاء ثكنات خاصة متعددة في مدينة سكوتارى المقابلـة لأستانبول . وبدأ باثني عشر الف جندي من المشاة وخمسة الاف من الخيالة . وقـد

عمل السلطان سليم الثالث على انشاء عدد من المعاهد العالية والفنية الحديثة . كما اسس
سفارات عثمانية دائمية في العواصم الاوربية . وواصل السلطان محمود الثاني ١٨٣٩ -
١٨٣٩ الجهود الاصلاحية . فاصدر اوامره بالقضاء على الجيش الانكشاري بعد ان
استعد في ١٦ حزيران ١٨٢٦ فتوى من شيخ الاسلام تقول بشرعية الاخذ بالنظام
العسكري الاوربي ووجوب التخلص من الجيش الانكشاري . وبدأ السلطان محمود
الثاني في ارساء النظام العسكري الجديد ، واستطاعت الدولة ان توثق من اواصر
تبعية ولاياتها بواسطة الجيش النظامي بعد تدريبه وفق الاساليب العسكرية الاوربية .
وقسمت الامبراطورية الى عدد من الدوائر العسكرية وضع في كل دائرة جيش خاص بها ،
ويشرف على هذه الجيوش قائد لقبه (سرعسكر) وهو قائد الجيش الاول عادة . ثم
اصبح بعد ذلك يحمل اسم ناظر الحربية ورئيس اركان الجيش . اما الدوائر العسكرية
فعددها سبعة اهمها الدائرة الاولى وفيها الجيش الاول ومقره استانبول والدائرة
العسكرية الخامسة وفيها الجيش الخامس ومقره دمشق والدائرة العسكرية السادسة
وفيها الجيش السادس ومقره بغداد والدائرة العسكرية السابعة وفيها الجيش السابع
ومقره اليمن .

ويرجع الفضل في تنظيم التشكيلات العسكرية والاخذ بالاساليب الاوربية في
التدريب الى عدد من الضباط والقادة الاوربيين لاسيما الالمان والنمساويين منهم فون
مولتكة وفونبرك وفون دركولتز وغيرهم

كانت الخدمة العسكرية الزامية للمسلمين . اما العناصر غير المسلمة فيعوضون عن
التجنيد بمبلغ من المال يسمى (البدل النقدي) . وبعد سنة ١٩٠٨ صدرت قرارات من
الدولة جعلت الخدمة اجبارية بحيث تشمل جميع السكان دون استثناء . وقد حوفظ على
النظام الموضوع سنة ١٨٣٥ المتعلق بالافراد المكلفين بالخدمة العسكرية مع تحديد الخدمة
زمن السلم بخمس سنوات ، ثم انزلت الى سنتين . يمارسون بعدها اعمالهم ، فاذا مست
الحاجة زمن الحرب ، دعوا الى الخدمة في صفوف الاحتياط على مراحل وضمن مدد
متقطعة . تسمى (الرديف) و(المستحفظ) على ان تنتهي خدمتهم العسكرية حين بلوغهم
سن الاربعين .

اما بالنسبة لقوات الامن ، فلم يكن في الولايات العثمانية جهاز امن منظم قبل فترة
الاصلاحات ، بل كانت الحاميات العثمانية وقوات الوالي الخاصة المحلية هي التي تقوم
بمهمة حفظ الامن والنظام ثم شكلت الدولة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
قوات امن خاصة سميت في بعض الاحيان الضبطية او الجندرمة ، وسميت كذلك

(الدرك) . ولم تتألف قوة شرطة المدن (البوليس) الا بعد سنة ١٩٠٠ وقد حاولت الدولة العثمانية اصلاح قوات الامن فوضعت سنة ١٩١٣ نظاماً جديداً لتوسيع سلطات الشرطة وتغيير تقسيماتها وقد استعانت بضباط بوليس اوربيين وتضمن هذا النظام تقسيم الدولة العثمانية الى خمس مناطق لكل منطقة لجنة يرأسها مفتش عام

الاصلاحات الادارية والاقتصادية والاجتماعية :

نفذ كل من السلطان محمود الثاني وخلفه السلطان عبد المجيد ١٨٣٩-١٨٦١ برنامج اصلاحات واسع النطاق . ففي حقل التعليم تأسس العديد من المدارس الحديثة الابتدائية والثانوية . كما فتحت مدرسة للحقوق واخرى للطب يديرها مدرسون فرنسيون وظهرت جريدة رسمية باسم « تقويم وقايع » سنة ١٨٣١ وأسست دائرة للترجمة باسم « ترجمة اوده سي » . وفي مجال القضاء اسس المجلس الاعلى للقضاء وصدرت قوانين للعقوبات والولايات والاراضي . وبين سنة ١٨٣٩ و١٨٥٦ أصدرت الحكومة العثمانية مرسومين وعدا باجراء الاصلاح اولهما خط شريف كولخانة

١٨٣٩ وثانيهما خط شريف همايون ١٨٥٦ . ولقد جاء هذان المرسومان استجابة لضغط دعاة الاصلاح من جهة والحيلولة دون تدخل الدول الاوربية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بدعوى حماية الاقليات المسيحية وغيرها من جهة اخرى . ولقد تضمن المرسومان نقداً للاساليب الادارية والمالية السائدة في الدولة وخاصة طريقة الالتزام في جمع الضرائب . وتضمن المرسوم الاول تأكيد اهمية وقوف الحكومة ضد اي تهديد يقع على حياة او كرامة او ملكية الافراد العثمانيين . واعلن ان المتهمين ، سواء كانوا مجرمين عاديين ام سياسيين ، سيحاكمون بصورة علنية . ومن ناحية الضرائب اكد انها ستوزع بصورة عادلة على جميع طبقات الشعب وتعهد المرسوم بالغاء نظام الالتزام . واكد المرسوم الثاني رغبة الدولة العثمانية في الاصلاح والتطور واقتفاء خطوات الدول الاوربية في معارج التقدم الرقي . كما تضمن المرسوم الثاني ضرورة العمل لتنظيم ميزانية سنوية للدولة . ولقد تولى المجلس الاعلى للتنظيمات الذي شكل سنة ١٨٥٤ مهمة تنظيم حركة الاصلاح وتوجيهها نحو الاخذ بالقوانين الوضعية . ويتألف المجلس من ثلاثة اقسام : اداري وتشريعي ومالي ويعنى كل قسم بالمسائل الداخلة ضمن اختصاصه . وراحت الدولة بالتعاون مع هذا المجلس تعمل على استكمال مشروعات الاصلاح . فأنشأت في سنة ١٨٥٦ البنك المركزي ليساعد في تدعيم الاقتصاد . كما اصدرت اول عملة ورقية عثمانية . وفي مجال

التعليم تم في سنة ١٨٤٥ تأليف لجنة سباعية لدراسة اوضاع المدارس وتقديم التوصيات اللازمة لتنظيم التعليم ونشره ورفع مستواه. وفي اواسط ١٨٤٦ قدمت اللجنة تقريراً ضمنته منهاجا طويلا للاصلاح التعليمي. فاقترحت تشكيل ديوان للمعارف العامة ليشرف على شؤون التعليم. وعلى اثر ذلك زيد عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة (الرشدية) والاعدادية. وصدر قرار بتأسيس اول جامعة عثمانية .

اما في النواحي الاجتماعية فقد صار المجتمع العثماني يحث الخطى نحو الحياة العصرية. وبدت علامات ذلك في تنظيم دوائر الدولة وتزويدها بالأثاث الجيدة. كما حلت البزة الرسمية الغربية والطربوش محل الأثواب الفضفاضة والعمائم. وانتقل الأشراف والوجهاء والأثرياء في العاصمة والمدن الكبرى كالقاهرة وبغداد ودمشق وبيروت من بيوتهم في الاحياء القديمة الى قصور في احياء جديدة .

كما اصدرت الدولة قانونا للاراضي في ٢١ نيسان ١٨٥٧ وبموجبه قسمت ، الاراضي الى الاراضي المملوكة والاراضي الاميرية والاراضي الموقوفة والاراضي المتروكة والاراضي الموات. كما انشيء نظام قانوني لتسجيل العقود المختصة بالأراضي. وقد عالج هذا القانون والنظام الصادر بعده في ١٨٦٠ مسالة منح سندات تفويض للمتصرفين بالاراضي الاميرية

ان هذا القانون والانظمة المعلقة به لم يضع حلولا ناجحة لمشاكل الاراضي في الدولة العثمانية. ولعل من ابرز مايلحظ عليه انه ادى عند تطبيقه الى ظهور طبقة ملاكي الاراضي فقد سجلت مساحات واسعة من الاراضي اما باسم السلطان (الاراضي السنية) واما باسم عدد من شيوخ العشائر واثرياء المدن. ولم يسجل منها باسم المالكين الحقيقيين من الفلاحين سوى قسم ضئيل. ولقد ساعد على ذلك أمران اولهما ان القوانين لم تحفل بتعيين مساحة الاراضي قدر اهتمامها بتعيين الحدود. وثانيهما ان الحكومة اوكلت الى المتصرفين في الألوية امر تشكيل اللجان للقيام بعملية مسح الاراضي ولا ريب ان ذلك يفسح المجال واسعاً امام التلاعب بالحدود وتغيير العلامات ، اضافة الى تأثير المخاتير وشيوخ القرى والمتنفذين على اعضاء اللجان . فقاموا يعينون حدود اراضيهم ومساحتها كما يريدون . وفي هذا مايفسر امتلاك عدد من وجهاء المدن العربية الكبرى لعدد من قرى الولايات . كما يفسر الدور المهم الذي قامت به بعض العوائل العربية في الحياة السياسية والاقتصادية في الوطن العربي قبيل انتهاء الحكم العثماني وبعده .

وفي سنة ١٨٦٤ شرع قانون الولايات ، ليضع حداً للادارة الاقطاعية القديمة ، وبربط الاقاليم بالسلطة المركزية ويحدد صلاحية الولاة والمتصرفين والقائمقامين واقتبس كثيراً من احكامه من التنظيم الاداري الفرنسي ، والغى النظم الاقطاعية . ويعد نظام الولايات ، كما يقول المؤرخ المصري الدكتور عبدالعزيز نوار المحاولة العملية لاصلاح حال الولايات العثمانية من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتاكيد خضوعها للدولة . وقد نص القانون على انشاء مجالس محلية لتعاون المسؤولين في الحكم . فكانت الولاية تدار من قبل مجموعة من الموظفين الى جانبهم عدد من الاعضاء المنتخبين ، وهذا ما كان يعرف باسم « مجالس الادارة » . وتم تنظيم المدن والقصبات بموجب هذه الترتيبات الادارية اذ أصبحت (المحلة) او (الحارة) في المدينة اوالقصبة هي الوحدة الادارية الاساسية . وتأسست البلديات بحيث لم تخل مدينة مهمة بعد سنة ١٩٠٠ من بلدية واصبحت المجالس البلدية بعد ذلك جزءاً من التشكيلات الادارية في الولاية .

من هذا كله يبدو ان الادارة كانت منظمة من الناحية النظرية تنظيماً دقيقا وقائما الى حد كبير على المؤسسات التمثيلية ، وعلى الرغم من ذلك ، فان هذه الحالة من الحالات التي قلما توجد فيها اية علاقة بين المظهر الخارجي والحقيقة القائمة . اذ تذبذبت اتجاهات الدولة الاصلاحية منذ اصدار خط شريف كلخانة حتى اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش سنة ١٨٧٦ ، بين المركزية واللامركزية . ولم تعط المجالس التمثيلية الفرصة الكافية لكي يتدرب فيها سكان الولايات كافة على ممارسة الحكم التمثيلي . هذا بالاضافة الى تصادم التيارات الدينية والطائفية والاقطاعية في داخل تلك المجالس ، وكان ذلك عاملاً معرقلاً للنهوض بمستوى السكان السياسي والاقتصادي والثقافي .

ولم يكن من السهل نقل الكثير من القوانين والانظمة الى حيز التطبيق . فهناك بضعة عوامل حالت دون ذلك ومن اولها ضعف الجهاز الاداري ، وعدم تعاونه مع الحكومة المركزية في تحقيق الاصلاح . اما العامل الثاني فتمثل في معارضة بعض القوى الرجعية للاصلاحات ، بحيث اتهم دعاة الاصلاح بانهم يمتهنون كرامة الدولة وينتقصون من سيادتها بخضوعهم لتوجيهات الدول الاوربية في مسائل الاصلاح ، اضافة الى ان الاصلاح عن طريق تقليد الاوربيين واقتباس نظمهم ومؤسساتهم مخالف على حد اعتقادهم ، للشرع الاسلامي . وكان من اسباب معارضتهم للاصلاحات هو انهم لم يروا في معظمها ما يصلح احوال الرعية .

وثمة عامل آخر لعب دوراً كبيراً في اعاقة نجاح حركة الاصلاحات ، وهو التدخل الاوربي المستمر في شؤون الدولة العثمانية وعدم احترام الدول الاوربية للنص الذي التزمت به في معاهدة باريس الموقعة في ٣٠ آذار ١٨٥٦ في اعقاب حرب القرم مؤكداً عدم تدخل الدول الاوربية ، منفردة او مجتمعة ، في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية مهما كانت الاسباب ، لقد راحت تلك الدول تتدخل في شؤون الدولة العثمانية وقتما كانت مصالحها تتطلب ذلك ، وكان لهذا التدخل اثره السلبي في الاوضاع الداخلية للدولة العثمانية الى الحد الذي جعل المؤرخين يسمون الفترة الواقعة بين ١٨٣٩ و ١٨٧٦ باسم « فترة حكم السفراء » The Rule of Elechis ويقصدون سفراء الدول العظمى في استانبول وفي مقدمتهم السير سترافورد كاننك Canning السفير البريطاني المعروف بالسلطان العثماني غير المتوج .

ومهما يكن من أمر ، فلقد كان لهذه الظروف اثر كبير في ظهور منظمات سرية بهدف الوصول الى السلطة وتحقيق الاصلاح الداخلي في الدولة العثمانية على اساس دستوري . ولعل من ابرز المنظمات السرية « جمعية تركيا الفتاة » التي تأسست في العاشر من آب ١٨٦٧ بجهود كل من ضياء باشا (١٨٢٥–١٨٨٠) ونامق كمال ١٨٤٠–١٨٨٠ وعلي السعاوي (١٨٣٨–١٨٧٨) وهم من الشباب العثماني المثقف وقد لجأت هذه الجمعية الى الصحافة ، واتخذت من باريس مقراً لها ، واصدرت صحفاً ناطقة باسمها ، منها جريدة (المخبر) التي صدر عددها الاول في لندن بتاريخ ٢١ آب ١٨٦٧ . ولكن وفاة بعض قادة الاصلاح امثال فؤاد باشا ١٨٦٩ وعالي باشا ١٨٧١ ادى الى انتعاش روح التسلط والاستبداد حين سيطر على الامور في استانبول ذوو الميول الرجعية امثال الصدر الاعظم محمود نديم باشا وشيخ الاسلام حسن فهمي . الامر الذي دفع الاحرار العثمانيين الى تنظيم واعداد تظاهرات امام دار الحكومة تطالب باقاله الصدر الاعظم ، وازاء اشتداد السخط الجماهيري سقطت وزارة محمود نديم وتشكلت وزارة رشدي باشا ، وقد لعب احد وزرائها المصلح مدحت باشا دوراً كبيراً في خلع السلطان مراد في ٣١ آب ١٨٧٦ ونصب مكانه عبد الحميد سلطاناً (١٨٧٦ – ١٩٠٩) الذي اسرع لتعيين مدحت باشا رئيساً للوزراء . وكان من انجازات مدحت باشا اعلان الدستور العثماني في ٢٣ كانون الاول ١٨٧٦ . وقد استهدف الدستور تحقيق المساواة المدنية والسياسية لجميع العثمانيين ، ويضمن استقلال المحاكم ويفرض تطبيق النظام اللامركزي في ادارة الولايات وتشكيل مجلس امة (برلمان) يتألف من هيئتين هما : مجلس المبعوثان (النواب) ومجلس الاعيان .

ان المساندين لحركة الاصلاح لم يؤلفوا الا اقلية من المثقفين وبعض موظفي الدولة وسكان المدن الكبيرة . اما الاكثرية الساحقة فكانت بعيدة عن تيار التجديد والاصلاح .

وعلى اية حال لم تمض بضعة اشهر على اعلان الدستور حتى غير السلطان عبد الحميد رأيه في الحياة الدستورية . فقد عرف عنه انه يميل الى الاستبداد ويكره الافكار التحررية والمباديء الاصلاحية . فحدث تصادم بينه وبين مدحت باشا وفي الخامس من شباط ١٨٧٧ اقال السلطان عبد الحميد مدحت باشا وحاكمه وارسله للسجن في الطائف بالحجاز حيث قضى بقية حياته حتى وفاته مسموماً سنة ١٨٨٣ . ووجد في اعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية في ٢٤ نيسان ١٨٧٧ فرصة مناسبة لتأجيل اجتماع البرلمان لاجل غير مسمى ثم اصدر في ١٤ شباط ١٨٧٨ مرسوماً بتعليق الدستور وظل يحكم مدة (٣٣) سنة ، حكماً استبدادياً .

اما المصلحون وجماعة تركيا الفتاة وغيرهم من الاحرار العثمانيين ، فقد بدأوا ينظمون صفوفهم ، كما جعل بعضهم من باريس وجنيف والقاهرة مراكز لنشاطه الوطني ، وفي الوقت نفسه ظهرت في داخل الجيش العثماني ، وخاصة في القطعات المرابطة في مقدونيا ، حركة ثورية سرية ، وكان حصيلة العمل الوطني السري في داخل الدولة وخارجها قيام انقلاب في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ الذي قادته جماعة حزب الاتحاد والترقي ، فاضطر السلطان عبد الحميد الى اعادة العمل بدستور سنة ١٨٧٦ واجتمع البرلمان من جديد ، وعلى اثر الثورة المضادة وتسمى في التاريخ العثماني (الفتنة الارتجاعية) التي حدثت في ١٣ نيسان سنة ١٩٠٩ بتشجيع من السلطان نفسه ، اجتمع البرلمان في ٢٧ نيسان من السنة ذاتها واعلن خلع السلطان عبد الحميد وتنصيب اخيه محمد رشاد باسم السلطان محمد الخامس (١٩٠٩ – ١٩١٨) .

تأثير حركة الاصلاح في الاقطار العربية :

ارتبطت حركة الاصلاح في مصر بالوالي محمد علي باشا (١٨٠٥ – ١٨٤٨) . وقد جعلت اصلاحات هذا الوالي مصر اول دولة حديثة في الشرق العربي ذلك ان محمد علي لاحظ بما امتلك من مقدرة ونفاذ بصيرة نزوع اتجاهات الوعي الوطني والقومي في مصر الى الاستقلال . فلم يربدأ من السير في هذا الاتجاه سيراً واعياً . مسلماً بتفاصيلها مدركاً ابسط وادق حقائقها . وقد بذل جهوداً كبيرة في تعزيز هيبة الدولة وتطوير اقتصادها وكان الجيش هو الدعامة الاولى التي اقام عليها محمد علي لاستقلال

مصر ، والوسيلة الفعالة في اقامة دولة عربية حديثة موحدة . وقد هيأ محمد علي كل دوائره واجهزته لتقوية الجيش والاسطول . فادخل الاسلحة الحديثة وامر بتطبيق نظم التدريب الاوربية الحديثة . وقد اتسع حجم الجيش المصري اتساعاً كبيراً في نهاية الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، فقد اصبح تعداده قرابة (١٨٠) الف جندي . اما الاسطول المصري فقد اتسع ليضم نحو خمسين قطعة بحرية .

ولم تقتصر جهوده على تطوير الجيش والاسطول وتقويتهما وانما تناولت النواحي الادارية . ومن ذلك اصداره في حزيران - تموز ١٨٣٥ لائحة ادارية حصرت السلطة في عدد من الدواوين كانت بمثابة الوزارات . وحل محمد علي مشكلة الكوادر ، باستخدام المزيد من المصريين بعد ان كانت الوظائف وقفاً على الاتراك وبعد انجازه هذا من أبرز التغييرات التي حدثت في بنية المجتمع المصري في القرن التاسع عشر اذ ظهرت طبقة بيروقراطية (مكاتبية) مصرية كان لها اثرها في السيطرة على مقدرات مصر بعد ذلك .

كما اهتم محمد علي بتحقيق الرفاه المادي للبلاد ، فشجع الزراعة ، وطور نظام الري ، وادخل محصولات جديدة الى البلاد والغى في سنة ١٨٠٩ نظام الالتزام وأعاد توزيع الاراضي الزراعية على الفلاحين ، فاعطى كلاً منهم خمسة أفدنة لاستثمارها وفق توجيهات الدولة . وعمل من اجل ارساء أسس علمية للصناعة الوطنية عن طريق ادخال التقنية الصناعية الاوربية الى مصر . وقد حققت صناعة الانسجة المصرية نجاحا كبيراً ليس في مصر وحدها ، بل في الاقطار العربية . واتسعت تجارة مصر وذلك لاهتمام محمد علي بتطوير المواصلات ، وجعل ميناء الاسكندرية جاهزاً لرسو السفن الكبيرة . ولكن العامل الرئيسي الذي ادى الى توسع التجارة ، هو وضع الانتاج الصناعي والحرفي والزراعي تحت سيطرة الدولة ، وتحققت هذه السيطرة بوساطة نظام الاحتكار ، وهو جهاز ذو طابع خاص من التنظيم والادارة المركزية لحياة البلاد الاقتصادية .

واهتم محمد علي بالتعليم ، فكان له الفضل في انشاء المدارس الحديثة ، بقصد تزويد مؤسساته العسكرية والادارية بالضباط والمهندسين والميكانيكيين والخبراء والموظفين في مختلف الاختصاصات . فانشأ النظام التعليمي على شكل هرمي بادئاً بالتعليم العالي . وقد أمده الازهر ، بعدد كبير من الشبان المتعلمين تعليماً تقليدياً . وأنشأ محمد علي مطبعة بولاق سنة ١٨٢٢ وتعد من أقدم المطابع في الوطن العربي . وفي سنة ١٨٢٧ تولت المطبعة طبع جريدة الوقائع المصرية ويعد محمد علي باشا اول من اصدر صحيفة رسمية في الوطن العربي . ولم تحل سنة ١٨٨٢ حتى بلغت الصحف اليومية في مصر ثلاثا وثلاثين صحيفة لاتزال احدها وهي الاهرام تصدر حتى الآن .

اما الجزيرة العربية ، فانها كانت في ظروف خاصة بسبب النزاع الداخلي بين الامراء المحليين . فحائل بيد آل الرشيد ونجد بيد آل سعود ، والحجاز بيد الاشراف . لذلك ظل العثمانيون يتمتعون بنفوذ أسمي في الجزيرة العربية . ولم يستطيعوا القيام باصلاحات واسعة بسبب ضعف نفوذهم ولتعارض هذه الاصلاحات مع مصالح الامراء المحليين . لهذا ليس غريباً ان لانرى مدارس حديثة في الجزيرة . فالتعليم ظل في رعاية رجال الدين . يضاف الى هذا ان النظام العثماني في الادارة والجمارك . الذي طبق في الحجاز ، ظل بعيدا عن التطبيق في انحاء الجزيرة العربية الاخرى . وفيما يتعلق بالطباعة والصحافة ، فقد اسس والي الحجاز نوري باشا سنة ١٨٨٣ اول مطبعة باسم مطبعة الولاية ، وكان من اولى ثمرات هذه المطبعة صدور الكتاب السنوي لولاية الحجاز « حجاز ولايتي سالنامة سي » . كما تولت المطبعة كذلك سنة ١٨٨٤ طبع الجريدة الرسمية « حجاز » وهي أول جريدة صدرت هناك .

اما اليمن ، فقد حاولت الدولة العثمانية اعادة حكمها المباشر عليه ، وتحقق ذلك سنة ١٨٧٢ . ومنذ ذلك الوقت قرر العثمانيون برنامجا للعمل يقوم على تضييق الخناق على الائمة الزيديين الذين رفضوا ، منذ خضوع اليمن للحكم العثماني ، الاعتراف بالسيادة العثمانية الا اذا أعترف العثمانيون بزعامتهم الدينية . فحاول العثمانيون حصر نفوذ الائمة في مناطق ضعيفة ومحاربة دعامتهم وجعلهم في عزلة تحول دون اتصالهم المباشر برؤساء القبائل وبالاهالي . كما اوقفوا دفع عوائد الزكاة للائمة وقصر دخلهم على راتب شهري بلغ ثلاثة الاف ريال شهريا للامام ولاسرته وطبق العثمانيون قانون الولايات في اليمن وقسموه الى أربعة الوية هي : صنعاء والحديدة وعسير وتعز . واتخذ الوالي من صنعاء عاصمة للولاية . واصبح اليمن مقراً للجيش السابع . وقد عرفت اليمن كذلك جنود الضبطية او الجاندرمة من اليمنيين أنفسهم . اذ حاول الوالي أسماعيل حقي باشا الذي تولى حكم اليمن في سنة ١٨٧٨ أدخال اليمنيين في تشكيلات الجندرمة . وقد قام الجندرمة اليمانيون بدورهم في اخماد حركات التمرد ، مما ساعد الادارة العثمانية على اقرار الامور في الولاية .

وفي تونس . يمكن الاشارة الى محاولتين أساسيتين للاصلاح الداخلي . وقد تمت اولى هاتين المحاولتين في عهد الباي أحمد (١٨٣٧-١٨٥٥) وثانيهما على يد خير الدين باشا التونسي الذي تولى رئاسة الوزارة بين سنتي (١٨٧٣-١٨٧٧) ولقد جاءت أصلاحاتهما مكملة لاصلاحات الباي حمودة باشا الحسيني ، الذي يعد أشهر ولاة (بايات) تونس وفترة حكمه الممتدة في ١٧٨٢-١٨١٤ تمثل أهمية كبيرة في تاريخ تونس الحديث فهو أول من جند العرب بدلاً من الانكشارية في الجيش وجعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد بدلاً من اللغة التركية . اما اهم الاصلاحات التي تحققت في تونس . فهي اصلاح الجيش وبنائه وعلى نمط الجيش الفرنسي وتأسيس مدرسة للهندسة سنة ١٨٣٨ وشق الطرق وتعبيدها وتوسيع رقعة المواصلات وتحديث نظم التعليم في

جامعة الزيتونة ، وانشاء المدرسة الصادقية على نمط مدارس الليسية (الثانوية) الفرنسية وتأسيس نظام جديد لادارة الاوقاف . واعادة تنظيم الضرائب والعمل على حل مشكلة توطين العشائر واستقرارها وايقاف الحملات العسكرية السنوية لجمع الضرائب منها وأشعارها بحماية الدولة وتقديم الخدمات اللازمة لها .

ان أوضح أثر لحركة الاصلاح العثماني كان في العراق وسوريا . ففي العراق قام الوالي داؤد باشا آخر المماليك (١٨١٦-١٨٣١) بأتخاذ أجراءات مماثلة لما حدث في استانبول في مجال الغاء الفيالق الانكشارية . ثم قرر السلطان محمود الثاني أنهاء حكم المماليك في العراق واعادة الحكم المباشر . ولم تظهر اثار حركة الاصلاح في العراق بشكل واضح الا في عهد الوالي مدحت باشا الذي تولى حكم العراق بين سنتي ١٨٦٩و١٨٧٢ وقد منح مدحت كلتا السلطتين المدنية والعسكرية في ولاية بغداد . كما زود بصلاحيات واسعة لتنفيذ اصلاحاته في الولايتين الاخرتين الموصل والبصرة . وقد تجلت اجراءاته في ادخال الاصلاحات الادارية والاقتصادية وخاصة تطبيق قانوني الولايات والاراضي وكانت الغاية الرئيسة من وراء تلك الاصلاحات العمل على ربط الولايات العراقية الثلاث بعضها مع البعض الاخر ، وتقوية السلطة المركزية عليها .

ويعد تطبيق نظام الطابو ابرز أعمال مدحت باشا الادارية الاقتصادية وكان الهدف الرئيس من هذا النظام الذي يقوم على أساس تفويض الاراضي الاميرية لمن يزرعها محاولة ايجاد حل لمشكلة العشائر ، ووضع حد لثوراتها المستمرة وتحويل افرادها

الى مواطنين مستقرين وذلك بتوفير سبل العيش وتحسين وسائل الري . وقد اثمرت سياسته في اماكن متعددة . لكنها ادت الى ان يتحول شيوخ العشائر الى ملاكين للاراضي .

وفي الميدان العسكري صار العراق منذ التشكيلات العسكرية لسنة ١٨٤٨ مركزاً للجيش السادس كما اشرنا من قبل واستهدف مدحت تبديل العناصر الأجنبية بافراد عراقيين كي يحس السكان بشعور الولاء نحو الجيش .

وفي ميدان المواصلات أعاد مدحت تشكيل الشركة الحكومية المسماة (الادارة العثمانية النهرية) واصلح بواخرها القديمة ، ثم شرع بشراء بواخر جديدة ، ذات حمولات كبيرة . كما انه اسس لهذا الغرض محطات للوقود في مسقط وعدن وبندر عباس وبعد هذا صارت البواخر العثمانية تتحرك من اونة وأخرى بين البصرة واستانبول عبر قناة السويس التي افتتحت سنة ١٨٦٩ . أما المشروع الثاني الذي انشاه مدحت في حقل المواصلات فهو ترامواي بغداد - الكاظمية .

وفي عهد مدحت باشا دخل التعليم الرسمي الحديث فأنشأ اولى المدارس الحديثة ، وفي مقدمتها المدرسة الرشدية (المتوسطة) الملكية (المدنية) ومدة الدراسة فيها أربع سنوات بعد الابتدائية بالاضافة الى ذلك انشأ مدرسة الصناعة . وقد انعكس اهتمام مدحت باشا بنشر التعليم في العراق في خلال تزايد النسبة المئوية للمتعلمين . ففي سنة ١٨٥٠ لم تكن نسبتهم تزيد عن نصف في المئة من سكان المدن ، في حين اصبحت نسبتهم سنة ١٩٠٠ تتراوح بين الخمسة ، والعشرة بالمئة .

لقد كان مدحت باشا في طليعة الولاة العثمانيين الذين اهتموا بأمور الطباعة والصحافة : اذ اسس مطبعة حكومية واصدر جريدة رسمية باسم الزوراء في ١٥ حزيران ١٨٦٩ وهي أول جريدة ظهرت في العراق تبعتها بعد ذلك جريدة الموصل ١٨٨٥ والبصرة ١٨٩٥ . وفي عهد مدحت باشا كذلك تم بناء مدينتي الناصرية والرمادي . ومن اعماله بناء المستشفيات ودور حديثة للحكومة وارسل المهندسين لتنظيم الري . كما سعى لتاسيس المحاكم والبلديات . وكان من بين المنشآت الصناعية التي اسسها مصفاة للنفط في بعقوبة ومعملا لتقشير الرز في بغداد . واقام متنزها في بغداد .

أما في سوريا ، فقد كان لصدور قانون الولايات لسنة ١٨٦٤ اثر كبير في اعادة تنظيم ادارتها . اذ ضمت بيروت الى ولاية دمشق التي عرفت انذاك باسم (ولاية سوريا)

ولكن في سنة ١٨٨٨ اعادت الدولة تشكيل ولاية مستقلة مركزها بيروت ، وأصبح لكل ولايـة مجلس ادارة ، وحددت صلاحية المحاكم الشرعية وشكلت محاكم جديدة مستقلة للنظر في الامور التي ليست من اختصاص المحاكم الشرعية . كما شكلت محكمة تجارية في حلب وأخرى في بيروت وتميزت دمشق وحلب بمن نشأ من بنائها في المدارس العسكرية التي تأسست هناك .

وفي ١٨٨٢ مد أول خط حديد في سوريا بين يافا والقدس . كما منح امتياز لشركة اجنبية بانشاء ميناء بيروت . سنة ١٨٨٩ وبدأت سوريا تتمتع بخدمات بريدية وبرقية . وتوالى انشاء البلديات في المدن السورية . وعندما عين مدحت باشا واليا على سوريا في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٧٨ وبقي في منصبه حتى ٢١ آب ١٨٨٠، سعى لتنظيم الادارة والضرائب وعمل على تشجيع الحركة التعليمية . وتأسست في الشام أول مطبعة رسمية في بيت الدين عاصمة متصرفية جبل لبنان وقد اصدرت المطبعة جريدة لبنان الرسمية . وفي دمشق صدرت جريدة سوريا سنة ١٨٦٤، أما في عهد ناظم باشا (١٩١٠ - ١٩١٢) فقد جرت سلسلة من الاصلاحات في سوريا ، منها جلب مياه عين الفيجة الى دمشق ، وتزويد المدينة بالكهرباء وبخطوط ترامواي وبناء الأحياء الحديثة وتبليط الشوارع .

لقد عرفت سوريا منذ منتصف القرن التاسع عشر حركة مسرحية نشيطة . فظهرت فرق مسرحية لبنانية وسورية من ابرزها فرقه احمد ابوخليل القباني (١٨١٠ - ١٩٠٢) التي قدمت مسرحيات عديدة في دمشق وبيروت . وقد امتاز مسرح القبانـي باستلهام موضوعاته من التراث العربي الاسلامي ومن اهم المسرحيات التي قدمها مسرحيات عنترة العبسي وهارون الرشيد ومجنون ليلى .

وبدأت في سوريا حركة علمية نشيطة ، رافقت المدارس والمطابع . فقد جرت محاولات لترجمة الكتب الاجنبية الى اللغة العربية . وشارك في عملية الترجمة الشيخ يوسف الاسير (١٨١٤- ١٨٨٩) وناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) . وقد حظي التراث العربي ، وخاصة دواوين المتنبي وابي تمام وابي فراس الحمدانـي . بنصيب وافر من هذه النهضة . وكان امراً طبيعيا ان يهتم الكاتب العربي في هذه المرحلـة بالتاريخ . فبرز عدد من المؤرخين ابرزهم طنوس الشدياق ونوفل نعمة الله نوفل وجرجي زيدان .

وخلال فترة الاصلاحات ازدهرت النشاطات التبشيرية الاجنبية في مجالي الطب والتعليم فضلاً عن المدارس التي انشأها المبشرون في بيروت والقدس وحلب وزحلة

ودمشق ، فانهم اسسوا الكلية السورية البروتستانتية التي اصبحت فيما بعد نواة الجامعة الاميركية في بيروت ١٨٦٦ . وازاء هذا النشاط العلمي لمؤسسات التبشير الاميركيـة اتجهت البعثات الكاثوليكية ومنها اليسوعية الى انشاء جامعة مماثلة في بيروت باسـم (جامعة القديس يوسف) سنة ١٨٧٤ ولقد اسهم نشاط الارساليات ، بالرغم من بعض بعـض الجوانب السلبية وخاصة من حيث ارتباطها بالدول الاوربية الاستعمارية ، في قيام حركة فكرية في بلاد الشام . ويمكن تقدير اهمية وجود هذه الارساليات اذا علمنا انها عملت على ادخال اللغة العربية والعلوم الحديثة ضمن مناهجها الدراسية المقررة . لهذا ازداد الاقبال عليها ، ولا سيما من قبل العوائل الثرية وكان في اسباب هذا الاقبال ان المدارس الرسمية العثمانية كانت تدرس باللغة التركية وهي لغة غريبة عن السكان العرب .

الوطن العربي في مواجهة التغلغل الاستعماري

مقدمة

شهدت بداية العصور الحديثة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر حركة مهمة للتوسع الاوربي شملت مناطق مختلفة من الكرة الارضية . فقد فتح النشاط الاقتصادي في اواخر القرن الخامس عشر لأوربا آفاقاً جديدة للتجارة والرخاء ، فاندفع الاوربيون بحماس كبير يجوبون بحار العالم ومحيطاته بحثاً عن طرق جديدة توصلهم الى الشرق . هذا بالاضافة الى رغبتهم بالحصول على التوابل والحرير . وكان البرتغاليون والاسبان في مقدمة القوى الاوربية التي تحملت عبء حركة الاستكشافات الجغرافية . اذ كانت هاتان الفئتان في اشتباك مزمن مع العرب وخاصة بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ . وقد تركزت نقاط الصدام بين المستعمرين الاوربيين والعرب منذ منتصف القرن الخامس عشر في منطقتين حيويتين الاولى في الطرف الشمالي الغربي من الساحل الافريقي المتمثل بالبحر المتوسط والمحيط الاطلسي . والثانية في المياه العربية الجنوبية المتمثلة بالبحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندي .

١ – الغزو البرتغالي للمغرب الاقصى :

تطلع البرتغاليون الى اقطار المغرب العربي الاقصى وعملوا على تطويقها واحتلال موانيها المطلة على البحر المتوسط . وقد ابدى ملك البرتغال خوان الاول (١٣٨٥–١٤٣٣) اهتماماً كبيراً بالبحرية والاساطيل لاحتلال القواعد والمراكز التي تسيطر على الطرق التجارية وأنتهز فرصة الاضطراب السياسي والتدهور الاقتصادي الذي كانت تعيشه اقطار المغرب العربي في أعقاب سقوط دولة الموحدين سنة ١٢٧٥ وظهور قوى متنافسة فيما بينها على السلطة كالمرينيين (١٢٦٩–١٤٢٠) والوطاسيين (١٤٢٠–١٥١٠)

١٢٧٥م سقوط الموحدين

وغيرهما . فهاجم سبتة في آب ١٤١٥ واستولى عليها في محاولة للسيطرة على الساحل الافريقي الشمالي . وقد بدأ البرتغاليون بنقل الذهب والمنتجات الزراعية في أفريقيا بحراً الى لشبونة . ونافسوا بذلك طرق القوافل المارة بمصر . وقد سعى المرينيون لاستعادة سبتة ، حين هاجمها السلطان أبوسعيد المريني ، الا أن البرتغاليين احبطوا المحاولة ، وفي تشرين الاول ١٤٥٨ أحتل البرتغاليون ميناء القصر مصمودة اوقصر معمورة بين سبتة وطنجة كما أستطاعوا وضع حمايتهم على أزمور سنة ١٤٦٨ وفي سنة ١٤٧١ احتلوا اصيلا وطنجة والعرايش . ولم تبق حزة الا تطوان التي ظهرت فيها حركة مقاومة ضد الغزو البرتغالي بقيادة المندري قائد حاميتها . كما ظهرت في مدينة شفشاون سنة ١٤٧١ ، وتقع على ارتفاع الف مترفي جبال الريف بالقرب من تطوان ، حركة مقاومة قادها الشريف العلمي علي بن راشد .

امتاز الغزو البرتغالي بخصائص عديدة ابرزها سيطرة الطابع العسكري والاكتفاء في بداية الامر بالمدن الساحلية . وكانت محاولة التوغل والتحكم في المناطق الداخلية اعتمادا على حصن جزيرة المليحة عند التقاء نهر اللكوس ونهر وادي المخازن اول محاولة في هذا الاتجاه .

لقد أستمر البرتغاليون في توسعاتهم فاتجهوا نحو المغرب الاوسط ، واقاموا مؤسسة تجارية في وهران سنة ١٤٨٣ . وامتد نفوذهم الى مدينة مراكش نفسها وسرعان ماظهرت الدولة السعدية في الجنوب الغربي من وادي السوس لتتحمل مهمة الدفاع عن البلاد وصد الغزو البرتغالي . وكانت بعض جهات الوادي المذكور وخاصة مدينة أغادير قد وقعت في ايدي البرتغاليين . ونجح سلاطين هذه الاسرة في تحرير كثير من موانىء مراكش . ففي سنة ١٥٤١ هاجم السلطان محمد المهدي قلعة سانتاكروز في اقليم العيون الصحراوي واستولى عليها وكان من نتيجة الأندحار البرتغالي هذا اخلاء جميع النقاط المحتلة في أقل من عشر سنين باستثناء سبتة وطنجة ومازاغان وخرج النفوذ السعدي من هذا الامر عظيماً فنودي بمحمد المهدي سلطاناً على مراكش كلها سنة ١٥٤٥ .

٢- الغزو البرتغالي للخليج العربي والبحر الاحمر :

كان لظهور البرتغاليين اوائل القرن السادس عشر أثر بعيد في تاريخ الخليج العربي واقطاره . فقد حولوا طرق التجارة عن مجراها التقليدي المار عبر البحر المتوسط والبحر الاحمر فالبحر العربي والعراق فحرموا منطقة الخليج العربي من مصدر اساس من مصادر ثروتها .

ولقد تحمل مماليك مصر في بادىء الامر ، باعتبارهم القوة الاسلامية الوحيدة مواجهة الخطر البرتغالي الذي بات يهدد طرقهم التجارية المؤدية الى الهند . كما يهدد المراكز الاسلامية المقدسة في الجزيرة العربية خاصة بعد ان اتضحت اهداف البرتغاليين بالتقدم للاستيلاء على مصر والاماكن المقدسة في الحجاز وفلسطين وتجلى ذلك في رغبة القائد البرتغالي الفونسو البوكيرك الذي كان يحلم بقيادة جيوش ضخمة تحقق اهداف البرتغاليين الاستعمارية . وقد ادرك البرتغاليون ان رد الفعل لغزوهم سوف لايقتصر على المقاومة العربية بل يشمل العثمانيين الذين « يحتمل ان يجيئوا لمساعدة ابناء دينهم ... في الخليج العربي » . وعلى الرغم من اختلاف الاهداف السياسية لكل من العثمانيين والبرتغاليين في الاقطار العربية ، غير ان المجابهة العسكرية بين الطرفين كانت محتملة الوقوع أثناء الربع الاول من القرن السادس عشر ، خاصة بعد فشل المماليك في محاولاتهم حماية حدودهم الجنوبية وابعاد الخطر البرتغالي اثناء السنوات الممتدة بين ١٥٠٦ و ١٥٠٩ من جهة ، واندحار الصفويين الفرس امام العثمانيين في معركة جالديران سنة ١٥١٤ من جهة أخرى . وقد سعى القائد البرتغالي البوكيرك بعد ان عرف بهزيمة الفرس الى تجهيز الشاه اسماعيل بالمدفعية اللازمة كي يتمكن الصفويون من اضعاف القوة العثمانية ويعرقلوا تقدم العثمانيين صوب المياه العربية والهندية .

بالرغم من فشل القائد البوكيرك في إحتلال عدن سنة ١٥١٣ بسبب المقاومة الباسلة التي ابداها عرب عدن ، غير انه استطاع الدخول الى البحر الاحمر واحتلال جزيرة كمران الواقعة امام ميناء الصليف شمالي الحديدة فاصبح لذلك ميناء جدة معرضاً لخطر مدفعية البرتغاليين . وقد تمكن القائد العثماني سليمان ريس في سنة ١٥١٧ وسنة ١٥٢٥ احباط الهجمات البرتغالية على جدة وابعاد خطرهم عن مكة المكرمة .

٣- الغزو الاسباني للجزائر وطرابلس وتونس :

اتخذ الغزو الاسباني لاقطار المغرب العربي طابعاً استعمارياً اذ لم يقتنع الاسبان بالقضاء على الوجود العربي في الاندلس وانما هدفوا الى مطاردة العرب في شمال افريقيا والوصول الى مصادر ثروتهم الاساسية . ولقد بارك البابا اسكندر بورجيا الرابع عشر نشاطات الاسبان في هذا المجال ونشر قراراً يعطي الولاية لملكي اسبانيا على الاراضي التي يبسطان السيطرة الاسبانية عليها .

عنيت الحكومة الفرنسية الجنرال بونابرت قائداً لما عرف بـ « جيش الشرق » في ١٢ نيسان ١٧٩٨ وابحرت الحملة من ميناء طولون في جنوب فرنسا في ١٩ أيار سنة ١٧٩٨ وكانت مؤلفة من (٤٠٠٠٠) جندي وما لزمهم من الخيول والمدافع ورافقها (١٤٦) عالماً وفناناً وجغرافيا وفلكياً وجيولوجيا وطبيباً فضلاً عن مختبراتهم وادواتهم العلمية . وكان معظمهم من اعضاء المجمع العلمي الفرنسي . وفي اول تموز ١٧٩٨ بدأ انزال الجيش الفرنسي بالقرب من الاسكندرية . وبعد مقاومة عنيفة من سكانها ، استطاع بونابرت دخول المدينة . وقد فقد الفرنسيون في معارك المقاومة المصرية قرابة مائة وعشرين قتيلاً وجريحاً . اما رجال المقاومة بقيادة السيد محمد كريم محافظ الاسكندرية ، فقد خسروا ما بين سبعمائة وثمانمائة بين قتيل وجريح . ثم واصل بونابرت زحفه نحو القاهرة . وواجه جيشه صعوبات جمة لشدة الحر وقلة الماء والغذاء ، وكان ابناء العشائر العربية المنتشرة على الطريق بين الاسكندرية والقاهرة يتعقبون الجنود الفرنسيين ويغيرون عليهم . وبالقرب من اهرام الجيزة وفي موقع غير بعيد عن القاهرة حدثت المعركة الفاصلة وهي معركة الاهرام . وفيها اصطدم النظام العسكري المملوكي المتخلف بالنظام العسكري الفرنسي الحديث ، وانكشف امر المماليك فلم يصمدوا طويلا . اذ اضطروا الى الاستسلام فدخل الفرنسيون القاهرة في ٢١ تموز سنة ١٧٩٨ .

وزع بونابرت منذ اول يوم لنزول قواته ارض مصر منشوراً باللغة العربية اقترنت فيه وبشكل غريب افكار الثورة الفرنسية في الحرية والاخاء والمساواة مع تهديدات المحتل الغاصب ولكن بونابرت شعر بانه على ارض معادية . اذ تفجرت ثورة القاهرة الاولى ضده . وكان من اسباب الثورة تذمر المصريين من اجراءات الفرنسيين المالية ، اذ اراد بونابرت استغلال مصر لاعالة جيشه وتموينه خاصة بعد ان قطع الاسطول البريطاني بقيادة (نلسون) المواصلات بينه وبين فرنسا ، لذلك عمد الى تحصيل الاموال بمختلف الوسائل . وصار الجامع الأزهر ، ميداناً من ميادين الثورة ضد الغزاة فاسرع بونابرت في اتخاذ الاجراءات الكفيلة باخماد الثورة وامر جنوده باطلاق الرصاص على الثوار ، وضرب الجامع الازهر بالمدافع ، واستشهد الآلاف من السكان تحت انقاض دورهم . وقد ارسل بونابرت حملات عسكرية لحرق القرى الثائرة في منطقة الدلتا .

قرر بونابرت غزو سوريا ، بعد ان علم بتحرك الجيوش العثمانية نحو مصر في شباط ١٧٩٩ وكان يهدف من وراء حملته الى الشام احراج موقف الاسطول البريطاني في البحر المتوسط ، والحيلولة دون حصوله على المؤن والتجهيزات من الموانيء السورية . وقد سقطت العريش والرملة وغزة ويافا بيده ، وفي اذار ضرب الحصار حول عكا ، لمدة ثلاثة شهور

ثم اضطر الى الانسحاب امام حصونها المنيعة ومقاومة أهلها الباسلة ، فضلاً عن المقاومة التي ابدتها الحامية التركية بقيادة احمد باشا الجزار ومساعدة الاسطول البريطاني له وتفشي الطاعون في جيش بونابرت . وبعد عودته الى مصر قرر مغادرتها الى فرنسا بعد ان سمع بسخط الجيش وفشل الحكومة في مواجهة الاضطرابات الداخلية ، وتألب القوى الاوربية عليها . وقد ترك بونابرت للجنرال كليبر امور قيادة الحملة في مصر .

واجه الجنرال كليبر سنة ١٧٩٩ ثورة جديدة في القاهرة اطلق عليها المؤرخون ثورة القاهرة الثانية . لكن كليبر قاوم الثورة بقسوة شديدة ، فطوق القاهرة وقصفها بالمدفعية وعمد الى احترام النار في الاحياء الثائرة .

ومهما يكن ، فقد شعر كليبر بعدم قدرته على البناء في ارض مصر ، فبعث برسالة الى الحكومة العثمانية طالباً فيها انهاء الحرب بين الدولتين ، فبدأت المفاوضات الفرنسية العثمانية وانتهت بعقد معاهدة العريش في كانون الثاني سنة ١٨٠٠ وبموجبها جلا الفرنسيون عن مصر . وقد ساعد على ذلك الصلح بين بريطانيا وفرنسا المعروف بصلح اميان في ٢٧ اذار ١٨٠٢ .

بالرغم من فشل الغزو سياسياً وعسكرياً ، فانه ترك اثاراً مهمة في مصر والوطن العربي كله . فالغزو ايقظ الشعب العربي في مصر من سبات طويل قضاه في ظل السيطرة العثمانية واشعره بشخصيته المتميزة ، ونبه شعوره القومي العربي الذي تمثل بثوراته المستمرة ضد الحكم الفرنسي وقارب بين فئاته المختلفة . فكان ذلك ايذاناً بمولد الفكرة العربية القومية في مصر .

وكان للغزو الفرنسي ، تأثير واضح في بناء المجتمع العربي في مصر واتجاهاته الفكرية التي ظهرت اثارها واضحة فيما بعد . اذ ضعضع البنيان الاجتماعي القائم انذاك ، وهز المفاهيم الفكرية والاجتماعية التقليدية الأمر الذي ادى الى فقدان ثقة المصريين بحكامهم من المماليك والعثمانيين واصبحوا فجأة مسؤولين عن الدفاع عن وطنهم . فتقاربوا تحت هدف واحد ، وهو طرد الفرنسيين من بلادهم واقامة دولتهم الحديثة الموحدة القوية .

والفرنسيون كمستعمرين هدفهم استغلال البلد الذي يحتلونه استغلالاً كاملاً وتسخير امكاناته في خدمة تطورهم الرأسمالي الانتاجي ، لذلك فان بونابرت ، كما اسلفنا ، اصطحب معه عدداً من العلماء من مختلف الاختصاصات لدراسة اوضاع مصر ، لكي

المستوطنين من (٢٤٦) الفا نسمة الى (٣٧٦) الف نسمة سنة ١٨٨١ اي بمعدل (١٣) الفا سنويا . علماً بان نفوس الجزائر كانت تقدر سنة ١٨٧١ بـ (٥,٢٠٠,٠٠٠) مليون نسمة . كما تحولت الجزائر الى سوق للبضائع الفرنسية ، ومصدر كبير للمواد الاولية والغذائية كما استعملت الادارة الفرنسية سياسة عرفت بـ (الادماج) Assimillation اي : تطبيق النظم الفرنسية في الجزائر . وقد توجت هذه السياسة بصدور مرسوم سنة ١٨٨١ الذي تم بموجبه الحاق الجزائر اداريا بفرنسا .

الاحتلال الفرنسي لتونس ١٨٨١

اخذ الفرنسيون بعد احتلالهم الجزائر يعملون من اجل السيطرة على تونس . وقد اتخذوا من انتقال القبائل العربية التونسية عبر الحدود الجزائرية ذريعة للغزو بحجة مساعدتها للثوار الجزائريين . ومما هو معروف فان البريطانيين وعدوا الفرنسيين في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ بانهم لن يقفوا امامهم في حالة استيلائهم على تونس . ولقد توجهت المصالح الفرنسية الى تونس منذ وقت مبكر من القرن التاسع عشر . وازداد محاولات القناصل الفرنسيين للتدخل في شؤون تونس الداخلية وتوريطها في مشاريع اقتصادية وتحميلها الفوائد الكبيرة وذلك من اجل السيطرة على مقدراتها الاقتصادية . ففي سنة ١٨٦١ حصل الفرنسيون على بعض الامتيازات منها امتياز توسيع ميناء تونس وانشاء سكك حديد واقامة خطوط تلغراف واثر ذلك منح الاجانب حق حيازة الارض في تونس . وسرعان ما اخذت البنوك الفرنسية تفرض على تونس قروضاً جائرة . وقد حدث هذا في وقت واحد مع التغلغل الرأسمالي الاجنبي في الدولة العثمانية . وفي سنة ١٨٦٢ بلغت سندات الدين المترتب على باي تونس مبلغا باهضا قدره ٢٨ مليون فرنك . فاضطرت السلطات التونسية الى مضاعفة (جزية النفوس) اوما يعرف بالمجبي وجعلتها ثلاثة اضعاف بعض المناطق الامر الذي ادى الى حدوث تذمر شديد تحول فيما بعد الى انتفاضة شعبية سنة ١٨٦٣ بقيادة علي بن غذاهم الا ان السلطات تمكنت من قمع هذه الثورة .

لقد حاول الباي محمد الصادق (١٨٥٩ - ١٨٨٢) وقف التغلغل الاقتصادي الفرنسي ، والحيلولة دون وقوع تونس فريسة بيد الفرنسيين ، الا ان القنصل الفرنسي (روستان) قام بدورهم في التمهيد بغزو تونس حين طالب حكومته باتخاذ موقف حازم من الباي واجباره على الرضوخ لارادة الفرنسيين ومنحهم تسهيلات مالية جديدة . وقد رأى روستان ان مصالح الفرنسيين تقضي ردع قبيلة بنوخمير التونسية والتذرع بان انتقالها عبر الحدود مع الجزائر مخل بالامن . وفي ٢٤ نيسان ١٨٨١ بدأت القوات الفرنسية باجتياز الحدود التونسية واثناء ذلك وصلت ميناء بنزرت في الاول من أيار ١٨٨١ قوات بحرية فرنسية بقيادة (بريار) الذي توجه نحو العاصمة تونس على رأس قوة عسكرية وفرض على الباي محمد الصادق معاهدة باردو المهينة في ١٢ أيار ١٨٨١ . وقد قضت هذه المعاهدة على استقلال تونس وجردتها من شخصيتها السياسية وحرمتها من ممارسة علاقاتها الخارجية بشكل مستقل .

ثم واصلت القوات الفرنسية زحفها لاحتلال بقية الموانىء والمدن التونسية فضرب اسطولها قابس وصفاقس بالمدافع وتقدمت باتجاه القيروان التي تركزت فيها حالة المقاومة لتستخدم في السيطرة عليها ابشع اساليب التنكيل والبطش بالسكان ومما زاد من قبضتهم وسيطرتهم على البلاد فرضهم معاهدة المرسي على باي تونس الجديد علي الثالث (١٨٨٢ - ١٩٠٢) في ٨ حزيران سنة ١٨٨٣ . وقد وضعت هذه المعاهدة مقدرات تونس الاقتصادية بيد المستعمرين الفرنسيين . كما تم من خلالها فرض الحماية على تونس .

قاوم الشعب العربي في تونس ، المعاهدة وتفجر غضباً على الباي واسرته الذين خانوا الوطن وباعوه للفرنسيين . وسرعان ما تفجرت المقاومة الشعبية في وجه الاحتلال . وظهر زعماء شعبيون ابرزهم علي بن خليفة الذي ظل يقاتل الغزاة في قابس حتى استشهد سنة ١٨٨٤ ، وعلي بن عمار قائد اولاد عيار في منطقة الكاف والقائد حسين بن مسعي في القيروان ، والحاج حوات في القصرين ، واحمد بن يوسف في قفصة ومحمد كمون في وصفاقس . وفي ٦ نيسان ١٨٨٤ عقد مؤتمر شعبي برئاسة الشيخ محمد بن عثمان السنوسي وقد قرر المؤتمر تشكيل وفد يقوم بجمع تواقيع الاجتماع الشعبية وتقديمها الى الباي ، الا ان السلطات الفرنسية سرعان ما لجأت الى اعتقال قادة الحركة ونفي بعضهم الى خارج تونس ومنهم الشيخ السنوسي نفسه .

ومهما يكن من أمر ، فقد تبلور نتيجة الكفاح ضد الاحتلال الفرنسي موقفان : الاول موقف استسلامي مشين من جانب الباي وحاشيته ، والثاني جانب المقاومة البطولية الشعبية للاحتلال . وقد ظل هذان الاتجاهان ملازمين للحركة الوطنية التونسية طوال فترة النضال الوطني كما سنرى .

مراكش ١٨٣٠ – ١٩١٤ :

سعت فرنسا لاكمال سيطرتها على المغرب العربي وتحقيق اطماعها الاستعمارية فيه . ومع ان تاريخ التغلغل الفرنسي الاستعماري في شؤون مراكش يعود الى ماقبل القرن التاسع عشر ، الا ان هذا التدخل اتخذ صيغة استعمارية واضحة عقب الغزو الفرنسي للجزائر سنة ١٨٣٠ .

ولقد اشرنا فيما سبق الى ان المناضل الجزائري عبد القادر حين لجأ الى الاراضي المراكشية احتجت فرنسا على سلطان مراكش مولاي عبد الرحمن بن هشام (١٨٢٢ – ١٨٥٩) واصطدمت بقواته في وادي اسلي قرب مدينة وجدة في ١٤ آب ١٨٤٤ . وقد اسفر الصدام عن توقيع اتفاقية تشرين الثاني ١٨٤٤ التي نصت على تسريح جيش مراكش في منطقة الحدود . وفي حزيران ١٨٤٥ وقعت اتفاقية اخرى تتعلق بالحدود وبموجبها عدت الصحراء الكبرى ارضا مشاعاً ، ليست تابعة لأحد ، ولكن فرنسا سرعان ماادركت اهميتها بعد التوغل في السودان الفرنسي انذاك (مالي الحالية) وشروعها بمد خط حديدي بين الجزائر وتمبكتو وقيام ثورة (بو عمامة) جنوبي وهران .

اعدت فرنسا العدة لاحتلال مراكش وذلك حماية لمصالحها الاقتصادية والاستعمارية . فقد باتت تحتل مركزاً ممتازاً في مراكش في اعقاب ارتفاع نصيبها من تجارة مراكش الخارجية سنة ١٩٠٨ الى ٤٥ ٪ ومهدت لذلك بحل مشاكلها مع بريطانيا واسبانيا وهما من الدول الطامعة بمراكش . فقد اعترفت للاولى باحتلالها لمصر وللثانية باحتلالها لمنطقة الريف المراكشي .

بدأت فرنسا بالضغط على السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الذي نُودي به سلطاناً سنة ١٩٠٨ ، مستغلة تردي اوضاع البلاد المالية فعرضت عليه قروضا جديدة ، ولكن شروط قاسية في هذه المرة مثل وضع ايرادات الجمارك التي تجمع من موانيء مراكش ورسوم الشاي و ٥٠ ٪ من الضرائب العقارية بالمدن وايرادات الاملاك الاميرية تحت تصرفها لتغطية هذه الديون . وحصلت اسبانيا على بعض الامتيازات الاقتصادية المماثلة للامتيازات الفرنسية في منطقة نفوذها فاضطر السلطان الى قبولها على مضض وبذلك فقد هيبته بسبب استسلامه لمطاليب الاوربيين واطماعهم في بلاده .

اندلعت الثورة سنة ١٩١٠ ضد السلطان عبد الحفيظ وعجزت قواته بالرغم من المساعدة العسكرية التي حصل عليهامن الفرنسيين ، عن اخمادها . فقد دخل الجلاوي زعيم الاطلس مدينة مكناس بالتعاون مع قبائل بني مطير . وامتدت الثورة الى فاس . وهنا تدخلت القوات الفرنسية لتحتل خلال شهري نيسان وايار ١٩١١ مدينتي الرباط وفاس . وفي ايلول حدثت ازمة اغادير حين اعترضت المانيا على دخول سفن حربية فرنسية هذا الميناء الذي كان يعد داخلاً ضمن منطقة نفوذها منذ كانون الثاني ١٩٠٦ حين قرر مؤتمر الجزيره الخضراء الواقعة في ساحل اسبانيا الجنوبي ان يكون للدولة الاوربية الحق في الحصول على امتيازات اقتصادية وعسكرية في مراكش . ولكن فرنسا ساومت المانيا وتنازلت لها عن المنطقة الساحلية في الكونغو ارضاء لها ، مما مكن فرنسا من اعلان حمايتها على مراكش في ٣٠ آذار سنة ١٩١٢ وفرضها معاهدة مهينة على السلطان عبد الحفيظ تضمنت موافقته على ان تحتل فرنسا اي جزء من البلاد تراه ضروريا لمصالحها . وقد تعهدت فرنسا بحماية السلطان وتولى المقيم العام الفرنسي مهمة تمثيل بلاده لدى السلطان . وفي آب ١٩١٢ تنازل السلطان عبد الحفيظ عن الحكم لاخيه يوسف بن الحسن الذي اصبح اداة طيعة في يد المحتلين الفرنسيين . ومهما يكن من امر ، فان مراكش اصبحت قبيل الحرب العالمية الاولى مقسمة الى ثلاث مناطق ، الاولى منطقة نفوذ فرنسي وتشمل معظم مراكش ومركزها الرباط . والثانية منطقة نفوذ اسباني في الريف وهي المنطقة المطلة على مضيق جبل طارق ومركزها تطوان . اما منطقة طنجة فقد بقيت تحت الادارة الدولية .

٦ – التغلغل البريطاني في الخليج العربي والعراق :

يرجع تاريخ التغلغل البريطاني في الخليج العربي الى العقد الاول من القرن السابع عشر وتلت ذلك مدة قرن ونصف من تاريخ البريطانيين في المنطقة قوامها الصراع المستمر مع قوى اوربية اخرى امثال البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين ومع القوى المحلية ومنهم العرب والفرس والعثمانيون . وقد لعبت شركة الهند الشرقية البريطانية دوراً كبيراً في توسيع النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي . وقد صار ميناء بندر عباس القريب منها المركز الرئيس للنشاط السياسي والتجاري في الخليج العربي مدة زادت على مئة وخمسين سنة . كما حصل الانكليز على امتيازات جديدة من ايران تمنحهم الحق بشراء اية كمية من الحرير الفارسي وتصديره دون اية رسوم جمركية . وكان جل اهتمام الانكليز في تجارتهم مع الخليج العربي منصباً على جعل ايران سوقاً ملائمة لاقمشتهم الصوفية . الا ان الانكلـ

اضطروا لمواجهة التنافس الهولندي في الخليج العربي وعانت تجارتهم في بندر عباس من التوقف التام. لذلك تركوه سنة ١٧٦٣ وذهبوا الى البصرة التي اصبحت المقر الرئيس للتجارة البريطانية في الخليج العربي.

لقد ادركت بريطانيا عندما تعرض نفوذها في شبه القارة الهندية للخطر بسبب حروب الثورة الفرنسية وغزو نابليون لمصر سنة ١٧٩٨ وتهديده لطرق المواصلات البريطانية مع الشرق. بأهمية الخليج العربي الستراتيجية، ورأت فيه منذ ذلك الوقت منفذاً مهماً لتهديد مواصلاتها وامبراطوريتها في الهند. فأخذت تحاول بسط نفوذها السياسي عليه. وكان طبيعيا ان يتسلل الاستعمار البريطاني الى العراق بحكم موقعه على طريق الهند.

اخذت بريطانيا تبدي اهتماماً متزايداً بالعراق منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر حماية للهند وتامينا لطرق مواصلاتها وما كان يهددها. فوقفت بوجه المنافسة البرتغالية والفرنسية والهولندية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. واضاف تقدم الملاحة النهرية في النصف الاول من القرن التاسع عشر اهمية جديدة للعراق اذ حاولت بريطانيا استخدام نهر الفرات في المواصلات بين البحر المتوسط والخليج العربي لذلك عمدت في سنة ١٨٣٠ الى ارسال الكابتن فرنسيس رودن جزني Chesny ليقوم بمسح نهر الفرات والتعرف على مدى صلاحيته للملاحة. كما حصلت اسرة لينج البريطانية من الحكومة العثمانية سنة ١٨٦١ على حق تسيير باخرة في المياه العراقية. وسرعان ماأسست اسرة لينج شركة الملاحة التجارية في دجلة والفرات والتي لعبت دوراً مهما في تثبيت المصالح البريطانية في العراق في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

هذا وقد بذلت بريطانيا جهوداً كبيرة لانشاء خطوط برقية تربطها بالهند عن طريق العراق والخليج العربي. ووجهت اهتمامها الى تاسيس خطوط بريدية عبر العراق. وبلغ ازدياد نفوذ بريطانيا في العراق حداً دفعها الى التدخل في شؤونه الداخلية حتى ان القنصل البريطاني في بغداد صار في اواخر القرن التاسع عشر الرجل الثاني في الاهمية بعد والي بغداد. وكان لبريطانيا المنزلة الاولى في البضائع التي تصدر من العراق وتدخل اليه واصبح العراق سوقاً للبضائع الانكليزية. واشتملت مصالح بريطانيا التجارية في العراق كذلك على رعاية مصالح الشركات التجارية البريطانية التي بلغ عددها في اواخر القرن التاسع عشر (١٦) شركة. وقدسيطرت بريطانيا، عن طريق هذه الشركات على قرابة (٩٠٪) من تجارة العراق الخارجية. كما اسست في العراق فروع لعدة مصارف انكليزية لتسهيل المتاجرة واستثمار رؤوس الاموال البريطانية.

كما اتجهت انظار العالم الرأسمالي الى العراق في اواخر القرن التاسع عشر، نتيجة لاكتشاف منابع غزيرة للنفط في ولايتي الموصل وبغداد. وقد اتفق الانكليز والالمان على تكوين جبهة واحدة نتيجة للجهود التي بذلها كالوست سركيس كولبنكيان، وهو مهندس ارمني الاصل عثماني الجنسية كان له دور كبير في اثارة الانتباه الى امكانات العراق النفطية وقد تأسست شركة النفط التركية في كانون الثاني ١٩١١ برؤوس أموال بريطانية والمانية وفي اوائل حزيران سنة ١٩١٤ شرعت الشركة بمفاوضة الحكومة العثمانية للحصول على امتياز للنفط في العراق. لكن المفاوضات انقطعت بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى. وقد استولى مراقب أموال الاجانب في بريطانيا على حصص الالمان في شركة النفط التركية واخضعها للادارة البريطانية، فبدأت لذلك مرحلة جديدة من مراحل الصراع من اجل النفط العراقي بين القوى الامبريالية.

اما في الخليج العربي، فقد اصطدم البريطانيون في البداية بالقبائل العربية ذات القوة البحرية المتميزة والحيوية العظيمة مثل قبائل القواسم على ساحل عمان، وعرب مسقط وعمان وقبائل العتوب في البحرين وقطر والكويت. ولقد كان لخوف بريطانيا من اشتداد المقاومة العربية لنفوذها في الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية، وبظهور منافسة الدول الاوربية الاخرى لها في الخليج اثر كبير في دفعها الى عقد سلسلة من الاتفاقيات غير المتكافئة مع حكام مسقط (البوسعيد) والبحرين (آل خليفه) والكويت (آل صباح) وقطر (آل ثاني) الغرض منها المحافظة على (الوضع القائم) في المشيخات والحد من استقلال حكامها وتقييد سياستهم الخارجية وقد تعهد جميع الحكام بموجب تلك الاتفاقيات بعدم منح الامتيازات الى اية دولة اجنبية الا بموافقة بريطانيا التي تعهدت هي كذلك بحمايتهم من اي عدوان خارجي.

اما القواسم الذين ظهروا كأكبر تكتل قبائلي عربي استوطن المنطقة الواقعة بين رأس مسندم شمالاً وابوظبي جنوبا. فقد اخضعوا بعد ان دحرت قواهم العسكرية والبحرية. وفي ٨ كانون الثاني ١٨٢٠ استدعى الجنرال كرانت كير Keir البريطاني زعيم القواسم حسن بن رحمة ١٨١٤-١٨٢٠ وأجبره على توقيع معاهدة وضعت حداً لنشاط القواسم المعادي للهيمنة البريطانية. كما بادر الجنرال كير في اذار ١٨٢٠ الى عقد اتفاقيات منفردة مع شيوخ الساحل العماني وهم سلطان بن صقر شيخ الشارقة، وشخبوط بن دياب شيخ ابوظبي، ومحمد ابن هزاع شيخ دبي. وراشد بن احمد شيخ عجمان، وعبدالله بن راشد ام القيوين. وتبرز اهميته هذه الاتفاقيات بانها ادت الى تدخل الانكليز في شؤون المشيخات العربية وتمزيقها وزيادة ضعفها

ان تلك الاوضاع لم تمنع الشعب العربي في هذه المنطقة ان يقوم بالعديد من الانتفاضات ففي عمان نشبت سنة ١٨٦٢ انتفاضة عربية استمرت قرابة عشر سنوات ضد سلطان مسقط ثويني بن سعيد (١٨٥٨–١٨٦٦) ، الا ان الانكليز تمكنوا من قمعها سنة ١٨٧١ . ولقي (عزان بن قيس) قائد الانتفاضة حتفه في المعارك ، واستولى الانكليز على مسقط ، ووضعوا على رأس الحكم السلطان تركي بن سعيد (١٨٧١–١٨٨٨) وفي سنة ١٨٨٦ نشبت في عمان انتفاضة حاصر فيها الثوار مدينة مسقط ولكن السلطان تركي استنجد بالانكليز الذين سارعوا الى اخمادها .

لقد اثار خضوع حكام مسقط للانكليز موجة استياء واسعة في البلاد . ففي سنة ١٩١٣ انتفض العمانيون بقيادة سالم بن راشد الخروصي وألفوا حكومة مستقلة واتخذوا من نزوى عاصمة لهم وقد استطاع الثوار تحرير جميع اراضي عمان ماعدا مسقط والمناطق الساحلية التي ظلت تحت حماية الاسطول البريطاني .

اما في عدن فقد واجه الانكليز انتفاضات مماثلة . ففي سنة ١٨٤٠ حدثت انتفاضة عارمة ، لم يكد الانكليز يقضون عليها حتى نشبت انتفاضة اخرى في سنة ١٨٤٦ وفي سنة ١٨٤٩ تسلم الحكم في لحج السلطان علي محسن فأرسل قواته لمحاربة الانكليز في عدن اوائل اذار سنة ١٨٥٨ ، الا ان قواته منيت بالفشل فاضطر الى الانصياع بعد ذلك لكل متطلبات سياسة الانكليز في جنوب اليمن .

وفي سنة ١٨٦٧ رفضت القبائل العربية الثائرة في جنوب الجزيرة العربية الاعتراف باستيلاء بريطانيا على عدن فارسل الانكليز حملات ضدهم . وفي سنة ١٨٦٩ احتل الانكليز سلطنة لحج وسرعان ما اخضعوا بعد ذلك جميع مشيخات الجنوب العربي المجاورة لمستعمرة عدن كما سبق ان قدمنا . وفي الوقت ذاته شرعت بريطانيا بالاستيلاء حضرموت وتحت فوهات المدافع البريطانية خضع سلاطين وشيوخ حضرموت الواحد تلو الآخر .

وفي اواخر القرن التاسع عشر استطاعت بريطانيا بوسائل عديدة تقوية مواقعها في الخليج العربي ، ففي سنة ١٨٨٠ فرضت معاهدة جديدة على البحرين . وفي سنة ١٨٨٢ استولت على شبه جزيرة قطر . وفي سنة ١٨٩٢ عقدت سلسلة من المعاهدات مع شيوخ الساحل العماني . وفي ١٨٩٩ عقدت معاهدة مع مبارك الصباح شيخ الكويت (١٨٩٦ -- ١٩١٥) .

٧ – الاحتلال والهيمنة البريطانيتين على مصر والسودان :

اشرنا فيما سبق الى الاحتلال الفرنسي لمصر وقد اصبحت بريطانيا منذ جلاء الفرنسيين سنة ١٨٠١ تخطط لاحتلال مصر فسعت أولاً . من خلال معاهدة لندن ١٨٤٠ ان تقلص من نفوذ محمد علي باشا والي مصر وتمنعه من تنفيذ مشروعه في ضم السودان والشام والعراق والجزيرة العربية واقطار الخليج العربي واقطار المغرب العربي وتكوين دولة عربية موحدة . وسرعان ما شعرت باهمية مصر بعد فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩ تلك القناة التي اخذت اهمية كبيرة للتجارة البريطانية . وبافتتاح القناة دخلت القضية المصرية مرحلة جديدة . اذ صار ينظر اليها كأنها هي قضية قناة السويس وهيأ حاكم مصر الخديوي اسماعيل (١٨٦٣–١٨٧٩) للبريطانيين الفرصة للتدخل في شؤون مصر بل لاحتلالها فقد كان مسرفاً ستدان مبالغ طائلة من المصارف الانكليزية والفرنسية وكان هدفه جعل مصر قطعة من اوربا ، كما كان يقول الامر الذي دفع الانكليز والفرنسيين كذلك للتدخل في شؤون مصر بحجة حماية مصالحها الاقتصادية . وقد وجدت بريطانيا في اضطرار الخديوي اسماعيل لبيع حصة الحكومة المصرية في القناة والبالغة (١٧٧) الف سهم او ٤٤ ٪ من مجموع رأسمال الشركة لكي تهيمن على انتصار مصر . فاتخذت تدابير سريعة لشراء أسهم مصر بثمن بخس لم يكن يزد عن (٤) ملايين استرليني في حين كلف مشروع القناة مصر (١٦) مليون باون و عرقها بدين مقداره مائة مليون باون . وهكذا اصبح في حوزة الحكومة البريطانية (١٧٧) الف سهم من اسهم شركة القناة . وحين توقف الخديوي اسماعيل في ٨ نيسان ١٨٧٦ عن دفع سنداته المالية للمصارف البريطانية والفرنسية فرضت على مصر رقابة مالية ثم تدخل الانكليز لعزله والاتيان بابنه الخديوي توفيق (١٨٧٩ – ١٨٩٢) والذي كان اكثر استجابة للمطالب الاجنبية .

لقد كان من نتيجة التغلغل الاجنبي ، وسوء الاوضاع الاقتصادية والسخط الشعبي من جراء الضرائب الفادحة وتدخل الاجانب في شؤون مصر وازدياد الوعي السياسي ان لجأ العسكريون القوميون الى القيام بثورة مسلحة في ١٨ شباط ١٨٧٩ بقيادة الاميرالاي احمد عرابي باشا (١٨٣٩ – ١٩١١) ولكن بريطانيا تدخلت الى جانب الخديوي توفيق . اذ قصفت السفن البريطانية ميناء الاسكندرية في ١١ تموز ١٨٨٢ وزحفت القوات البريطانية باتجاه القاهرة ودارت معركة دامية سميت بمعركة التل الكبير

١٣ ايلول ١٨٨٢ استسلم على اثرها عرابي وحوكم هو وصحبه وحكم عليه بالاعدام ثم ابدل الحكم بالنفي المؤبد من مصر. وقد تفانى المصريون في الدفاع عن ثورتهم حتى تحولت بعض مدنهم كالاسكندرية بفعل القصف المدفعي البريطاني الى كومة من الانقاض.

لقد ادعت بريطانيا منذ اليوم الاول لدخول قواتها مصر بأن احتلالها سيكون مؤقتا وانها لم تتدخل الا « لصيانة ارواح واموال رعاياها ، والدول الاوربية الاخرى ولتوطيد الامن والنظام وتلك حجة كل مستعمر غاصب » لكنها بقيت ، حتى الحرب العالمية الاولى حين اعلنت في ١٨ كانون الاول ١٩١٤ الحماية رسمياً على مصر.

بالرغم من تشتت الوطنيين وتنكيل المحاكم بقادة الثورة العرابية وانصارها ، فان مصر لم تخل من وجود نشاط وطني. فخلال السنوات الاولى من الاحتلال تم اكتشاف جمعية اطلقت على نفسها اسم جمعية الانتقام وغرضها طرد الانكليز من البلاد ومعاقبة اعوان الاحتلال. كما لجا الوطنيون الى الصحف لاعلان سخطهم على الاحتلال. وكان من ابرز الذين عملوا من اجل القضية الوطنية في السنوات اللاحقة للاحتلال وحتى نشوب الحرب العالمية الاولى : مصطفى كامل وهو كاتب ومثقف ومحام مصري الف في سنة ١٨٩١ حلقة من الشباب المصري التفت حول جريدة (اللواء) التي اصدرها في سنة ١٩٠٠ واهتمت بفضح سياسة الانكليز في مصر. وقد اقتصر نشاط مصطفى كامل حتى سنة ١٩٠٥ على التثقيف الوطني. وبعد مجزرة دنشواي ١٩٠٦ (قرية قرب مدينة طنطا) التي فتح فيها الضباط الانكليز النار على الفلاحين بحجة اعتدائهم على ضابط انكليزي أتلف، هو واصحابه مزروعاتهم. غدا مصطفى كامل زعيما وطنيا لمصر. اذ الف حزبا سماه الحزب الوطني وذلك في تشرين الاول ١٩٠٧. وكان من اهداف هذا الحزب الدعوة الى المطالبة بجلاء الانكليز عن مصر وتحقيق وحدة وادي النيل (مصر والسودان). وكان على المصريين ان ينتظروا انتهاء الحرب العالمية الاولى ليبدأوا مرحلة جديدة من نضالهم من اجل التحرر والاستقلال والتخلص من الاحتلال البريطاني ، قادها حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول.

وفي السودان. شجع نشوب الثورة العرابية في مصر سنة ١٨٨١ ، وانتشار الوعي القومي ، السودانيين على ان يفعلوا فعل اخوانهم المصريين فيثوروا صيف سنة ١٨٨١ بقيادة محمد احمد بن عبد الله المهدي ضد استبداد الخديوي وحكومته. وكما هو معروف ان السودان دخل في حوزة الحكم المصري في عهد محمد علي باشا بين سنتي (١٨٢٠-

١٨٢٢) وان المصريين حققوا في السودان امرين مهمين : اولهما تحديثه. وثانيهما توطيد الوحدة الوطنية فيه. الا ان اوضاع مصر السياسية والاقتصادية المتدهورة وخاصة في عهد الخديوي اسماعيل والخديوي توفيق ، سرعان ماانعكست على السودان حيث اشتدت الضائقة الاقتصادية وعم الفساد الاداري فيه. ومما زاد في ذلك استعانة الخديوي بعدد من المغامرين الاووبيين الذين اندفعوا الى السودان لتحقيق اهداف دولهم الاستعمارية ومن هولاء السير صموئيل بيكر Baker والذي عهد اليه الخديوي اسماعيل سنة ١٨٦٩ بادارة مديرية خط الاستواء وتولى بعده الجنرال كوردن Gordon منذ سنة ١٨٧٤ مهمة توطيد السيطرة المصرية وتوسيعها وهو في الواقع يوطد سيادة بلاده ونفوذها.

ثم جاءت حملة عسكرية بريطانية تمكن الثوار السودانيون من ابادتها. وفي ١٨ شباط ١٨٨٣ حرر المهديون (الابيض) عاصمة كردفان. واتسع نطاق ثورتهم في مناطق السودان الاخرى ، حتى انهم اعلنوا تأسيس الدولة المهدية في السودان. ويبدو أن الانكليز تباطأوا في توجيه القوات العسكرية للقضاء على الثورة في السودان ، وذلك لكي يشعروا المصريين بعجزهم عن اخماد الثورة وعندئذ يتسنى لهم تنفيذ سياستهم القائمة على الانفراد بالسودان وفصله عن مصر. ولقد تحقق لهم ماارادوا اذ أنهت القوات البريطانية عملية اسقاط الدولة المهدية في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ واقامت نظام حكم جديد للسودان باسم (كوندمنيون Condimininm) أي نظام الحكم الثنائي ومنذ ١٨٩٩ عرف السودان رسمياً بالسودان الانكليزي – المصري.

لقد ابدى السودانيون سخطهم على الاوضاع التي جاءت بها اتفاقية سنة ١٨٩٩ واعترضوا على اساليب الانكليز الادارية وخاصة في توزيع السكان حسب قبائلهم في المستندات الرسمية وتقريب بعض رؤساء القبائل بدعوى الادارة اللامركزية ، ولم يروا في تلك الاساليب سوى خطوة الهدف منها اثارة النعرة القبلية وتجاهل الرابطة القومية للسودانيين مع اخوانهم في مصر. وفي الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى شكل الانكليز مجلس الحاكم العام ، لادارة البلاد. ويتألف من السكرتير الاداري والقضائي والمالي والمفتش العام وعدد من رؤساء الدوائر ومنها المصارف والري والزراعة.

اما الاراضي العربية المطلة على البحر الاحمر من جهة الغرب ، اي الصومال وارتيريا فقد تعرضت للغزو الاستعماري الاوربي منذ بدء حركة الاستكشافات الجغرافية. فكان الصراع قويا بين العثمانيين المسيطرين على مصر والسودان في الساحل الغربي للبحر الاحمر وعلى الساحل الشرقي للبحر نفسه والبرتغاليين ومن تلاهم من الايطاليين. غير ان هذه

المنطقة تم اقتسامها في اواخر القرن التاسع عشر بين فرنسا وايطاليا وبريطانيا واثيوبيا وأقر هذا التقسيم في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ .

بدأ التغلغل الايطالي في ساحل البحر الاحمر والسودان الشرقي منذ سنة ١٨١٩ . وفي سنة ١٨٨١ عينت ايطاليا مقيماً لها في منطقة عصب عند مضيق باب المندب . وبعد اربع سنوات ارسلت الحكومة الايطالية قوات عسكرية لأحتلال عصب . وقد راقب المستعمرون الايطاليون عن كثب استفحال الثورة المهدية . ففي اول كانون الثاني سنة ١٨٨٩ صدر مرسوم ملكي في ايطاليا بانشاء مستعمرة ارتيريا . وبعد هزيمة المهديين احتل الايطاليون مدينتي اغوردات وكسلا . وقد سعى الايطاليون لتثبيت نفوذهم في ارتيريا بعقد بضع اتفاقات مع بريطانيا وحكومتي السودان واثيوبيا تتعلق بحدود المستعمرة .

اما فرنسا فقد احتلت جيبوتي ، وكان لايطاليا موضع قدم كذلك في الساحل الصومالي . وقد احتلت بريطانيا بقية اراضي الصومال وعلى هذا النحو اقتسمت الدول الاستعمارية الصومال فيما بينها فظهر ماسمي فيما بعد بالصومال الايطالي ، والصومال البريطاني والصومال الفرنسي . كما احتلت اثيوبيا الصومال الغربي المعروف بمنطقة اوغادين .

الاحتلال الايطالي لليبيا :

ترجع الجذور التاريخية للمصالح الاقتصادية والثقافية لايطاليا في ليبيا الى اواخر القرن التاسع عشر . وفي سنة ١٩٠٥ انشأ بنك دي روما فرعاً له من طرابلس وآخر في برقة ، واخذ يقدم القروض والتسهيلات المصرية ويستثمر الاموال في ليبيا . كما انشأت ايطاليا في بنغازي مكتبا للبريد والبرق . وفتحت قنصلية في كل من برقة وطرابلس واسست بعض مدارس ايطالية اخذت على عاتقها نشر اللغة والثقافة الايطاليتين . وارسلت ايطاليا بعثات علمية وعسكرية لاستكشاف ليبيا ووضع المصورات والخرائط التي سهلت فيما بعد عملية الاحتلال .

ومنذ افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ بدأ التفكير في امكانية التدخل الايطالي في ليبيا لان هذا الحدث اخذ يقوي نزعه ايطاليا الاستعمارية وينمي اتجاهاتها لايجاد مواطيء قدم في الاقطار المطلة على البحر المتوسط وجاء احتلال الفرنسيين لفاس سنة ١٩١١ ليقدم للايطاليين الفرصة لتحقيق اطماعهم في ليبيا . فارسلوا في ٢٧ أيلول سنة

١٩١١ انذاراً الى الحكومة العثمانية ادعوا فيه ان العثمانيين يعرقلون مصالحهم الاقتصادية في ليبيا . ويضطهدون الرعايا الايطاليين ، وانهم غير قادرين على توطيد الامن وترقية ليبيا . وفي مساء ٩ ، ايلول ١٩١١ سلم ممثل الحكومة الايطالية في استانبول الى الصدر الاعظم ابراهيم حقي باشا بياناً باعلان الحرب . وظهر الاسطول الايطالي امام مدينة طرابلس وطلب قائد الاسطول تسليم المدينة خلال (٢٤) ساعة . وبدأ الغزو الايطالي بقصف مدينة درنة يوم ٣٠ ايلول وطرابلس في يوم ٣ تشرين الاول وتم احتلالهما في الفترة من ١١ - ١٣ تشرين الاول ١٩١٣ . وقد خاض الليبيون معارك عديدة مع الايطاليين اهمها معركة بوملیانه في ١٠ تشرين الثاني ١٩١١ وعين زارة في ٨ كانون الاول ١٩١١ وبير طرابلس في ١٩ كانون الاول ١٩١١ . وقد قدرت القوات الايطالية التي اشتركت في هذه المعارك بنحو (٢٥) الف جندي . وقد استمرت المرحلة الاولى من الحرب الطرابلسية حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩١٢ حين وقع الايطاليون والعثمانيون معاهدة لوقف اطلاق النار في مدينة اوشي بسويسرا وذلك بعد ان صعب على الايطاليون الوصول الى نصر حاسم . وفي ٢٥ شباط ١٩١٣ اعلن ملك ايطاليا مرسوماً اعلن فيه وضع برقة وطرابلس تحت السيادة الايطالية فاضطرت الدولة العثمانية الى سحب قواتها وموظفيها وهكذا وقع عبء المقاومة على عاتق الشعب العربي في ليبيا ، وحفز انسحاب العثمانيين الليبيين على بذل المزيد من العطاء والنضال من اجل تحرير وطنهم .

عمد المستعمرون الايطاليون على قذف المواطنين الليبيين الى الجنوب حيث الصحراء وحيث تكون الزراعة فقيرة بسبب قلة المياه ، واحلال الايطاليين محلهم على الشريط الساحلي لليبيا . كما فرضت السلطات المحتلة الضرائب القادحة ومنها الرسوم الجمركية وبعض رسوم الدمغة وعوائد احتكار التبغ والكبريت والملح وكان الهدف الاساسي للسياسة المالية للحكم الايطالي العسكري هو الاعتماد على ايرادات ليبيا الذاتية لتحويل مشاريع الاستيطان الزراعي للايطاليين ، ولمواجهه النفقات الادارية والعسكرية . الا ان ضعف الاقتصاد الليبي انذاك من جهة . واستمرار الكفاح الوطني المسلح من جهة اخرى ، لم يمكن الحكم العسكري من تحقيق هدفه . وقد تطلب ذلك تسهيل الاستيلاء على الاراضي الزراعية ومنحها للايطاليين لاستثمارها وقد قدرت مساحة الاراضي التي تم منحها حتى سنة ١٩٢٢ بنحو (٣٦١٢) هكتارا تقع في جهات مختلفة من ضواحي مدينة طرابلس . وقد قام مصرف روما بدور كبير في تسهيل عمليات التسليف الزراعي للمستوطنين . كما تم انشاء مصانع ومؤسسات

لغرض استغلال ملح البحر والتوسع في انتاج الزيتون والتبغ . ومهما يكن من امر فان السياسة الاستعمارية الايطالية قد ساهمت الى حد كبير في نهب ثروات ليبيا وتسخيرها في خدمة المصالح الايطالية والحيلولة دون رفع مستوى السكان .

تركزت المقاومة العربية في منطقتين : أولهما طرابلس وثانيهما برقة . ففي طرابلس عقد زعماء الحركة الوطنية اجتماعات في لواء الجبل ولواء فزان ورفله لدراسة الحالة وأتخاذ مايلزم من التدابير ، فقرروا أعلان أستقلال طرابلس وأنشاء حكومة وطنية برئاسة الشيخ سليمان الباروني . ولكن محاولة الأستقلال هذه سرعان ماتهاوت تحت ضربات القوات الأيطالية التي أستخدمت القسوة والعنف الشديدين .

كما تزعم عزيز علي المصري ، الضابط العربي المعروف في الجيش العثماني حركة المقاومة في برقة . وذلك بأشراف الشيخ أحمد السنوسي ، وقد تصدى رجال المقاومة للمستعمرين وحالوا بينهم وبين أحتلال الجبل الأخضر ، ولكن ضغط ايطاليا على الحكومة العثمانية أدى الى سحب عزيز علي المصري ورفاقه من ليبيا . وكان لأنسحاب المصري نحو الأراضي المصرية أثر كبير في ضعف حركة المقاومة .

وفي فزان واجهت القوات الأيطالية بقيادة الكولونيل انطونيو مياني مقاومة عنيفة كان على رأسها السيد محمد بن عبد الله اليوسفي الذي أستشهد في القتال. وأحتلت القوات الأيطالية مدينة مرزوق . ولكن قوات المجاهدين بزعامة سالم عبد النبي الزنتاني أخذت تتحين الفرص للانقضاض على الأيطاليين . ففي ١٠ أيلول سنة ١٩١٤ أنسحبت القوات الأيطالية تحت وطأة المقاومة وأخلت مرزوق وأتجهت نحو مصراته . وفي ٢٩ نيسان ١٩١٥ حدثت في مصراته معركة عنيفة بين المستعمرين الأيطاليين والمجاهدين سميت بمعركة (القرضابية) . وكانت معركة حاسمة ذات أثر في حصر نفوذ الأيطاليين في الساحل وتشجيع رمضان بك السويحلي زعيم مصراته على أقامة حكومة محلية في مصراته وتنسيق حركة المقاومة المسلحة ضد المحتلين . ولكن عنفوان الحرب العالمية الاولى حال دون ذلك ، وقدر فيما بعد لعمر المختار ان يقود حركة المقاومة في ليبيا حتى سقط أسيراً بيد الايطاليين سنة ١٩٣١ .

معركة القرضابية ٢٩ نيسان ١٩١٥

الفصل الثالث

نشاة الحركة القومية العربية

مقدمـة :

شهد الوطن العربي منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حركات تجديدية ذوات طابع ديني عدها المؤرخون ردود فعل على سيطرة العثمانيين، وأحتجاجاً على عجزهم وفسادهم وأستغلالهم من جهة وضد التغلغل الأستعماري الأوربي في الولايات العربية من جهة أخرى، ولعل من أبرز هذه الحركات الوهابية في الجزيرة العربية، والسنوسية في ليبيا، والمهدية في السودان، ولقد أتضح الطابع الوطني والقومي لهذه الحركات من خلال أهدافها ومرتكزاتها الأساسية التي أكدت أهمية العودة الى الأسلام في صورته الأولى وطهارته ونقائه ووحدانيته وتخليصه من الشوائب التي علقت به نتيجة عهود التدهور والأستغلال. وتكاد هذه الحركات تتشابه فيما بينها وخاصة في ارتكازها على أسس رئيسية أبرزها : التوحيد والأجتهاد والجهاد. فبالنسبة للتوحيد، فـأن الحركات الثلاث اكدت على أهمية التوحيد والعودة الى الشهادة، وتخليص الاسلام من البدع والعادات الضارة. وفيما يتعلق بالاجتهاد، فقد رات هذه الحركات ضرورة فتح باب الأجتهاد والتماس الحلول لمختلف قضايا المجتمع من المصادر الأصليـة وفي مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوي وأجماع المسلمين على حكم معيـن بحيث لايتعارض مع نصوص المصدرين الأساسيين للشريعة وبصدد الجهاد، فقـد دعت هذه الحركات الى العمل على تخليص الوطن العربي من النير الأجنبي مهما كان نوعه وشكله.

ومع أن تلك الحركات، قد حررت الفكر العربي والأسلامي من السلبية والأنعزال والجبرية، لكنها عجزت، بسبب أفتقادها الى المنهج العلمي والمنظور الحضاري عن فهم واستيعاب تناقضات المجتمع العربي وشبكـة العلاقات التي توحدتلك التناقضـات والأهداف في هدف جامع شامل، ذلك هوهدف الأنبعاث القومي.

لقد ساعدت الظروف السياسية والأقتصادية والأجتماعية التي تعرض لها الوطن العربي في اواخر القرن التاسع عشر على تدفق رؤوس الاموال الأجنبيه نحو الولايات العربية وأتجاه التجار الأوروبيين الى جعل هذه الولايات كلها منتجة للمواد الاولية والغذائية وسوقاً لتصريف بضائعهم المصنوعة ومجالاً لأستثمار أموالهم ، في أقامة المشروعات او تقديم القروض محاولين ربط أقتصادها بالسوق العالمية . وتحت تأثير ازدياد الطلب على المنتوجات الزراعية والحيوانية في الوطن العربي ، وضغط طبقة الملاكين الجدد أتجه الأقتصاد في معظم الولايات العربية من أقتصاد طبيعي يسد الحاجة المحلية الى أقتصاد التسويق القائم على الربح . وقد تفاوتت الولايات العربية في حجم التطور الذي حصل في العلاقات الأقتصادية والاجتماعية الجديدة ، لعوامل جغرافية وكما سبق ان قدمنا فقد أسهمت البنوك في تسهيل عملية التعامل المصرفي ، ومعظم المصارف التي تأسست في الوطن العربي ، كانت برؤوس أموال أجنبية. وأصبح للتجار العرب فعاليات مهمة في مجال الأستيراد والتصدير ، وكان لتلك النشاطات أثر كبير في نشوء فئات برجوازية تجارية جديدة ، وقد صار لهذه الفئات وزن مهم في الحياة الأقتصادية والاجتماعية وكان لهذه الفئات كذلك صلة قوية بالأسر الأقطاعية المحلية . وبالرغم من المواقع الاقتصادية التي احرزتها هذه الفئات ، الا انها لم تستطع ان تتحول الى قوة مستقلة في البناء الأجتماعي . زيادة على ذلك ان شرائح عديدة من هذه الفئات أمثال صغار التجار وأصحاب الحرف وغيرهم كانت تلاقي الكثير من اضطهاد رأس المال الأجنبي والبرجوازية الكبيرة ، الا أنها بحكم واقعها لم تستطع التحرك بأتجاه من شأنه فرض رياح التغيير على مجتمع المدينة. وربما كان المثقفون (الأنتلجنتسيا Intelgentisia) وهم القطاع الديناميكي المتحرك داخل البرجوازية ، الوحيدين الذين بدأوا يتحركون بمثل ذلك الأتجاه. والمثقفون أساساً هم من ابناء الأسر الثرية اوالدينية ومن البيوتات التجارية المعروفة آنذاك .

كان لحركة التنظيمات العثمانية وما أحدثته من تغييرات في واقع الحياة الأقتصادية والأجتماعية أثر كبير في تطوير المفاهيم والأفكار السائدة انذاك فقد أخذ الناس يفكرون بأسلوب جديد ، وينظرون الى الحياة نظرة أكثر واقعية من السابق . وأنتشرت بين المعلمين والطلاب والموظفين وضباط الجيش والكتاب والتجار أفكار جديدة تتعلق بالمجتمع وكيفية تنظيمه ، لاسيما فكرة تنظيم المجتمع على أساس الولاء القومي والوحدة القومية وينضم تحت لوائها العرب على أختلاف اديانهم ومذاهبهم وطوائفهم . ومن الطبيعي أن هذه

القفزة حدثت بعد جمود أستمر قروناً عديدة ، بفعل التطور الأقتصادي الأجتماعي وساهم في صقلها الأحتكاك بالفكر الأوربي ومكتسبات الحضارة العلمية والتكنولوجية. ولم يجر ذلك ضمن الوطن العربي كله على مستوى واحد، بل تأثر بعوامل كثيرة منها عامل الموقع. فسوريا مثلاً كانت أقدم عهداً بالتغيير وأقوى تنظيماً وأكثر أنصارا بالقياس الى الأقطار العربية الأخرى . ويمكن ان نرجع الأسباب الممهدة لنمو الوعي القومي العربي في سوريا الى تأثير العوامل الأيجابية لعهد محمد علي باشا في بلاد الشام وفي مقدمتها التحسن في الحياة الأقتصادية والأجتماعية ، والأهتمام بالتعليم وماصحبه من تأكيد على أهمية بناء الدولة العربية القوية الموحدة ، والى الجهود الثقافية والتعليمية لبعض الأرساليات التبشيرية ، تلك الجهود التي تمخضت عن تسرب بعض نواحي الثقافة الغربية ، وعن حركة ثقافية ساعدت ، كما أشرنا من قبل، على أحياء اللغة العربية وتيسير الطباعة فيها .

كما تجلى التغيير في ظهور المدارس الحديثة على النمط الاوربي . وانحسار دور المؤسسات التعليمية الدينية التقليدية وفقدانها اهميتها وتأثيرها في المجتمع وقد ظهر التغيير كذلك في الادب العربي ، الذي بدأ منذ ذلك الوقت يبحث عن اشكال جديدة متميزة عن المفاهيم العثمانية التقليدية التي كانت تسود العصر مثل الاستناد الى قدسية الخلافة العثمانية وسيادة الرابطة الدينية . وقد ربطت كثير من القصائد التي نظمت في اقطار عربية عديدة خلال هذه الفترة بين تأخر الامة العربية وسوء الادارة العثمانية ، ولاقت بعض القصائد رواجاً كبيراً بين المثقفين لما تضمنته من نزعة عربية واضحة وتبرم ونفور من الحكم العثماني .

ومما يلحظ ان الحركة العربية القومية ، كغيرها من الحركات القومية في العالم قد تدرجت من اتجاهات ثقافية الى اخرى سياسية وتطورت من تطلعات اقليمية محدودة ضمن الاطار العثماني الى افاق اوسع . ولما كان لكل حركة قومية ان تضمن لنفسها واقعاً تعمل من خلاله ، فقد سبقت حركة الوعي القومي نهضة فكرية بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر . وقد اثمرت تلك النهضة الفكرية واخذ صداها يترك اثاره على الاوضاع السياسية . وكانت هذه النهضة متمثلة باتجاهات فكرية ذات مضامين سياسية واجتماعية ابرزها الاتجاه الديني ـ الاصلاحي الذي يمثله جمال الدين الافغاني (١٨٣٨ – ١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥) ومحمد رشيد رضا (١٨٦٥ – ١٩٢٥) . ويدعو هذا الاتجاه الى بعث نهضة اسلامية على غرار النهضة التي شهدتها اوربا خلال حركة الاصلاح الديني بقيادة مارتن لوثر . والاتجاه الديني

القومي الذي يدعو الى الرابطة الاسلامية والخلافة العربية وابرز من يمثله عبد الرحمن الكواكبي ١٨٤٨ – ١٩٠٢ والاتجاه القومي – التاريخي الذي يؤكد على اهمية استنهاض همم العرب عن طريق التذكير بماضيهم الحضاري الزاهر . وقد انعكست ملامح هذا الاتجاه في كتابات الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠– ١٨٧١) وبطرس البستاني (١٨١٩–١٨٨٣) اللذين عملا على احياء وعي العرب لتاريخهم والاتجاه الاجتماعي – التقدمي الذي يولي المسألة الاجتماعية والتقدم الأجتماعي اهمية كبيرة وقد تمثل في كتابات رواد فكرة التقدم في الوطن العربي امثال شبلي شميل (١٨٥٠–١٩١٧) وقاسم امين (١٨٦٥–١٩٠٨) واديب اسحق (١٨٥٦–١٨٨٤) . والاتجاه القومي الصرف وتمثل في كتابات عدد من المفكرين القوميين امثال نجيب عازوري (١٨٨١–١٩١٦) صاحب كتاب (يقظة الامة العربية) الذي صدر بباريس سنة ١٩٠٥ . وقد دعا هذا المفكر في كتاباته الى استقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية .

جمعية بيروت السرية :

كانت جمعية بيروت السرية سنة ١٨٧٥ اول جهد منظم في الحركة العربية القومية فقد بدأت بلصق المنشورات التي تندد بمساوئ الحكم العثماني . ويذكر مؤرخ الحركة القومية جورج انطونيوس انه استقى معلوماته عن الجمعية من احد مؤسسيها وهو فارس نمر الذي ذكر له بان الجمعية استطاعت ان تستقطب عدداً من الشبان ، ومعظمهم من الذين درسوا في الكلية البروتستانتية في بيروت ، واصبح للجمعية بمرور الزمن فروع في دمشق وطرابلس وصيدا . واضاف ان منتسبي الجمعية كانوا يتسللون ليلاً ، وفي جيوبهم زجاجات الغراء ، فيلصقون على جدران المدينة مايسمح لهم الوقت بلصقه من المنشورات . وفي الصباح كان الناس يحتشدون حول المنشور الملصق ، ويقرؤه واحد منهم بصوت مسموع ، حتى اذا جاء رجال الشرطة ، مزقوا المنشور ، ويقبضون على بعض الابرياء من المتجمعين . وقبل ان تكون ضجة المنشور قد هدأت في بيروت ، كانت ترد الانباء عن ظهور منشورات مماثلة في دمشق او طرابلس او صيدا . وسرعان مااصبح ماتتضمنه المنشورات موضوع الاحاديث الهامسة في المجالس الخاصة . واخذ اعضاء الجمعية يطوفون على اصدقائهم ، وعلى من يعرفون من الناس ، ويشتركون

في الاحاديث ، وينتبهون الى اراء المتحدثين وتعليقاتهم خفية ، وكانوا في كل ذلك يتسترون ويحذرون ان يعرف سرهم ، وكانوا بعد ذلك يصوغون نداءهم الجديد وفقاً لما خلفه النداء السابق من اثر في النفوس . ويذكر انطونيوس انه حصل في دور الوثائق البريطانية تقارير ارسلها القنصل البريطاني العام في بيروت الى حكومته في ٢٨ حزيران ١٨٨٠ تضمنت نصوص ثلاثة منشورات مختلفة للجمعية . وكان احدها هو المنشور الاصلي نفسه انتزع قبل وصول الشرطة ، وكان الاخران نسختين عن الاصل ويقول انه بعد العثور على هذه النصوص ، استطاع ان يكون فكرة واضحة عن اهداف الجمعية واساليبها في العمل . كان اول هذه المنشورات قد ارسل مع رسالة مؤرخة في ٣ تموز ١٨٨٠ وهو أقصرها واقلها قيمة ومع انه اول منشور وصل الى القنصلية البريطانية غير انه لاريب لم يكن اول منشور اصدرته الجمعية لانه يشير الى نداء قبله ويحاول ان يؤكد اخلاص كاتبيه ووطنيتهم في المنشورات السابقة . وقد اشتمل المنشور على لوم اهل الشام لاستكانتهم واستسلامهم لطغيان السلطات العثمانية ولما تأصل فيهم من خلافات جعلتهم نهباً لمطامع الدول الاوربية . ويمضي هذا المنشور يؤكد قيمة الوحدة وضرورتها ، ويهيب بالناس ان يدفنوا خلافاتهم ، وان يتحدوا في وجه الطغاة مستلهمين « امجادهم العربية » وفي اعلى المنشور شعر يمثل سيفاً مسلولاً ومكتوب تحته بيت شعري منسوب لابراهيم اليازجي يقول :

لنطلبن بحد السيف مأربنا   فلن يخيب لنا في جنبه ارب

اما المنشور الثاني ، وقد ارفق كذلك بالرسالة نفسها ، فهو اكثر صراحة وعنفاً في تنديده بالعثمانيين . فقد اتهمهم بالاخفاق في تطبيق الاصلاحات التي ظلوا يعدون بها طويلاً . وارفق المنشور الثالث برسالة جاء فيها انه الصق على الجدران ليلة ٣١ كانون الاول ١٨٨٠ . وهو اهم المنشورات الثلاثة ، لانه يتضمن اول بيان مدون عن منهاج العرب السياسي . وقد بدأ كذلك بالتنديد بالحكام العثمانيين ، واضاف الى شرورهم السابقة شراً جديداً وهو محاولتهم القضاء على اللغة العربية وقد ورد فيه انه بعد التشاور « مع زملائنا في جميع انحاء البلاد » فقد تم وضع برنامج سننفذه ولو بحد السيف ، اذا اقتضى الامر . واهم النقاط في ذلك البرنامج هي :

١ – منح سوريا الأستقلال .

٢ – الأعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد

السياسية ، ومما زاد في بلورة النواحي التنظيمية في الحركة العربية التطورات التي حدثت في الدولة العثمانية وفي مقدمتها الثورة الدستورية العثمانية لسنة ١٩٠٨ ومجيء حزب الأتحاد والترقي الى السلطة وعزل السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ .

سياسة الاتحاديين واثرها على الحركة العربية القومية :

نشرت جمعية الأتحاد والترقي برنامجها السياسي في اواخر ايلول سنة ١٩٠٩. وقد نص على أن تدار الولايات على اصول توسيع المأذونية أي الصلاحيات التي نصت عليها المادة (١٠٨) من الدستور مع مواصلة السعي في تقوية عرى الأتحاد والأخاء بين العناصر العثمانية . على أن تبقى اللغة التركية هي اللغة الرسمية . وتتبع الدولة سياسة تعليمية ترمي الى تربية النشيء العثماني تربية موحدة والى فتح مدارس تضم عناصر الدولة المختلفة في تعليم مشترك للوصول الى التربية الموحدة .

مال الأحرار من العرب وغيرهم في استانبول في تلك الفترة الى تشكيل جمعيات تساند جمعية الأتحاد والترقي . فظهرت في ٢ أيلول ١٩٠٨ جمعية الأخاء العربي – العثماني وتعد هذه الجمعية اولى بواد ر تكتل العرب القومي العلني وأكبرها . وقد أنشأها جماعة من شباب العرب الواعين ونوابهم في أستانبول عقب الأنتخابات النيابية التي جرت بعد اعلان عودة العمل بدستور ١٨٧٦ بمدة قليلة . ومن مؤسسيها شفيق المؤيد العظم وصادق المؤيد العظم وشكري الأيوبي (من دمشق) ويوسف شتوان (من طرابلس الغرب) وشكري الحسيني (من القدس) وقد نص نظام الجمعية على : حق كل عربي بالانتساب اليها ، اذا كان متصفاً بحسن الخلق والسيرة ، وغير فاقد لحقوقه المدنية . ووصف (العربي) فيه بأنه الشخص المولود في بلاد العرب والمتكلم باللغة العربية والذي أتخذ من بلاد العرب وطناً له . وهو تعريف مرن متسق مع فكرة الانفتاح العربي لكل من يحب الأنتماء الى العرب او لكل من يريد الأندماج في العروبة من غير أصل عربي ونص نظامها كذلك على أن من مقاصدها :

١ – معاونة جمعية الأتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسي .

٢ – السعي لأعلاء شأن الأمة العربية وأتخاذ جميع الوسائل والتدابير لنشر أنوار العلوم والمعارف بين أبنائها ومن ذلك تأسيس المدارس وطبع الجرائد وغير ذلك وزيادة ثروة

٣ – رفع الرقابة والقيود الأخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم .

٤ – أستخدام القوات المجندة من أهل البلاد في المهام العسكرية داخل الأقطار العربية فقط .

ومهما يكن من أمر ، فأن نداءات تلك الجمعية كانت اول صرخة أستنفار أطلقتها الحركة العربية الوليدة . ولقد أضطرت بعدئذ الى التوقف بسبب حملات القمع بين بين سنتي ١٨٨٢ و١٨٨٣ فأنتقل أبرز مؤسيسها فارس نمر ، وشاهين مكاريوس ويعقوب صروف الى القاهرة سنة ١٨٨٥ ليؤسسوا هناك جريدة سياسية يومية ، هي جريدة المقطم ومجلة فكرية بأسم المقتطف ، وليتابعوا من خلالها الدعوة الى محاربة الظلم والأستبداد التركيين والعمل على تأليف جهة عربية موحدة (من المسلمين والمسيحيين) تقوم على فكرة العروبة وتستطيع الوقوف في وجه الأستبداد العثماني .

كما تكونت في دمشق حلقة سياسية سرية بأسم حلقة دمشق الصغيرة في دار الشيخ طاهر الجزائري (١٨٥٢ – ١٩٢٠) وذلك سنة ١٩٠٣ وكان لولب هذه الحركة محب الدين الخطيب ومن أعضائها البارزين عارف الشهابي وعثمان مردم ولطفي الحفار وصالح قنباز وصلاح الدين القاسمي . ان المفاهيم والأفكار السرية لهذه الحلقة تسجل خطوة مهمة على طريق توسيع أهتمام الشيخ طاهر الجزائري ورفاقه الثقافية لتأخذ طابعاً سياسياً وذلك بأتجاه الدعوة لمنهاج سياسي يقضي بمطالبة الدولة العثمانية بأتخاذ الأجراءات الكفيلة بمنح العرب حقوقهم المشروعة ، وقد حققت الحلقة بعض الأتصالات مع شباب بيروت ، ومنهم عارف النكدي وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني والأمير عادل ارسلان وغيرهم ممن ستبرز أسماؤهم أعضاء في الجمعيات العربية التي تشكلت قبيل الحرب العالمية الأولى . وفي سنة ١٩٠٥ أنتقل معظم أعضاء حلقة دمشق الى أستانبول وأسسوا سنة ١٩٠٦ جمعية « النهضة الوطنية » ومن مؤسسيها محب الدين الخطيب وصلاح الدين القاسمي ، وعثمان مردم بك ، وعارف الشهابي وسامي العظم وقد لعبت الجمعية دوراً مهماً في استقطاب الشباب العربي القومي قبيل أعلان الدستور .

رغم تلك البداية المبشرة لحركة العرب القومية ، فقد توقفت عن القيام بأعمال ظاهرة بسبب السياسة التي أتبعها السلطان عبد الحميد الثاني في الأقطار العربية والمستندة الى العنف والرقابة والأرهاب والدعوة الى الجامعة الأسلامية . لكن الوعي القومي العر ، كان خلال هذه المرحلة ، يتطور الى حركة منظمة لها أنصارها ومناهجها

جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب . اما مجلس الاعيان الذي كان يتألف من (٤٥) عضوا فلم يكن فيه من العرب سوى خمسة اعضاء . ويذكر سليمان موسى في كتابه « الحركة العربية » ان نسبة عدد النواب الى عدد سكان الدولة حسب عناصرهم تدل دلالة واضحة على عدم وجود المساواة المنشودة ، فقد قدر عدد سكان الدولة حين اجراء انتخابات ١٩٠٨ بـ (٢٢) مليونا (١٠٫٥) عربا و (٧٫٥) اتراكاً و (٤) ملايين من الاكراد والالبان والارمن واليونانيين وغيرهم .

حاول بعض المبعوثين العرب تشكيل كتلة برلمانية باسم (الحزب العربي) ، ووسمت لهذا الحزب بضعة اهداف ابرزها : طلب المساواة الحقيقية مع سائر العناصر ، وجعل اللغة العربية لغة التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ورعاية حقوق المواطنين في الولايات العربية وتعيين الموظفين في الاقطار العربية من الذين يتكلمون العربية. وقد ساهم مبعوثا لواء الموصل : داود يوسفاني ومحمد علي فاضل مع شفيق المؤيد وشكري العسلي مبعوثي دمشق وعبد المهدي قاسم مبعوث كربلاء وعبد الحميد الزهراوي مبعوث حماة وغيرهم من اجل العمل على اخراج هذه الفكرة الى حيز التنفيذ . وقد عهد الى عبد الحميد الزهراوي وشكري العسلي بوضع نظام داخلي لهذا الحزب لتقديمه الى رئاسة مجلس المبعوثان والحكومة على ان يباشر بافتتاح الفروع والاندية في العاصمة والولايات العربية بعد التصديق عليه مباشرة ولكن النواب العرب لم يستمروا في مساعيهم بعد ذلك وعدلوا فكرتهم في اللحظات الاخيرة وفضلوا البقاء ضمن الحزب الحر المعتدل الذي تألف في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ . وقد اعلن الحزب المذكور بانه سيعمل على استصدار قانون للولايات باقرب وقت مستطاع يكون من شانه ان يؤمن تطبيق قاعدة « توسيع المأذونية ، وتفريق الوظائف » حسبما نص عليه الدستور ، كما سيبذل جهده لكي يؤمن للمجلس الاداري لكل ولاية حق الادارة والأشراف على الشؤون العامة للولاية . وكان من اعضاء هذا الحزب كل من داود يوسفاني مبعوث الموصل الذي تولى ادارة جريدة الحزب « تنظيمات » سنة ١٩١١ ونافع الجابري مبعوث حلب. وسليمان البستاني الرئيس الثاني لمجلس المبعوثان ، ورضا الصلح مبعوث بيروت الذي اشرف على اصدار جريدة الحزب الاخرى « اصلاحات » اما سبب عدول النواب العرب عن تشكيل الحزب العربي . فيرجع الى اعتقادهم بان وجودهم داخل الحزب الحر المعتدل سيعمل على زيادة قوة المعارضة للاتحاديين وعدم بعثرتها. الا ان الحزب الحر المعتدل ، سرعان ما ذبل وانحل بعد فترة قصيرة وذلك بعد تاسيس حزب الحرية والأئتلاف في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١١ دون الاتيان بعمل يذكر.

حزب الحرية والائتلاف وانتخابات سنتي ١٩١٢ و ١٩١٤ :

ادت الاندحارات العثمانية في طرابلس الغرب الى ازدياد المعارضة في مجلس المبعوثان لوزارة حقي باشا ، فادت الى اسقاطها . ولم تكتف المعارضة بذلك . بل عمدت الى تكوين حزب جديد عرف باسم « حزب الحرية والائتلاف » في ٨ تشرين الثاني ١٩١١ والذي ضم عناصر الحزب الحر المعتدل ، وجماعة من الاتحاديين المنشقين عن جمعية الاتحاد والترقي . وقد ساهم بعض المبعوثين العرب في تشكيل هذا الحزب الذي ضم عناصر مختلفة تجمعهم فكرة معارضة الاتحاد والترقي والايمان باللامركزية .

تفاقم الصراع بين الاتحادين والائتلافيين في مجلس المبعوثان . اذ ازدادت حدة المعارضة لجمعية الاتحاد والترقي ، مما دفع الاتحاديين الى استصدار ارادة سلطانية بحل مجلس المبعوثان في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩١٢ على ان تجري الانتخابات خلال ثلاثة اشهر من تاريخ حل المجلس ليجتمع مجلس المبعوثان الجديد .

اختلفت الانتخابات التي بدأت اواخر كانون الثاني سنة ١٩١٢ . وذلك لان الصراع بين جمعية الاتحاد والترقي وحزب الحرية والائتلاف كان على أشده . وبالرغم من نجاح الاتحاديين في ان تكون لهم اكثرية برلمانية الا انهم سرعان ماواجهوا مشاكل معقدة . وقد كان للجمعية العسكرية التي تألفت منذ ايار – حزيران ١٩١٢ والتي عرفت باسم ضباط الانقاذ او (خلاص كار ضابطان) دور كبير في احداث تلك المشاكل . ومعظم هؤلاء الضباط من الالبان . وقد اعلنوا تمردهم في الروميلي ، وتركزت معارضتهم حول عدم شرعية الحكومة ومجلس المبعوثان الجديد الذي اقحمت جمعية الاتحاد والترقي اعضاءها فيه . فطالبوا بانتخابات حرة ودعوا الى عدم تدخل الجيش في السياسة . واوعزوا الى محمود شوكت باشا وزير الحربية بالاستقالة فاستجاب لدعوتهم في ٢١ تموز سنة ١٩١٢ وتالفت وزارة ائتلافيه جديدة برئاسة احمد مختار باشا (ثم كامل باشا من بعده) وحل مجلس المبعوثان . واعلنت الحكومة الجديدة عن عزمها لتطبيق مبدأ اللامركزية .

لم تتمكن وزارة ضباط الانقاذ من تنفيذ منهاجها اذ اطاح بها الاتحاديون بانقلابهم العسكري الثاني في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٣ بقيادة أنور باشا وحكم الاتحاديون منذ ذلك التاريخ . وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

اجرى الاتحاديون انتخابات جديدة لمجلس المبعوثان ، فاعلنت نتائجها في ٤ كانون الثاني ١٩١٤ . وقد مارس الاتحاديون فيها اساليب مختلفة من الضغط ليضمنوا اجراء الانتخابات لصالحهم . ولم يمنع هذا من فوز بعض النواب العرب الذين يحملون اتجاهات مغايرة لاتجاهات الاتحاديين . وقد ساهم هؤلاء النواب وغيرهم في اثارة بعض القضايا المتعلقة بالامور الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية . ولكن انباء الحرب العالمية الاولى اخذت تطغى على اخبار مجلس المبعوثان ، فاصدر السلطان محمد الخامس ارادة سلطانية في اب سنة ١٩١٤ تقضي بتعطيل المجلس نظراً لظروف الحرب .

لم تكن جمعية الاتحاد والترقي في الولايات العربية هي المجال الوحيد الذي برز فيه الاتجاه الطوراني وسياسة التتريك ، وانما كانت هناك مجالات اخرى ، ومنها سياستهم تجاه التعليم في المدارس باللغة التركية وحدها تطبيقاً لسياسة التتريك التي اتجهوا اليها . وكان من مظاهر الاتجاه القومي التركي المتطرف كذلك ، هو اهتمام الاتحاديين بالمناطق التي سكنها الاتراك . كما تشدد الاتحاديون في ان يكون التدريس باللغة التركية بما في ذلك تدريس قواعد اللغة العربية . وقد قادت سياستهم تلك الى نفور قسم من الناس واعراضهم عن المدارس الحكومية حيث فضلوا ارسال ابنائهم الى الكتاتيب او المدارس الدينية او مدارس الارساليات التبشيرية التي كانت تدرس باللغة العربية . وبهذا فقد كانت المدارس الرسمية مقتصرة على اولاد الموظفين والضباط وبعض الوجهاء الذين كانوا على صلـة مستمرة مع دوائر الدولـة .

حزب اللامركزية الادارية العثماني :

سار الاتحاديون في حكمهم للدولة ، وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى بسياسة مركزية اثارت حفيظة القوميات الاخرى في ارجاء الامبراطورية . وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال بردود الفعل القومي بين العرب عن طريق المؤسسات التي مارست نشاطاً ملحوظاً في التوعية القومية عن طريق المطالبة بالحكم المركزي . ومن ذلك نشاط حزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة الذي تأسس اواخر سنة ١٩١٢ . وهدفه السعي لتطوير اسلوب الحكم في اقطار الدولة العثمانية على اساس اللامركزية وبعبارة اخرى منح كل ولاية قسطاً كبيراً من الاستقلال الاداري حتى تستطيع تنفيذ الاصلاحات الضرورية ومقاومة اي غزو اجنبي في حالة تعذر مساعدة الحكومة المركزية لها خشية ان يتكرر ماحدث في ليبيا وغيرها من اقطار المغرب العربـي .

الحركة الاصلاحية العربية :

ظهرت في بيروت اواخر سنة ١٩١٢ جمعية اصلاحية باسم « لجنة الاصلاح » تألفت من ستة وثمانين عضواً . وكانت خطتها تهدف الى التطبيق العملي للمبادىء التي نادى بها دعاة اللامركزية . وقد اعلنت اللجنة منهاجها في اواسط شباط ١٩١٣ ونشرته على نطاق واسع في الشام والعراق ، فعمدت السلطات المحلية الى مطاردة بعض اعضائها .

اصدر الاتحاديون في ٥ أيار سنة ١٩١٣ قانوناً جديداً للولايات عدة الكثيرون خطوة مقنعة نحو المزيد من المركزية وزيادة وطأة استانبول على الولايات العربية لذلك واجه القانون الجديد ، مقاومة شديدة . فقد عقدت الاجتماعات في الولايات العربية وتقرر فيها الاحتجـاج على القانون وابرق عدد من المثقفين في الولايات العربية الى استانبول يطالبون عدم تطبيق القانون باعتباره غير كاف للاصلاح ولاياتهم .

لقد ارتبطت الحركة الاصلاحية ، بصورة خاصة ، بحزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهـرة ، وكـان من مؤسسيه عبد الحميد الزهراوي ، ورفيق العظم واسكندر عمون ، وداؤد بركات ، وكان رئيس الائتلافيين صادق بك يتردد علـى رفيق العظم ويتعاون معه ، من اجل ازاحة الاتحاديين من الحكم .

اسست جمعيات اصلاحية مماثلة لجمعية الاصلاح في بيروت وفي الموصل وحلب ودمشق والبصرة ، كان قسم منها فرعاً لحزب اللامركزية ، اما القسم الاخر فكان جمعيات مستقلة نسقت نشاطاتها مع الحزب المذكور .

التنظيمات القومية السرية :

ان الاتحاديين بدلاً من ان يحققوا للعرب مطامحهم القومية ، اتجهوا الى انتهـاج سياسة استبدادية مركزية متطرفة ، هذا فضلا عن استخدامهم الارهاب في فـرض سياستهم وسعيهم المستمر الى حرمان العرب من ممارسة دورهم السياسي في حكم انفسهم بانفسهم .

وكان لفشل الاتحاديين في الدفاع عن الاقطار العربية ضد الغزو الاوربي الاستعماري أثر في احساس العرب بضرورة بعث كيانهم السياسي الخاص المتميز . فبدأوا يجهرون برفضهم للسيطرة العثمانية . كما لجأوا الى تنظيم انفسهم في جمعيات واحزاب سياسية سرية لمواجهة الاخطار الجديدة . ولعل من ابرز تلك الجمعيات جمعيتي العهد العسكرية والعربية الفتاة .

جمعية العهد العسكرية :

تأسست جمعية العهد العسكرية في استانبول بزعامة عزيز علي المصري ، وهو ضابط عربي من الجيش العثماني وبعض الضباط المتحمسين للقضية القومية العربية امثال سليم الجزائري وطه الهاشمي ونوري السعيد وجميل المدفعي وغيرهم . ويحدد المؤرخون اليوم الثامن والعشرين من تشرين الاول ١٩١٣ تاريخا لتأسيس هذه الجمعية . وقد سميت بهذا الاسم لان انتماء اي عضو اليها يعد بمثابة « عهد » بينه وبين الله على خدمة الوطن . وكان هدف الجمعية الحصول على الاستقلال الداخلي للاقطار العربية . ويشبه منهاجها منهاج الجمعية القحطانية التي اسسها الشبان العرب في استانبول سنة ١٩٠٩ بزعامة عزيز علي المصري .

لقد حرص عزيز علي المصري على ان تقتصر جمعية العهد على العنصر العسكري وحده ، لذلك لم يقبل فيها من المدنيين غير اثنين احدهما الامير عادل ارسلان احد الاعضاء الاوائل في الجمعية السابقة . وقد يكون من المناسب الاشارة الى ان الضباط العراقيين احتلوا مكانة مهمة في مجالس جمعية العهد وقد انشأوا بين اواخر سنة ١٩١٣ وبداية سنة ١٩١٤ فروعا للجمعية في الموصل وبغداد . ولربما يرجع ذلك الى ان العراق شهد منذ اواخر القرن التاسع عشر ، تأسيس العديد من المدارس العسكرية .

قررت السلطات العثمانية بعد ان اصبح لجمعية العهد نشاط كبير في استانبول وتسربت الاخبار عن نشوء فروع لها في بعض المدن العربية ، امثال بغداد والموصل والبصرة ودمشق ، وانها لقيت تأييداً من الضباط العرب . ان تقاوم ذلك كله وتعمل على تفريق رجال الحركة وتبعثرهم قبل ان يشتد ساعدهم . لهذا عقدت في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩١٤ اجتماعا خاصا في وزارة الحربية حضره الصدر الاعظم سعيد حليم باشا ومحافظ استانبول العسكري جمال باشا (قبل تعيينه وزيراً للبحرية) ومدير الامن العام عزمي بك . وقد درست في هذا الاجتماع التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية عامة ، وجمعية العهد خاصة واتخذت عدة قرارات اهمها تولية القيادة في الولايات العربية الى الضباط الاتراك وارسال الضباط العرب والاستغناء عن خدمات بعضهم ، وعهد الى جمال باشا تنفيذ ذلك . وفي ٩ شباط ١٩١٤ قامت السلطات الاتحادية ، بعد ان شعرت بوجود حركة بين الضباط العرب باعتقال الرائد عزيز علي المصري . ثم جاءت الحرب العالمية الاولى لتقلل من نشاط الجمعية . فكان من الطبيعي ان يتناثر اعضاؤها .

جمعية العربية الفتاة :

وهي جمعية سرية اسسها في باريس [illegible] ١٩١١ مجموعة [illegible] كانوا يدرسون هناك . منهم [illegible] وجميل مردم ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريسي وتوفيق الناطور ورستم حيدر وهدفها [illegible] في استقلال الاقطار العربية وتحريرها من النير العثماني . وفي سنة ١٩١٣ نقل مركزها الى بيروت . ثم في السنة التالية نقل الى دمشق حيث بلغ عدد اعضائها المئتين وهي ابرز الجمعيات السياسية العربية على الاطلاق ، امتازت بوضوح اهدافها . ووعي اعضائها ، واخلاصهم ودقة نظامها وقد بقي سر هذه الجمعية مكتوماً حتى النهاية ، ولم يعرف سرها الا بعد اعلان الحكومة العربية في دمشق سنة ١٩١٨ . ومن ايات البطولة التي اتصف بها اعضاؤها ان احدهم فضل الانتحار على الاعتراف ، وفضل آخر المشنقة على افشاء سر الجمعية . وقد اصبح لهذه الجمعية ، كما سنرى ، دور كبير في القضية العربية خلال الحرب العالمية الاولى . وكان مبدأ الجمعية الاساس « تحرير الامة العربية حسب الاحوال والظروف خطوة فخطوة بكل الوسائل الشرعية وغير الشرعية » .

المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣ :

زاد الاتحاديون من تعسفهم واضطهادهم للحركة القومية العربية ، الامر الذي دفع قادة هذه الحركة الى نقل نشاطهم الى خارج الدولة العثمانية انطلاقا من الحاجة الى تعريف الرأي العام العالمي بمطاليب العرب القومية ، ورغبة منهم في توحيد جهود الشباب العربي ونضالهم . لذلك انبثقت في ذهن فريق من المثقفين والطلاب العرب الذين يدرسون في باريس ؛ ومنهم عبد الغني العريسي وتوفيق فايد . من بيروت وعوني عبد الهادي من نابلس ، ومحمد المحمصاني من بيروت ، وجميل مردم من دمشق وتوفيق السويدي من بغداد ، فكرة عقد مؤتمر في باريس لمحاولة توحيد كافة القوى القومية بغية ممارسة ضغط مشترك على الحكومة العثمانية والعمل على نشر اخبار القضية العربية خارج الولايات العربية . ولقد كانت اولى خطوات اللجنة التحضيرية التي تشكلت للاعداد للمؤتمر ، اتصالها بقادة الحركة القومية العربية لحضور المؤتمر واذاعت اللجنة بياناً الى الامة العربية . جاء فيه ان عقد المؤتمر جاء نتيجة لما يجري في الاقطار العربية من احداث ولكي ، نثبت للعالم اننا امة متماسكة ذات وجود حي لايخل ومقام عزيز لايضام وخصائص قومية لاتنزع ومنزلة سياسية لاتفرع .....

رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الآداب / جامعة بغداد ١٩٧٥ .
اللجنة العليا لحزب اللامركزية . المؤتمر العربي الاول ، (القاهرة ، ١٩١٣).

الفصل الرابع

أثر الحرب العالمية الاولى على مستقبل العرب

مقدمة :

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ بجانب دول الحلف المركزي وذلك تنفيذا للمعاهدة السرية المعقودة بينها وبين المانيا في ٢ اب سنة ١٩١٤ هذا مع العلم ان الاستعدادات العسكرية العثمانية قد بدأت قبل اربعة اشهر تقريبا من دخول الحرب رسميا . اذ شرعت باعلان النفير العام في ٣ اب سنة ١٩١٤. وقد خلفت حادثة ضرب الموانيء الروسية في البحر الاسود من قبل القطعات الحربية العثمانية في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩١٤ الموقف الذي ادى الى دخول الدولة العثمانية الحرب . فقد اعلنت روسيا الحرب عليها في ٤ تشرين الثاني ، وتلا ذلك اعلان حرب مشابهة من جانب بريطانيا وفرنسا بعد يوم واحد .

لقد مر الوطن العربي خلال الحرب العالمية الاولى بمساومات دولية سرية . واخرى علنية بين الحلفاء من اجل تقرير مستقبل المنطقة . تمثلت الاولى منها بمفاوضات الشريف حسين - مكماهون. وتمثلت الثانية باتفاقية سايكس - بيكو . كما تمثلت الثالثة بـ (تصريح بلفور) . وقد اضطر الحلفاء كذلك الى اصدار وعود علنية . كما سنرى.

مفاوضات الشريف حسين - مكماهون :

ارسلت السلطات الاتحادية بعد دخولها الحرب مباشرة ، جمال باشا وزير البحرية الى سوريا وكلفته بمهمة عسكرية . على رأس الجيش الرابع تستهدف القيام بهجوم على القوات البريطانية في قناة السويس والقضاء على تحركات العناصر العربية القومية هناك .

وقد كان لهزيمة الجيش التركي وخسائره الفادحة في حملته على قناة السويس ، اثر كبير في ازدياد قلق جمال باشا وحذره وخوفه من ازدياد نشاط القوميين العرب . لذلك شكل في تموز ١٩١٥ الديوان العرفي في عالية بلبنان لمحاكمة الدفعة الاولى من القوميين العرب بعد ان وجهت اليهم تهمة العمل ضد الدولة العثمانية بالتعاون مع الانكليز والفرنسيين وفي ٢١ آب سنة ١٩١٥ نفذ حكم الاعدام في ساحة البرج ببيروت بهؤلاء وهم عبدالكريم الخليل ، ومحمود المحمصاني ، ومحمد المحمصاني ، وعبدالقادر الخرساء ، ونورالدين القاضي ، وسليم أحمد عبدالهادي ، ومحمود نجا العجم ، ومحمد مسلم عابدين ، ونايف تللو ، وصالح حيدر وعلي الارمنازي . وقد اتهم بعضهم بالانتساب الى حزب اللامركزية ، وبعضهم بالعمل على الانفصال التام عن الدولة العثمانية .

وفي ٦ أيار سنة ١٩١٦ قدم جمال باشا (وقد سمي بالسفاح منذ ذلك الوقت) القافلة الثانية من القوميين العرب الى الاعدام في ساحة المرجة بدمشق وساحة البرج في بيروت . فالذين اعدموا في دمشق هم شفيق المؤيد العظم ، وعبدالحميد الزهراوي ، والامير عمر الجزائري ، وشكري العسلي ، وعبدالوهاب الانكليزي ، ورفيق رزق سلوم ، ورشدي الشمعة . اما الذين اعدموا في بيروت فهم جرجي حداد ، سعيد عقل ، عمر حمد ، عبدالغني العريسي ، الامير عارف الشهابي ، الشيخ احمد طبارة ، محمد الشنطي اليافي . توفيق البساط ، سيف الدين الخطيب ، علي الحاج عمر النشاشيبي ، محمود جلال سليم النجاري . سليم الجزائري ، امين لطفي الحافظ . هذا وقد اصدر الديوان العرفي حكم الاعدام الغيابي بحق أكثر من (٩٠) شخصية من اعضاء الجمعيات العربية فهم رفيق العظم ، حقي العظم ، شبلي شميل ، محمد رشيد رضا ، نجيب عازوري ، يوسف البستاني ، داؤد بركات ، محمد ارسلان .

كان لسياسة القمع والارهاب التي اتبعها الاتحاديون اثر كبير في ابتعاد العرب عن الدولة العثمانية ، وانصراف تفكيرهم الى التخلص من الحكم العثماني . ويذهب المؤرخ سليمان موسى في تفسير اسباب اتصال بعض اعضاء الجمعيات العربية بالدول الاجنبية الى رغبة هؤلاء في الحصول على معاضدة هذه الدول ، اعتقاداً منهم انما يؤدون واجباً وطنياً ، وان تصرفهم ذاك لايخدش شعورهم القومي . ويورد معلومات تفصيلية ، عن اتصال جماعة من لبنان ودمشق بالقنصل البريطاني في بيروت اواخر سنة ١٩١٢ طالبين منه ان تقوم الحكومة البريطانية بمساعدة العرب في نضالهم ضد الدولة العثمانية . وفي حزيران ١٩١٣ لم يجد اعضاء المؤتمر العربي في باريس اي حرج في ايفاد اشخاص من

بينهم الى وزارة الخارجية الفرنسية وسفارات الدول الكبرى ، كي يقدموا لها نسخاً من القرارات التي اتخذوها . وفي ٢٤ شباط ١٩١٤ كتب السفير البريطاني في استانبول الى وزير خارجية بريطانيا ان عدداً من الضباط العرب في العاصمة العثمانية زاروا السفارة مستفهمين عما سيكون عليه موقف الحكومة البريطانية في حالة قيام ظروف معينة . كما قدم عدد من العرب المدنيين عرائض بشأن عزيز علي المصري ، الى السفارات الاجنبية يطلبون فيها التدخل لانقاذه من الاعتقال . وقد حدثت ازمة اعتقال عزيز علي المصري ومحاكمته في الوقت الذي بلغ فيه الخلاف ذروته بين الشريف حسين ، شريف مكة والاتحاديين .

وقد نشر جمال باشا في ١٩١٦ نصوص بعض المخابرات التي عثر عليها في قنصليتي فرنسا بدمشق وبيروت ، على اساس ان ماجاء فيها يشكل ادانة جرمية بحق الاشخاص الذين اتصلوا بالقنصليتين طالبين منها اتخاذ موقف واضح من مسألة الاستقلال العربي .

اما الاتصالات الاولى بين الهاشميين والانكليز فقد بدأت في شباط سنة ١٩١٤ في القاهرة . وكان الامير عبدالله ، النجل الكبير للشريف حسين ممثلاً لوالده . اما ممثل البريطانيين فكان اللورد كتشنر المعتمد السامي البريطاني . ومما قوى مركز الشريف حسين في التفاوض مع بريطانيا ، قرار قادة الجمعيات العربية القومية ، اعلان الثورة على الاتراك ، ففي ربيع سنة ١٩١٥ تحققت اتصالات عديدة بين قادة جمعيتين العهد والعربية الفتاة ، وتم التوقيع على مايسمى بـ « ميثاق دمشق » وكان الامير فيصل بن الحسين ، طرفاً في ذلك الميثاق نائباً عن والده الذي رشحه القوميون العرب زعيما للثورة المنتظرة .

ولنتساءل عن الاسباب التي دفعت القوميين العرب الى الالتفاف حول الشريف حسين . وللاجابة على هذا التساؤل لابد ان نشير الى ان الشريف حسين كان اقوى الزعماء العرب انذاك . ولو اخذنا بنظر الاعتبار الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي انذاك مع دراسة الشخصيات المرشحة للزعامة لوجدنا ، كما تقول الدكتورة خيرية قاسمية في كتابها « الحكومة العربية في دمشق » ، ان الحسين يتمتع بميزات كثيرة : فنسبه للرسول الكريم (محمد صلى الله عليه وسلم) ، وموقع الحجاز الستراتيجي البعيد عن مراكز احتشاد الجيوش وطرق المواصلات ، ومركزه شريفة لمكة ، وماله من قيمة كبرى في حماية الاماكن المقدسة ، مع اتصالاته عن طريق ابنائه بالمراكز المدنية جعله أفضل مرشح لقيادة الثورة العربية في تلك الفترة التي لم تتمكن فيها من التخلص من التقاليد السائدة التي تسيطر عليها الزعامات القبلية والدينية . فمنذ ان اصبح شريفة لمكة سنة ١٩٠٨ . فانه اخذ يسعى الى التأكيد على مركز الحجاز الممتاز ، فاصطدم بذلك مع الوالي العثماني

وهيب باشا المعروف بصرامته وتحمسه لمبادىء جمعية الاتحاد والترقي وعزمه على تنفيذ قانون الولايات الجديد في الحجاز ، واضعاف ماللشريف من نفوذ ، والقبض عليه اذا استوجب الامر ، وقد ازداد الموقف حرجاً بنشوب الحرب . وتلكؤ الشريف حسين في تأييد الدولة العثمانية بدعوتها الى الجهاد المقدس وارسال المتطوعين . وهكذا اقتنع الشريف حسين بوجوب الاتصال ببريطانيا من اجل ضمان مركزه ازاء اي اجراء عثماني محتمل ويبدو ان هذا التوجه تزامن مع رغبة الانكليز انفسهم في ضرورة الاتصال بالشريف حسين والاستفادة منه في الوقوف ضد دعاية العثمانيين الدينية واعلان الجهاد . ذلك ان بريطانيا كانت تدرك اهمية العامل الديني في اثارة المسلمين في المناطق التي تحكمها انذاك وفي مقدمتها مصر والسودان والهند . وكان اغلب افراد الجيش الهندي من المسلمين ؛ لذلك اهتمت بقضية وصول الحجاج الى الحجاز حتى لايترك المجال للدعاية القائلة بان اشتراك بريطانيا ضد (الخليفة) العثماني ادى الى منع الحجاج من الوصول الى الاماكن المقدسة .

ارسلت وزارة الخارجية البريطانية الى ممثلها في القاهرة برقية مؤرخة في ٢٤ ايلول ١٩١٤ جاء فيها مايشير الى ضرورة التحقق من الاميرعبدالله . عما اذا كان سيقف هو وابوه وعرب الحجاز معنا أو ضدنا » . وقد نقل مضمون البرقية الى الشريف حسين تاجر مصري وقع الاختيار عليه اسمه علي البزاز . وبعد ان اقام الرسول بضعة ايام في مكة اجتمع بالشريف وابنائه الاربعة . ومما قاله له الشريف « للدولة العثمانية علينا حقوق ونحن لنا حقوق عليها . لقد حاربت حقوقنا ولست انا مسؤولا امام الله اذا هي حاربت حقوقنا ، كما انني لست مسؤولا امام الله اذا نحن تبعاً لذلك اخذنا نقاومها ... مدوا لنا يد المساعدة ونحن لن نساعد ابداً هؤلاء الظالمين » .

استند الشريف حسين في مفاوضاته مع الانكليز والتي استمرت منذ تموز ١٩١٥ حتى اذار ١٩١٦ وعرفت بمراسلات الحسين – مكماهون (المندوب السامي البريطاني في القاهرة) على الميثاق القومي الذي اعدته جمعيتا العربية الفتاة والعهد في دمشق في ربيع سنة ١٩١٥ وكان الاميرفيصل بن الحسين قد حمل الميثاق الى مكة في ٢٠ حزيران ١٩١٥ والذي انتظر القوميون منه بان يكون اعتراف بريطانيا ببنود الميثاق ثمناً لدخول العرب الحرب بجانب بريطانيا . وقد ارسل الشريف حسين مذكرته الاولى في تموز ١٩١٥ الى المندوب السامي البريطاني السيرهنري مكماهون Sir H - McMahon في القاهرة . وقد بنيت المذكرة على اساس ميثاق دمشق . وتنبع اهميتها من طبيعة مرونتها الدبلوماسية من جهة ، ومن حيث كونها الاساس الذي بدأت به المفاوضات بين الجانبين العربي والبريطاني من جهة ثانية . ويمكن تلخيص الشروط التي عرضتها المذكرة لعقد اتفاق بين العرب وبريطانيا على النحو التالي :

لقد قرر العرب جميعاً ان يفوزوا بحريتهم المطلقة وان يحكموا انفسهم بانفسهم . ولما كان العرب يفضلون مساعدة بريطانيا على سواها ، ويشعرون ان من مصلحة بريطانيا مساعدتهم ؛ فانهم يعرضون الشروط الاساسية التالية لعقد الاتفاق بين الطرفين مع تأجيل المسائل الثانوية لمفاوضات تجري في المستقبل :

١- تعترف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية التي يحدها : شمالاً خط مرسين - اضنة الموازي لخط ٣٧ الذي تقع عليه برهجيك - اورفيه - ماردين - مديات ، جزيرة ابن عمر - عمادية ، حتى حدود فارس ، وشرقاً حدود فارس الى الخليج العربي ، وجنوباً المحيط الهندي (باستثناء عدن التي ستحتفظ بوضعها الحالي) ، وغرباً البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط حتى مرسين ، وتوافق بريطانيا على اعلان خلافة عربية .

٢- تعترف حكومة الشريف العربية بافضلية بريطانيا في جميع المشاريع الاقتصادية في البلاد العربية .

٣- يقوم الفريقان المتعاقدان بمعاونة بعضهما البعض الى اقصى حد لمجابهة اية قوة اجنبية يمكن ان تهاجم أحد الفريقين ، ولا يعقد الصلح دون موافقة الفريقين .

٤- يتشاور الفريقان اذا دخل احدهما في نزاع مسلح مع طرف ثالث .

٥- تعترف بريطانيا بالغاء الامتيازات الاجنبية في البلاد العربية ، وعليها ان تساعد حكومة الشريف في دعوة مؤتمر دولي لتصديق ذلك الالغاء .

ثم طلبت المذكرة الجواب على هذه المقترحات خلال ثلاثين يوماً . وقالت المذكرة ان الشعب العربي سيحتفظ لنفسه بحرية العمل اذا لم يتلق جواباً خلال هذه المرة .

لقد كان المسؤولون الانكليز ، وخاصة من العاملين في المنطقة العربية ، على عجلة من امرهم ، واعتقدوا باستغلال الفرصة التي اوشكت ان تفلت من ايديهم ، وتهدد بانحياز العرب للجانب العثماني ، فحاولوا توسيع جانب الاتصالات مع الشريف حسين وتهيئة الوسائل الامنية لبدئها رسمياً في تموز ١٩١٥ بين السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في القاهرة والشريف حسين .

ان مفاوضات الشريف حسين – مكماهون قد اسفرت عن امور عديدة : اهمها رفض الشريف حسين في مذكرته الثالثة المؤرخة في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ فصل اي جزء من العراق . ولكنه عرض على مكماهون الاعتراف بترك ولاية البصرة والتي كانت انذاك تحت الاحتلال البريطاني لمدة معينة على ان يدفع للدولة العربية المنشودة في مدة الاحتلال مقداراً مناسباً من المال . كما اكد مكماهون في مذكرته الرابعة المؤرخة في ٣٠ كانون الثاني ١٩١٦ بان الحكومة البريطانية ليست مستعدة لعمل كل ما من شأنه الاساءة لحليفتها فرنسا ، فابدى الشريف حسين موافقته على ذلك في مذكرته المؤرخة في الفاتح من كانون الثاني ١٩١٦ على ان يعاد النظر في ذلك بعد انتهاء الحرب . وقد اشتملت مذكرة مكماهون المؤرخة في ٢٤ تشرين الاول ١٩١٥ على العهود التي جعلت الشريف حسين يعلن ثورته في ١٠ حزيران ١٩١٦ باستثناء بعض التحفظات حول المناطق التي لفرنسا مصالح خاصة بها غربي دمشق وحمص وحلب . واحتفاظ بريطانيا بحق اتخاذ تدابير ادارية خاصة في ولايتي بغداد والبصرة .

الثورة العربية ١٩١٦ :

كان لاعدام المناضلين في دمشق وبيروت ، وتفاقم الاستياء ضد الترك مع وصول الحملة العثمانية المتجهة نحو اليمن الى المدينة ، قد اقنعت الاطراف المعنية ان الوقت قد حان لاعلان الثورة في ١٠ حزيران ١٩١٦ في مكة دون ان تتم الاستعدادات كلـــهـا .

وكان منشور الحسين الاول للثورة قد ركز على الناحية الدينية وجعل عداوته للاتحاديين الذين تسلطوا على الدولة وحرفوها عن سبيل الحق والدين ، لا للدولة العثمانيـــــة ، فحطم بذلك فكرة الجهاد الاسلامي التي كان يدعو اليها الاتحاديون . وقد سببت انباء الثورة ذهولا لدى الحكومة العثمانية . اذ لم تنشر اخبارها الا فيما بعد وبصورة مشوشة مع محاولة الاقلال من قيمتها ، ورافق ذلك ازدياد اعمال الارهاب في الاقطار العربية وخاصة في العراق وسوريا .

حينما بدأت الثورة كانت الفرقة (٢٢) التركية ترابط في الحجاز . وتتألف من الـكتائب ١٢٨ و١٢٩ و١٣٠ هذا فضلا عن كتيبتين من فرقة عسير (الفرقة ٢١) احداهما فـــي القنفـذة والثانية في الليث . وكان مجموع القوات العثمانية في الحجاز يزيد على (١٢) الف رجل مسلحين بالمدافع والبنادق الحديثة ويتولى قيادتهم ضباط مدربون تدريبا جدا على اساليب الحرب .

كانت حامية جدة اول حامية تستسلم للعرب في الحجاز . فقد بادر اربعة الاف من رجال العشائر واكثرهم من قبيلة حرب وهم بقيادة الشريف محسن بن منصور صباح يوم السبت ١٠ حزيران الى ضرب نطاق الحصار حول الثكنات التركية في اطراف البلدة ، وبعد هذا استسلمت المواقع التركية على طريق مكة – جدة . اما في مكة فقد بدأ القتال في الفجر الباكر من يوم ١٠ حزيران عندما اطل الشريف حسين من احدى نوافذ قصره واطلق رصاصة من بندقيته فكان الاعلان الرسمي لبدء الثورة والاشارة المتفق عليها بينه وبين رجاله الذين كانوا قد احتشدوا اثناء الليل حول المواقع التركية الاربعة : دار الحكومة (الحميدية) ومركز (باش قرقول) وقلعة جياد وثكنة جرول وأول عمل قام به رجال الشريف انهم قطعوا اسلاك الهاتف مع جدة والطائف ثم باشروا الهجوم . وكان يتولى قيادتهم الامير زيد والشريف شرف عبد المحسن البركاتي . وقد رد الاتراك على النيران بكل عنف واخذوا يطلقون قنابل المدافع من قلعة جياد التي تقع على جبل مرتفع باتجاه مكامن العرب ، واختصوا دار الشريف بعدد من القنابل ، واستمر القتال طوال اليوم . وفي اليوم التالي استسلم مركز باش قرقول وفي اليوم الثالث ارغمت دار الحكومة وفيها وكيل الوالي على الاستسلام . وظل القتال في جهة قلعة جياد وثكنة جرول ، والقوات

العربية لاتملك مدافع ، الى ان وصل محمد شريف الفاروقي العمري الموصلي ، وهـو ضابط عربـــي في الجيش العثماني التحق بالثورة منذ بدئها ، من جدة ومعه مدفعان من المدافع التي غنمها العرب فيها وستة من المدفعيين الاسرى العرب الذين اقنعهــم بمرافقته الى مكة . حيث نصبهما في مواجهة القلعة واخذ يطلق قنابلهما عليها حتـــى اضطرت للتسليم في ٩ تموز . اما الطائف فقد تولى الامير عبد الله مهاجمتها بعـــد ان استطاع تحشيد القبائل حوله فسقطت الطائف واثر ذلك ثبتت الثورة اقدامها ، فاعلن الشريف حسين موافقته على قرار اتخذه علماء الحجاز وزعماؤه والسوريون والعراقيون الموجودون في الحجاز يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩١٦ بانشاء دولة عربية رسميا والمناداة بالشريف حسين ملـكا على تلك الدولة بلقب ((ملك البلاد العربية)) . وقد تألفت وزارة عربية برئاسة الامير علي ، تولى فيها الامير عبد الله منصب وزير الخارجية . اما الامير فيصل فصار وزيراً للداخلية . وتسلم عزيز علي المصري ، وهو ضابط عربـــي في الجيش العثماني التحق بالثورة كذلك ، وزارة الحربية ورئاسة اركان الجيش . وقد قام الامير عبد الله وزير الخارجية بابلاغ ممثلي الدول الحليفة في جدة بالخطوة الجديدة وطلب منهــم الاعتراف رسميا بالوضع . وقال الامير عبد الله ان القرار اتخذ لاسباب منها (أ) الرد على دعايات الاتراك واعطاء البرهان للعالم الاسلامي ان الشريف مستقل استقلالاً تاماً وان

الحلفاء يعترفون باستقلال البلاد العربية (ب) اتخذ الشريف لقب « ملك البلاد العربية » لكي تجد الفكرة العربية متنفساً لها ولكي يلتف العرب حول الثورة العربية ولارضاء مطامح القوميين القائلين بانشاء دولة عربية كبيرة .

بدأ عزيز علي المصري بتشكيل نواة الجيش النظامي الى جانب القوات غير النظامية ، خاصة بعد توالي المساعدات العسكرية والمالية من الحكومة البريطانية ، لكنه ما لبث ان ترك القيادة لجعفر العسكري ونائبه نوري السعيد وهما من كبار الضباط العراقيين . ويقال ان سبب انسحاب عزيز علي المصري ، هو سوء ظن الحسين به وخوفه من ان القوة التي يكون على رأسها قد يستعملها في تكوين سلطة له يزاحم بها سلطة الشريف حسين واولاده . وسرعان مابدأ عدد كبير من الضباط الموجودين في معسكرات الاسر البريطانية في مصر والهند ، بالالتحاق بالثورة . كما التحق بجيش الثورة عدد من الضباط الانكليز المدربين كخبراء في تعليم فنون القتال الحديث واستعمال المتفجرات . وقد ركزت الاضواء على (لورانس) احد ضباط الاستخبارات في الدائرة العسكرية التابعة للجنرال موراي القائد العام البريطاني في مصر . والتحق لورانس بالثورة في تشرين الاول ١٩١٦

وعمل مستشارا للامير فيصل بن الحسين الذي تولى قيادة احد جيوش الثورة الثلاثة (الى جانب اخويه عبد الله وعلي) ، وعرف باسم الجيش الشمالي وكان اكثر جيوش الثورة فعالية . وقد توسعت اعمال هذا الجيش باتجاه اقصى موانيء الحجاز الشمالية في كانون الثاني ١٩١٧ ، ونجح فيصل في عقد التحالف مع زعماء القبائل التي تقطن اطراف بلاد الشام وفي مقدمتهم عودة ابو تايه شيخ الحويطات ونوري الشعلان شيخ الرولا . وكان تحرير العقبة في تموز ١٩١٧ نقطة تحول في الثورة العربية ، اذ تحولت الى حرب متحركة كي تستولي على دمشق واصبحت بذلك جزءا من عمليات الحرب العالمية الاولى اذ كونت الجناح الايمن للقوات البريطانية الزاحفة على فلسطين بقيادة الجنرال اللنبي .

وتوجهت بعثة الى سوريا بقيادة الشريف ناصر ونسيب البكري تدعو للثورة وتضع اسس العمل المشترك . وازداد التحاق العرب المجندين في الجيش العثماني الى صفوف الجيش العثماني وقامت القوات العربية بتحرير درعا فقطعت المواصلات بين دمشق والجنوب ، وبدأ تراجع الجيش التركي . وفي مساء ٣٠ ايلول ١٩١٨ احاطت القوات العربية بدمشق . وفي صبيحة الاول من تشرين الاول ١٩١٨ دخل الامير فيصل بن الحسين معلنا قيام الحكومة العربية فيها . وقبل نهاية شهر تشرين الاول استكملت عمليات تحرير سوريا ، بحركتين عسكريتين الاولى سارت على طول الساحل مارة بصور وصيدا الى بيروت وطرابلس دون مقاومة ، والثانية اتبعت طريقا داخليا نحو حمص وحماة وحلب . وكانت آخر نقطة وصلها العرب شمالا هي محطة المسلمية قبل اعلان هدنة مودروس Mudros في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ .

اما العراق ، فقد تعرض لغزو القوات البريطانية التي استفادت من اعلان الدولة العثمانية الحرب عليها في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩١٤ لتوسيع سيطرتها على المناطق التي كانت تتطلع اليها منذ وقت بعيد . وقد اثار موقف الدولة العثمانية هذا قلق بريطانيا على مصالحها الاقتصادية والسياسية في العراق خاصة بعد ان اظهر الاتحاديون ميلاً شديدا نحو المانيا ، لهذا اقدمت على تسيير حملة عسكرية احتلت البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ وبغداد في ١١ اذار ١٩١٧ والموصل في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ .

اتفاقية سايكس — بيكو :

لقد وجدت بريطانيا منذ بدء الحرب ان مطامعها في الاقطار العربية لابد وان تصطدم بمطامع فرنسا ، خاصة وان هذه الاقطار لاتمثل درعاً واقيا لمستعمراتها في الهند فحسب ، بل هي مقر لحقول النفط الغنية . لذا بدأت مفاوضاتها ، مع فرنسا في الوقت الذي كانت تفاوض فيه مع الشريف حسين . وكانت تهدف من وراء ذلك الى امرين اثنين ، اولهما محاولة تكوين دولة عربية او اتحاد عربي ، وثانيهما تحديد المنافع الاقليمية التي يمكن ان تحصل عليها فرنسا وبريطانيا اذا ماانتهت الحرب بنجاح الى جانب الحلفاء . ومعنى ذلك انها كانت ترمي الى حمل فرنسا على التخلي عن قسم من مطامعها في سوريا ، وبعبارة اخرى كانت تحاول التوفيق ليس بين مصالحها ومصالح فرنسا وحسب ، بل بين مصالح فرنسا ومصالح الشريف حسين كذلك .

صدرت الاوامر في حزيران سنة ١٩١٥ بتأليف لجنة وزارية في بريطانيا برئاسة السر موريس دوبونسن السفير في وزارة الخارجية لدراسة رغبات بريطانيا في اسيا العثمانية . وقد عرفت اللجنة باسم رئيسها اي لجنة دوبونسن . وفي حزيران من السنة ذاتها انهت اللجنة اعمالها وقدمت تقريرا مفصلا يعتبر مقدمة للاتفاقات المهمة التي عقدت خلال الحرب العالمية الاولى مع الشريف حسين والفرنسيين والصهاينة . ومما جاء في التقرير النهائي لهذه اللجنة « يجب الاهتمام بالمناطق التي لنا فيها مصلحة اكثر من اهتمامنا بالتقسيم نفسه » . وعلى هذا الاساس فقد رسمت اللجنة الحدود الشمالية لمشروع المنطقة البريطانية بالخط الممتد من عكا الى جنوب دمشق ثم عبر تدمر — دير الزور — زاخو الى

راوندوز (في ولاية الموصل) على ان يؤخذ بنظر الاعتبار في حالة حدوث التقسيم حالات الصراع السلمي في المستقبل . وقدمت اللجنة توصية جاء فيها : ان المناطق الجنوبية لهذا الخط يجب ان توضع تحت النفوذ البريطاني ، وان كل سكة حديد تقام بين (بلاد مابين النهرين) والنقطة التي ستنتهي اليها على البحر المتوسط يجب ان تكون بريطانية . واشارت اللجنة كذلك في تقريرها الى ان باستطاعة البريطانيين استثمار حقول النفط وذلك باستخدام رجال من الهند دون الاهتمام الا بما يلائم المصلحة الامبراطورية . وحرصت اللجنة على تأمين المصالح البريطانية في المنطقة امثال انهار الملاحة ، ومشاريع الري وطرق السكك الحديد ، والاسواق التجارية ، وحقول النفط في الموصل وكركوك . كما اخذت اللجنة بنظر الاعتبار اهمية (بلاد مابين النهرين) كمخزن للحبوب ، وكحقل محتمل للاستثمار . واخيرا لم تغب الاعتبارات الستراتيجية عن ذهن اللجنة فقد اعارتها اهمية كبيرة .

وضعت لجنة دوبونسن اربعة مشاريع للمستقبل لحل مشكلة تقسيم اسيا العثمانية . ومن فحص تلك المشاريع يظهر انه على الرغم من توصية اللجنة في تقريرها وجوب التنازل لفرنسا عن المنطقة المجاورة للحدود مع فارس ، الا انها ادخلت الموصل في مشاريعها المقترحة ضمن المنطقة البريطانية .

شرعت بريطانيا في مفاوضاتها مع فرنسا على اساس توصيات لجنة دوبونسن في خريف سنة ١٩١٥ في الوقت الذي كانت بريطانيا تتفاوض فيه مع الشريف حسين كما سبق ان قدمنا . وقد تخوف بونكاريه رئيس الجمهورية الفرنسية (١٩١٣-١٩٢٠) من مفاوضات بريطانيا مع العرب ، وبذل جهوداً كبيرة لمنعها ، وتمنى كثيرا فشلها ، ولكنه لم يجد مجالا لايقافها فاخذ يحاول عندئذ ان يحصل على وعد صريح من بريطانيا تلتزم فيه عدم المساس بالمصالح الفرنسية خلال المفاوضات مع الشريف حسين . وقد كتب بونكاريه في مذكراته بتاريخ ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩١٥ في هذا يقول : « لقد بدأت مفاوضات غريبة بين انكلترا وشريف مكة . انهم سيعدونه بالخلافة ، وهو سيتعهد بمساعدتهم ضد تركيا » . ثم كتب في اليوم التالي مباشرة يقول : « ان الحكومة البريطانية في الوقت الذي تقول لنا كلمة عن هذه المفاوضات ... تطلب الينا ان نتذاكر معها حول تثبيت حدود سوريا ...لذا تقرر ايفاد جورج بيكو الذي كان قنصلنا العام في بيروت الى لندن لبحث هذه المسألة مع السلطات البريطانية .

وفي الوقت الذي وجد الفرنسيون في فرنسوا جورج بيكو خير من يمثلهم في مفاوضات التقسيم ، رأى البريطانيون في السرمارك سايكس الذي كان نائباً في البرلمان ومالكاً ثرياً ، وكان قد عين في مطلع القرن ملحقاً عسكرياً في استانبول أنسب من يمثلهم ، خاصة وانه كان يؤيد التقسيم على اساس انه يتيح للانكليز على حد ما نقل عنه من الوقوف على قدم المساواة مع حلفائهم وفي ايديهم وثائق يستطيعون الالتزام بها وحدود يقدرون على رؤيتها . ومصالح يمكن ان يحترموها . ومهما يكن فقد كان الاثنان من أمهر الاختصاصيين بقضايا الشرق الاوسط .

وصل بيكو لندن في نهاية سنة ١٩١٥ . وبدأت المفاوضات بين الطرفين . اذ عقد بيكو اجتماعين مع لجنة بريطانية برئاسة السرارثر نيكولسن الوكيل الدائم لوزارة الخارجية وفي الاجتماع الاول الذي عقد في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ شرح نيكولسن اتصالات حكومته بالشريف حسين ورغبتها في ضم العرب الى جانب الحلفاء وعرض ان تعطي فرنسا للعرب المنطقة التي يمكن ان تخصص لها وعوداً مماثلة للوعود التي اعطتها بريطانيا فيما يتعلق بالاستقلال العربي » . ولكن بيكو رفض العرض البريطاني وقال ان حكومته لاتستطيع ذلك . وطالب بان تحصل فرنسا على « سوريا وفلسطين من طوروس الى الحدود المصرية (باستثناء الاماكن المقدسة) ومناطق الموصل وكركوك ودير الزور. وقال ان فرنسا لن توافق مطلقاً على منح الاستقلال للعرب » . ولكن بيكو في الاجتماع الذي عقد في ٢١ كانون الاول ١٩١٥ وافق على ان تكون حلب وحماة وحمص ودمشق مدناً داخلة في المنطقة التي سيتولى العرب ادارتها تحت نفوذ فرنسا وقال ان حكومته تقدم على هذه التضحية رغبة منها في فصل العرب عن الاتراك .

كانت بريطانيا تضع اهمية كبيرة على طرق المواصلات المؤدية الى الهند ، كما سبق ان قدمنا . وعندما كان كتشنر مندوبا ساميا في مصر قبل الحرب ، قدم عدة تقارير الى وزارة الخارجية البريطانية حول اهمية جنوبي سوريا (من خليج عكا - حيفا على البحر المتوسط الى خليج العقبة على البحر الاحمر) ليكون درعاً واقيا لقناة السويس . لذلك اجاب السرمارك سايكس على سؤال في اثناء المفاوضات مع فرنسا يتعلق بنوع الاتفاق الذي يرغبه مع الفرنسيين قائلاً : « انني ارغب في الاحتفاظ بالبلاد الممتدة جنوب حيفا ...اعتقد انه يتوجب علينا ان يكون لنا حزام من بلاد تدخل ضمن النفوذ البريطاني تربط بين شريف مكة من جهة والفرنسيين من جهة اخرى » .

لقد تبنت لجنة دوبونسن اراء كتشنر عندما اصبح وزيراً بعد نشوب الحرب . فقد اكدت في تقريرها انها ترى ان مطلب فرنسا لايمكن قبوله الا بالنسبة لشمالي سوريا اما الجزء الجنوبي وهو يشمل فلسطين كلها فيجب ان يستبعد من منطقة النفوذ الفرنسي ويعالج معالجة خاصة . لقد كانت بريطانيا لاتريد ان يكون لفرنسا اواية دولة كبرى موطيء

(٦) لاتمد سكة حديد بغداد في المنطقة (أ) الى ما بعد الموصل جنوبا ولا في
المنطقة (ب) الى ما بعد سامراء شمالاً الى ان يتم انشاء خط حديد يصل بغداد بحلب
مارا بوادي الفرات ويكون برضاء واتفاق وتعاون الحكومتين .

(٦) تتفق الحكومتان البريطانية والفرنسية بصفتهما حاميتين للدولة على ان لا
تمتلكا ولاتسمحا لدولة ثالثة ان تملك اقطاراً في شبه جزيرة العرب اوتنشيء قاعدة
بحرية في الجزر التي تقع على شرق البحر الاحمر ، على ان هذا لايمنع تصحيحاً في
حدود عدن ، قد يصبح ضرورياً بسبب عداء الترك الاخير .

(٧) تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة لتعيين حدود
الدولة العربية او الاتحاد بين الدول العربية .

(٨) من المتفق عليه عدا ماذكر ان تنظر الحكومتان في الوسائل لمراقبة جلب
السلاح الى البلاد العربية .

تعتبر اتفاقية سايكس – بيكا ابشع صفقة استعمارية في التاريخ الحديث . اذ
اغفلت الدولتان حقوق العرب وواقعهم الاقتصادي والجغرافي والنفسي . بالاضافة
الى أن بنودها تتعارض في قسمها الاكبر مع وعود بريطانيا للشريف حسين . لكنها من
جهة اخرى تنسجم مع الاهداف الستراتيجية والمصالح الاقتصادية لكل من فرنسا
وبريطانيا . فالعراق وضع تحت ثلاثة انواع من الحكم وسورية الطبيعية قسمت بحيث
تخضع مناطقها المختلفة الى خمسة انواع من الحكم ...وعرضت الاتفاقية للخطر
حياة البلاد الاقتصادية ، فعلى سبيل المثال يتوجب على المسافر من مدينة عكا الى مدينة
حلب ان يعبر اكثر من اثنتي عشرة نقطة حدود في قطر صغير كسورية . اما الدولة
العربية المستقلة فقد حرمت من الاتصال بالبحر وفرض عليها ان تستعين ببريطانيا في
النصف الجنوبي وان تستعين بفرنسا في النصف الشمالي . لقد قيل الكثير في
نقد هذه الاتفاقية وقيل الكثير في تبريرها ولكن بالنسبة الى العرب كانت الاتفاقية
ضربة قاضية لآمالهم ومطامحهم القومية .

تصريح بلفور :

منذ اواخر القرن التاسع عشر قام جماعة من اليهود أطلقوا على انفسهم اسم
« صهيونيين » بحركة تدعو الى فتح ابواب فلسطين لليهود كي يهاجروا اليها وينشئوا
فيها كياناً خاصاً بهم . وقد اتاحت ظروف الحرب العالمية الاولى للصهيونية الاعتراف
باهدافها الاستعمارية تلك . اذا اثار اشتراك الدولة العثمانية في الحرب الاطماع
الصهيونية في الحصول على وطن لليهود في فلسطين .

بدأت في شباط ١٩١٧ مفاوضات بين الحكومة البريطانية والزعماء الصهيونيين ،
وبدعم من الولايات المتحدة الاميركية ، حصل الصهاينة في بريطانيا على (وعد بلفور)
في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ .

لقد جاء الوعد في صيغة كتاب موجه من اللورد آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا
الى البارون روتشيلد احد زعماء الحركة الصهيونية . وادناه نص الكتاب :

« يسرني جداً ان أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح الآتي الذي ينطوي
على العطف على أماني اليهود القومية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته : ان حكومة جلالة
الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها
لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جلياً ، انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يغير الحقوق
المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق
او الوضع السياسي ، الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى » .

ان التصريح الذي غدا الحجر الاساس الذي قام عليه الكيان الصهيوني يرجع الى
ظروف عديدة منها انه محاولة لكسب يهود العالم نحو قضية الحلفاء ، أو لاثارة المتاعب
امام المانيا ، او لضمان تأييد العناصر اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية او لعوامل
تتعلق بمطامع بريطانيا العظمى الاستعمارية واعتقاد بعض سياسييها ان اقامة مجموعة
يهودية في فلسطين تدين بوجودها لبريطانية ، سوف تؤلف قاعدة امينة مخلصة تساعد
على حماية قناة السويس وتأمين الطريق الى الهند والشرق الاقصى . اوان قيام الثورة في روسيا
وسقوط النظام القيصري (اذار ١٩١٧) شجع الحكومة البريطانية على الاعتقاد بانه يمكن
التملص من الاتفاق المعقود بينها وبين حكومتي روسيا وفرنسا بشأن تدويل فلسطين
لتحويلها الى محمية بريطانية بمساعدة النفوذ اليهودي العالمي ، او أن لعلاقات الدكتور
حاييم وايزمن الناطق الرسمي بأسم الحركة الصهيونية انذاك الشخصية مع بلفور ولويد

جورج رئيس وزراء بريطانيا اثرمهم في اصدار التصريح . ولـكن مهما كانت قوة الدوافع من مالية اوسياسية او دينية اوشخصية كما يذكر البعض ، فان ضرورات الستراتيجية البريطانية هي التي اقتضت العمل لصالح الحركة الصهيونية ، خاصة وان اهمية فلسطين كقاعدة وطيدة تحمي المصالح البريطانية في المنطقة ، اخذت تزداد مع تطور الحرب.

لقد تجاهل التصريح الشعب العربي في فلسطين الى حد انه وصف ال (٩٣) بالمئة من سكان فلسطين بانهم « الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين » وهذا يدل على مقدار لؤم بريطانيا التي استمرت في تجاهل حقوق العرب وهم اهل البلاد الحقيقيين حتى ان جفريز وهو كاتب انكليزي عرف عنه قول الحقيقة علق على صدور تصريح بلفور قائلاً : « انه صدر بصورة غير قانونية ، وينحو الى غاية استبدادية . وقد صيغ صياغة مضللة ، وانه اكثر وثيقة مخزية وضعت حكومة بريطانية يدها عليها في حدود ماتعيه الذاكرة » .

لم يحاول احد من اعضاء الوزارة البريطانية الحيلولة دون اصدار التصريح سوى ادوين مونتاكيو واللورد كرزن . وكان مونتاكيو اليهودي يرى انه بريطاني أولاً واخيراً ، وانه يعارض في ازدواجيه الولاء . اما كرزن فقد حذر زملاءه من ان عبارة (وطن قومي) تعني « دولة قومية » وان هذا الاتجاه ينطوي على مخاطر كبيرة وان فلسطين لاتستطيع استيعاب جميع يهود العالم . وان العرب لن يوافقوا على التخلي عن املاكهم . ولـكن لويد جورج وبلفور استطاعا اقناع بقية اعضاء الوزارة .

وفي اليوم نفسه الذي صدر فيه التصريح بعثت وزارة الخارجية البريطانية الى ريجنالد ونكيت الذي اصبح مندوباً سامياً في مصر بعد هنري مكماهون برقية تنبئه بصدور التصريح وتطلب اليه ان لايمارس رقابة رقيقة على تعليقات الصحف حتى لايستثار غضب المشاعر العربية . ولـكن الانباء سرعان ماوصلت حين نشرت جريدة المقطم المصرية في ٩ تشرين الثاني ١٩١٧ برقية من مراسلها في لندن نص التصريح ، الأمر الذي اثار في مصر والوطن العربي خوفاً وشكوكاً من اهدافه الحقيقية ، ذلك انهم رأوا فيه انكاراً لرغبات السكان في فلسطين ولحريتهم السياسية .

وازاء هذا الموقف ارسل الحسين للحكومة البريطانية مذكرة يطلب تعريفاً لمعنى الوعد ومداه ، وعهدت وزارة الخارجية الى هوكارث من المكتب العربي في القاهرة نقل رسالة من وزارة الخارجية الى الشريف حسين في جدة في اوائل كانون الثاني ١٩١٨ .

واهم ماجاء في الرسالة القول : « ان دول الحلفاء مصممة على ان تتاح للشعب العربي فرصة كاملة لاستعادة كيانه كأمة في العالم ، وهذا لايتيسر تحقيقه الا باتحاد العرب انفسهم وان بريطانيا العظمى وحلفاءها سيتبعون سياسة ترمي الى تحقيق هذه الوحدة » . اما بشأن فلسطين فقد قالت الرسالة : « انا مصممون ان لايخضع شعب لشعب آخر » ولـكن بسبب وجود اماكن مقدسة بالنسبة للمسلمين واليهود والمسيحيين « فلابد ان يكون هناك نظام خاص بهذه الاماكن يوافق عليه العالم » . واما بشأن اليهود فقد قالت الرسالة ان الحكومة البريطانية مصممة على ان لاتوضع عقبة في سبيل : عودة « اليهود الى فلسطين بقدر مايتفق ذلك مع حرية الاهالي الموجودين من الوجهتين الاقتصادية والسياسية » . وان زعماء الحركة اليهودية مصممون على انجاح الصهيونية بالصداقة والتعاون مع العرب .

ويذكر هوكارث انه برغم قبول الشريف حسين بايجاد ملجأ لليهود في فلسطين وتقديره قيمة التعاون العربي اليهودي ، الا انه لم يتنازل عن مطلب السيادة العربية . ويبدو كما يقول المؤرخ الاردني سليمان موسى ، ان الشريف حسين لم تكن لديه حتى ذلك الحين ، فكرة واضحة عن مطامع الصهيونيين في فلسطين اوعن ابعاد تصريح بلفور ومدى جدية الحكومة البريطانية تجاه الموضوع كله . وفيما بعد . عندما اتضحت له حقيقة المطامع الصهيونية وجدية الحكومة البريطانية في دعم تلك المطامع . اعلن معارضته التامة وبلغ في تشدده اقصى حد ممكن.

نجحت الحكومة البريطانية في تبديد المعنى السياسي الذي انطوى عليه تصريح بلفور. وارسلت لجنة صهيونية في اذار ١٩١٨ برئاسة وايزمن تضم ممثلين عن صهيونيي العالم وبها مراقبان رسميان من الحكومة البريطانية لدراسة الاوضاع في فلسطين وارساء الاسس لاقامة الوطن القومي اليهودي.

بعد ان نشرت تفاصيل اتفاقية سايكس – بيكو من قبل الحكومة الجديدة التي تسلمت زمام الحكم في روسيا ، اثر ثورة اكتوبر (تشرين الاول ١٩١٧) اخذ الاتحاديون يعرضون الصلح على الشريف حسين لـكن الصهاينة وقفوا ضد الصلح خوفاً على مشاريعهم في فلسطين . ويذكر سليمان موسى ان الشريف حسين ، لم يفعل شيئاً واحداً وراء ظهر حلفائه الانكليز . وهذا يدل دلالة واضحة على انه سقط في خطأ التحالف مع الانكليز الذين تنكروا لعهودهم معه وعملوا لاقتسام الاقطار العربية في المشرق مع الفرنسيين وفي الوقت ذاته ، وضعوا الاسس لضياع فلسطين واقامة « الوطن القومي اليهودي » فيها فيما بعد ويعلق المؤرخ البريطاني ديزموند ستيورات على هذا الوضع بقوله : « انه بعد نشر

تصريح بلفور واتفاقية سايكس – بيكو، لم يبق لبريطانيا اصدقاء من العرب بل عملاء فقط ». فمع بداية الانتداب البريطاني على فلسطين، شرعت بريطانيا فيما بين سنتي ١٩١٨ و١٩٤٨ في تطبيق نص وروح تصريح بلفور. وتهويد فلسطين عن طريق استقدام المهاجرين اليهود الى فلسطين من جميع اصقاع الارض، حتى اذا جاء ١٤ ايار ١٩٤٨، انسحبت بريطانيا من فلسطين، بعد ان تأكدت من قدرة اليهود على اعلان كيانهم الصهيوني على تلك الارض العربية، وهذا ماحدث فعلاً، ومازال هذا الكيان يهدد المصير العربي برمته .

القضية العربية في التعهدات العلنية :

هذا وقد اضطر الحلفاء الى اصدار تعهدات علنية للعرب تحت وطأة ظروف الحرب خاصة بعد ان فضحت ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا الاتفاقات السرية بين الحلفاء ومنها اتفاقية سايكس – بيكو وذلك بنشر نصوصها في جريدة الازفستيا في عددها الصادر في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ عن مذكرة وزارة الخارجية الروسية التي عثر عليها في مبنى الوزارة في بتروكراد. لذا اقدم ريجنالد وينكيت في ٨ حزيران سنة ١٩١٨ بارسال برقية الى الشريف حسين « فيها الشيء الكثير من المراوغة والتحريف والكذب » وفيما يلي اهم ماجاء فيها :

« لقد اطلع البلاشفة ... على سير المفاوضات والمباحثات الاولية، لا على معاهدة، الدائرة بين انكلترا وفرنسا وروسيا خلال الحرب لتجنب المصاعب ... ويظهر ان جمال باشا ... اما عن جهل اوعن خبث ... (لم) يذكر الشروط المتعلقة بموافقة الدول الثلاث على تأسيس حكومات وطنية في بلاد العرب والمحافظة على كيانها ومصالحها جاهلاً اومتجاهلاً ان نجاح الثورة العربية (وانسحاب) روسيا، قد احدث موقفا مختلفا ... » .

لقد نجحت الدعاية العثمانية اثر ذلك باظهار الشريف حسين في صورة الخائن للاسلام وللملة والذي جعلته اطماعه يتأمر مع الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية المسلحة. لذا عمت الاقطار العربية موجة من السخط فاضطرت الانكليز والفرنسيين الى اصدار وعود جديدة للعرب قدمت فيها ضمانات ذات اهمية، ومن هذه الوعود ماسمي بالتصريح البريطاني للسوريين السبعة، والتصريح البريطاني – الفرنسي المشترك .

اما بالنسبة للتصريح الاول فقد جاء بعد ان تقدم سبعة من السوريين المقيمين في القاهرة . ومن الذين لهم صلة بالجمعيات العربية السرية بمذكرة يوم ٢٦ نيسان سنة ١٩١٨ بدون توقيع الى وزارة الخارجية البريطانية بوساطة المكتب العربي في القاهرة . وهؤلاء السبعة هم رفيق العظم . الشيخ كامل القصاب . مختار الصلح . الدكتور عبد الرحمن الشهبندر . فوزي البكري . حسن حمادة . خالد الحكيم . وتضمنت مذكرتهم مخاوفهم وامالهم ازاء مستقبل الاقطار العربية . وطلبوا ان تقدم لهم بريطانيا تعريفا لسياستها التي ترمع تطبيقها على هذه الاقطار بعد انتهاء الحرب . وقد تساءلوا : « هل نستطيع ان نؤكد لقومنا ان سياسة حكومة بريطانيا مساعدة العرب على نيل استقلالهم استقلالاً تاما . وتأليف حكومة عربية لا مركزيه تشبه حكومة الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الحكومات الحليفة التي توافق طبيعة الاهلين ام هل تعتبر كل البلاد العربية على السواء ؟ » . وقد فسر اصحاب المذكرة الاقطار العربية بانها تضم شبه الجزيرة العربية وسوريا والعراق وولاية الموصل وجزءاً كبيراً من ولاية دياربكر. واعلنوا في المذكرة . بانهم على استعداد لبسط يد الصداقة لبريطانيا اذا هي ساعدتهم على تحقيق اهدافهم .

جاء جواب الحكومة البريطانية في ١٦ حزيران سنة ١٩١٨ بشكل تصريح رسمي يوضح سياستها تجاه الاقطار العربية الداخلة في الحدود المرسومة بمراسلات الشريف حسين مكماهون . وقد قسم التصريح الاقطار العربية الى اربعة أقسام هي : (١) المناطق التي كانت مستقلة قبل الحرب (٢) والمناطق التي حررت من السيطرة العثمانية بجهود العرب انفسهم اثناء الحرب . وتضم المناطق (١) و(٢) الحجاز ونجد والجزء الجنوبي من شرق الاردن وقد اعلن التصريح الاعتراف باستقلالها التام .

اما الفقرة (٣) فهي المناطق التي كانت في السابق تحت السيطرة العثمانية وتحتلها في الوقت الحاضر القوات الحليفة وتضم هذه المناطق ولايتي بغداد والبصرة والجزء الجنوبي من فلسطين وقد اعلن التصريح ان السياسة الدائمة للحكومة البريطانية تقوم على ان حكومة المستقبل لهذه المناطق يجب ان تقوم على مبدأ رضى المحكومين . وبصدد الفقرة (٤) فانها تضم المناطق التي كانت لاتزال تحت النير العثماني . وقد أكد التصريح ان رغبة الحكومة البريطانية هي مساعدة العرب في المنطقة الرابعة وهي لاتزال تعمل لتحقيق هذه الغاية وهي تدرك تمام الادراك مبلغ الصعوبات والاخطار التي تحيط باولئك الذين يعملون في سبيل استعادة حرية هذه الاقطار . وان الحكومة البريطانية . على الرغم من جميع الصعوبات . تثق وتؤمن بقدرتها على التغلب على جميع الصعوبات . وهي ترغب في تأييد كل من يعمل على تذليلها .

ومستعدة للنظر في اي مشروع للتعاون يتفق مع العمليات العسكرية الحالية وينسجم مع المباديء التي يسير عليها الحلفاء .

اعتبر بعض المؤرخين هذا التصريح من أهم ما اصدرته بريطانيا لتوضيح سياستها تجاه المناطق العربية . وتنبع اهميته في كونه يقدم وعوداً صريحة بالاستقلال . وانه يعارض اتفاقية سايكس – بيكو ولئن ساهم هذا التصريح في تبديد مخاوف القوميين العرب وقوى عزائمهم من جديد ، فانه لم يكن اكثر من مناورة سياسية اقتضتها ظروف الحرب من جهة ، وانذار لفرنسا من ان بريطانيا تريد الموصل التي كانت جيوشها تتقدم لاحتلالها واخراج العثمانيين منها . أن الاتجاه البريطاني الجديد يبرز بصورة أكثر وضوحاً في التصريح البريطاني – الفرنسي المشترك كما يظهر ادناه .

لقد كان التصريح البريطاني – الفرنسي المشترك احد المساومات الدولية التي شهدتها ايام الحرب . وترجع فكرة اصدار هذا التصريح الى اوائل شهر تموز سنة ١٩١٨ . وقد وجدت بريطانيا في اصداره محاولة فيها للتخفيف من القيود التي فرضتها اتفاقية سايكس – بيكو من جهة وحصر نفوذ فرنسا في اضيق دائرة ممكنة من جهة أخرى . ويبدو ان بريطانيا ادركت ان فرنسا قد وجدت في الاتفاقية المذكورة الورقة الوحيدة التي تحوي اعترافاً صريحاً وواضحاً من جانب بريطانيا بنصيب فرنسا من الاسلاب العثمانية . وقد يكون من اسباب التصريح محاولة ارضاء الرئيس الاميركي وودرو ولسن باعطائه الدليل على ان الحكومتين البريطانية والفرنسية تنويان السير على سياسة حق تقرير المصير التي كان ينادي بها .

يتألف التصريح من مقدمة ونص . وقد نشر التصريح في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ دون الاشارة الى المقدمة التي جاء فيها : ان الحكومتين قد عقدتا العزم على اصدار التصريح من أجل أن تعطيا السكان غير الأتراك الساكنين بين جبال طوروس والخليج العربي تأكيداً بان الحكومتين ، كل منهما في منطقتها الخاصة ، تعترفان بان تؤمنا لهم أفضل درجات الحكم الذاتي بهدف ضمانة تحريرهم وتطور مدنيتهم.

اما نص التصريح فقد جاء ، بما لايترك مجالاً للشك ، في ان الحكومتين المذكورتين تعترفان بحق العراقيين والسوريين في تقرير مصيرهم وتعيين شكل الحكومة التي يريدونها ، ويرى جورج انطونيوس ، ان ما كان يرمي اليه التصريح البريطاني – الفرنسي هو معالجة الموقف العربي الذي تأزم في الاقطار العربية المحتلة اثر احتجاج الفرنسيين على حادثة رفع العلم العربي في بيروت باسم الامير فيصل بن الحسين بعد تحرير المدينة وتفاقم موجة السخط مما يضمره الحلفاء من دوافع ونوايا . ومما جاء في التصريح :

« ... ولقد اجمعت فرنسا وانكلترا على اقامة ... الحكومات الوطنية في سوريا وبلاد مابين النهرين المنطقتين اللتين اتم الحلفاء (تحريرهما) . وفي الاراضي التي مازالوا يجاهدون في تحريرها ... وليس من غرض فرنسا وانكلترا ان تلزما اهالي هذه المناطق على الحكم الذي تريدانه ولكن همها الوحيد ان يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما عمل هذه الحكومات والادارات التي يختارها الاهلون من ذات انفسهم ... » .

يعتقد كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الاسلامية بان التصريح قد أنعش آمال القوميين العرب من جديد اما جون باجوت كلوب فيقول في كتابه « بريطانيا والعرب » ان التصريح جاء اكثر وضوحاً من نصوص مراسلات الشريف حسين – مكماهون ، واتفاقية سايكس – بيكو ، ووعد بلفور والتي لم تكن سوى وثائق كتبت باسلوب غامض وبعبارات قابلة للعديد من التفسيرات . ان التصريح البريطاني – الفرنسي المشترك ، حسبما يرى سليمان موسى في كتابه الحركة العربية لايعدو أن يكون « محاولة بريطانية » أخرى لحصر نفوذ فرنسا وتوريطها للسير في اتجاه تعديل اتفاقية سايكس – بيكو لاستعادة منطقة الموصل والى شيء من هذا القبيل يشير اللورد كرزون في اجتماع اللجنة الشرقية في ٥ كانون الاول سنة ١٩١٨ بقوله : « ان التصريح البريطاني – الفرنسي في مجمله حل الى حد كبير محل اتفاقية سايكس – بيكو وانه من الاسلحة المهمة التي سيتسلح بها المندوبون البريطانيون عند معالجة تلك الاتفاقية » . ومهما يكن من أمر فان التصريح كان ضروريا لايجاد حالة من الاستقرار لدولتي الحلفاء قبل الشروع بالتسوية النهائية اثناء مؤتمر الصلح . خاصة وان التصريح كان مشتركاً بمعنى انه يعبر عن فهم مشترك من قبل المسؤولين الانكليز والفرنسيين للظروف والاوضاع التي تمر بها المنطقة والعالم في ذلك التاريخ .

العرب ومؤتمر الصلح في باريس :

عقدت الهدنة العامة بين المانيا والحلفاء يوم ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ . وفي ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ عقد مؤتمر الصلح في باريس اولى جلساته . وكان مصير الدولة العثمانية ومستقبل اقطارها في مقدمة القضايا التي وضعها المؤتمر في جدول اعماله . وفي ٣٠ كانون الثاني اصدر المؤتمر قرارا جاء فيه « ان الحلفاء والدول التابعة لهم قد اتفقوا على ان

ارمينيا وبلاد مابين النهرين وكردستان وفلسطين والبلاد العربية يجب انتزاعها بكاملها من الامبراطورية العثمانية » وقد وقع رجال المؤتمر . نتيجة للمصالح المتضاربة والظروف المتشابكة حين تقرير مصير الاقطار المنسلخة ، بحيرة فيما عساهم يقررون بمصيرها في هذا الجو المتلبد بمطالب « حق تقرير المصير » و « الوصاية » و « حقوق الامم الصغيرة » من جهة والاطماع الاستعمارية من جهة اخرى . فكان من الطبعي لرجال المؤتمر ان يبحثوا عما يوفق بين هذه الآراء لتلائمة السياسية . وكان المفروض ان نظام الانتداب وحد كحل وسط بين سياسة الاستعمار القديمة ووعود الحلفاء خلال الحرب . ولكن سرعان ما اصطدمت مبادىء الرئيس الامريكي ولسن الاربعة عشر ومنها التأكيد على حرية الشعوب في حق تقرير مصيرها مع خطط بريطانيا وفرنسا الاستعمارية الواضحة . وكان ولسن يرفض كذلك حق النظر في الاتفاقات السرية المعقودة خلال الحرب ، وقد بقيت مشكلة الدول التي ستمارس واجبات الانتداب في مناطق معينة بالذات قائمة دون حل ، حتى بعد ان اقر نظام الانتداب لذلك كانت هناك لحظات بلغ فيها التوتر أقصاه خلال المؤتمر وخاصة بين الوفدين الاميركي والفرنسي . ولأجل ان يوفق الرئيس ولسن بين مطاليب فرنسا وبريطانيا من جهة ومبدأ تقرير المصير من جهة اخرى اقترح ارسال لجنة تحقيق من هيئة من خبراء الدول الكبرى للاطلاع على وجهات نظر السكان في المنطقة ورغائبهم . ووضع الرئيس ولسن تعليماته الى اللجنة المقترحة ووافق المجلس الاعلى للحلفاء عليها رسمياً في ٢٥ آذار سنة ١٩١٩ وتنص هذه التعليمات على ان تقوم اللجنة بزيارة منطقة (الشرق الادنى) والتعرف بقدر الامكان ، على حالة الرأي العام وعلى الاوضاع العامة وتوزيع الانتدابات فيها بما يضمن تطوير تلك الاقطار . وقد عين ولسن اعضاء اللجنة من الاميركيين ، وكذلك فعل لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا ، اما الحكومة الفرنسية فقد امتنعت عن تعيين ممثليها في لجنة التحقيق . وازاء ذلك قرر لويد جورج امتناعه عن ارسال اعضاء بريطانيين الى اللجنة مالم تفعل فرنسا . اما الرئيس ولسن فقرر ان تكون اللجنة من الاميركيين فقط واوعز الى اللجنة التي كانت برئاسة المستر جارلس كراين والدكتور هنري كنك بالسفر الى سوريا والعراق والقيام بمهمة التحقيق تحت اسم « الهيئة الاميركية من اللجنة الدولية حول الانتداب في تركيا » والتي اشتهرت باسم لجنة كنك – كرين . وقد تجولت اللجنة بين شهري ايار وتموز سنة ١٩١٩ في انحاء سوريا وفلسطين طوال ستة اسابيع واستمعت فيها لاقوال عدد كبير من الاهالي . ولم تتيسر للجنة زيارة العراق وذلك لمحاولة السلطة البريطانية وضع العراقيل في طريقها . وفي ٢٨ آب ١٩١٩ قدمت توصياتها في تقرير مفصل . وكانت اهم التوصيات تلك المتعلقة بفلسطين فقد بدأت اللجنة عملها وذهنها مهيأ مسبقاً في صالح الصهيونية اذ كانت معجبة بنجاح اساليبها الحديثة ، ولكن

واجهتها حقائق صريحة دفعتها الى التوصية بتعديل كبير للبرنامج الصهيوني المتطرف ، حين اجتمعت اللجنة بالصهيونيين الذين يتطلعون نحو تجريد كامل للسكان المحليين من غير اليهود وباشكال مختلفة من البيع . واوصت اللجنة كذلك بوجوب توحيد سوريا وفلسطين تحت انتداب بريطاني او اميركي مع تحديد للوطن القومي اليهودي . اما بالنسبة الى سوريا فقد اوصت بوحدتها تحت حكم دستوري برئاسة فيصل بن الحسين على ان يعهد لاميركا او بريطانيا بالانتداب . وقد اوصت اللجنة ، ، بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني .

ومهما يكن من امر ، فقد اهمل تقرير اللجنة ولم يسمح بنشره الا في كانون الاول ١٩٢٢ دون ان يترك اثراً في تقرير مستقبل الاقطار العربية . اما اسباب اهمال التقرير فكثيرة لعل من ابرزها انه كان صريحاً اكثر مما كانت تحبذه الحكومة الاميركية ، وكان من الممكن ان يربكها في مؤتمر الصلح ويهدد علاقتها بحليفتيها وهما بريطانيا وفرنسا . كما ان التوصيات المتعلقة بالشعور العربي المعادي لفرنسا في سوريا ، والشعور العربي المعادي لبريطانيا في العراق ، والشعور العربي المعادي للبرامج الصهيونية في فلسطين قد دفع كلا من الحكومتين البريطانية والفرنسية للتدخل لدى الوفد الاميركي في باريس ووزارة الخارجية الاميركية في واشنطن لاخفاء التقرير . وقد يكون لمرض الرئيس ولسن ، وعودته الى بلاده في منتصف صيف ١٩١٩ واستحالة تولي الولايات المتحدة اي انتداب في الوطن العربي وكون التحقيق قد تم على يد خبراء اميركان ، من العوامل التي حالت دون نشر التقرير .

اجتمع مؤتمر الحلفاء الاعلى في سان ريمو في الفترة من ١٨ الى ٢٦ نيسان ١٩٢٠ . وفي ٢٦ نيسان اعلنت القرارات المتعلقة بتوزيع الانتدابات . اذ اعطي الانتداب على العراق وفلسطين لبريطانيا ، واعطيت فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان . وكان هذا التوزيع مبنياً على اتفاقية سايكس – بيكو مع شيء من التعديل . وفي ١٠ آب ١٩٢٠ وقع الحلفاء مع تركيا معاهدة سيفر التي اعطت الصفة القانونية لاتفاقية سان ريمو ونظام الانتداب . وقد نصت المادة (٩٤) من معاهدة سيفر على الاعتراف مبدئياً بسوريا (الطبيعية) والعراق « دولاً مستقلة شريطة تقديم المشورة الادارية والمساعدة من قبل دولة منتدبة حتى يحين الوقت الذي تستطيع فيه ان تقف وحدها » . وقد تم البت في مستقبل الاقطار العربية دون حضور ممثلين عرب على الرغم من الوعد الصريح الذي أعطي للامير فيصل بن الحسين من حكومتي بريطانيا وفرنسا بانه لايمكن اتخاذ قرار نهائي الا بعد اجراء المشاورات معه -

وفي اليوم التالي لتوزيع الانتدابات ، تم التوصل الى عقد اتفاق نهائي حول نفط الموصل ، حصلت فرنسا بموجبه على ٢٥ ٪ من نفط العراق وتعهدت بالسماح لانابيب النفط بالمرور من سوريا ولبنان الى سواحل البحر المتوسط . وبذلك وزعت المصالح النفطية في العراق بين الانكليز الذين حصلوا على ٧٥ ٪ والفرنسيين الذين حصلوا ٢٥ ٪ . وقد جاء حصول الفرنسيين على هذه النسبة بعد مساومات استمرت قرابة اربعة سنوات ، وجاءت نتيجة لما عرف باتفاق لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني وجورج كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي في كانون الاول ١٩١٨ والذي ، بموجبه تنازلت فرنسا عن ضم الموصل الى منطقة نفوذها ، كما جاء في اتفاقية سايكس – بيكو ، مقابل اطلاق يدها في سوريا ليتاح لها اسقاط الحكومة العربية التي اسسها الامير فيصل بعد تحريره دمشق . وقد كتب احد المطلعين يقول ان بريطانيا باعت سوريا وعرش فيصل بمنطقة الموصل الغنية بالنفط .

اما ماهي الاسباب الموجبة لتنازل الفرنسيين عن الموصل ، فهناك من ينطلق من وجهة النظر البريطانية التي تذهب الى القول بان الموصل من الناحيتين الجغرافية والاقتصادية جزء من العراق ، وان بريطانيا هي التي تحملت وحدها عبء اسقاط الدولة العثمانية ، اذ استخدمت ما مجموعة (مليون واربعمائة الف جندي) وتحملت مايقارب (٧٥٠) مليون جنيه استرليني كنفقات لحربها مع الدولة العثمانية . اما وجهة النظر الفرنسية فقد جاءت ممثلة في بعض ماقاله تارديو امام البرلمان الفرنسي حين اعلن « كان علينا ان نعدل اتفاقات سنة ١٩١٦ اذا اردنا الحصول على النفط ، لان اتفاقية سايكس – بيكو كانت تعطينا الموصل بدون النفط وبتعديلها خسرنا الموصل ، ولكن حصلنا على النفط » .

اما الولايات المتحدة الاميركية ، فقد كانت تراقب المفاوضات البريطانية – الفرنسية لاقتسام نفط الموصل بقلق كبير . وقد اثار احتكار بريطانيا للنفط في الاراضي المشمولة بالانتداب البريطاني ، وكذلك توقيع اتفاقية سان ريمو استياءها ، واعتبرت تلك الاتفاقات اتفاقات احتكارية تغمط الحقوق الاميركية . في العراق خاصة وانها تعد نفسها احدى دول الحلفاء التي لها الحق في ان تعامل على قدم المساواة مع حليفتيها بريطانيا وفرنسا . لذلك اعلنت مبادىء سياستها الجديدة في الشرق الاوسط والتي عرفت باسم « سياسة الباب المفتوح » وتعني هذه السياسة ان الباب يجب ان يكون مفتوحاً لاية شركة اولجميع الشركات التي تهتم بامتيازات النفط في المنطقة . وقد أصرت الولايات المتحدة على ان يعامل رعايا جميع الامم معاملة متساوية امام القانون في المناطق المشمولة بالانتداب ، وان لاتكون الامتيازات الاقتصادية التي تمنح في هذه المناطق واسعة بحيث تكون محصورة بفئة او دولة معينة . وقالت الولايات المتحدة ان الحرب كسبتها الدول المتحالفة التي

[illegible] وبعد مفاوضات وجدال طويل مع الانكليز والفرنسيين ، حصلت [illegible] رأت الحكومة البريطانية تجنب ماقد يقع من صدام [illegible] حليفتيها الكبرى فاتجهت [illegible] مساومتها بالتنازل لشركات النفط [illegible] شركة النفط التركية . وهكذا اعترفت الولايات المتحدة [illegible] بالانتداب البريطاني على العراق

[illegible] التي تمت بمساهمة الشركات الاميركية في شركة النفط التركية [illegible] في ٨ حزيران ١٩٢٩ الى شركة نفط العراق المحدودة) الا ان الشركات الاميركية لم تتخلف عن المطالبة بسياسة الباب المفتوح واخذت تحاول الحصول على امتيازات نفطية مستقلة في العراق وغيره من مناطق الشرق الادنى الغنية بالنفط . وازاء محاولات التوسع الاميركي هذه اخذت بريطانيا وفرنسا تشعران بخطر منافسة الولايات المتحدة ومطامحها وصممت على اغلاق الباب المفتوح وعرقلة محاولات اميركا للحصول على امتيازات نفطية بصورة منفردة . ولهذا السبب : وبعد مفاوضات طويلة بين اعضاء شركة النفط التركية تقرر اغلاق الباب المفتوح اغلاقاً تاماً ازاء المساهمين في شركة النفط التركية . وقد عرفت هذه الاتفاقية المبرمة في ٣١ تموز ١٩٢٨ باتفاقية الخط الاحمر . وسبب تسميتها بهذا الاسم يرجع الى ان لجنة فرنسية قد رسمت خريطة للشرق الاوسط في سنة ١٩٢٧ واحاطت بالخط الاحمر الامبراطورية العثمانية السابقة بحدودها التي كانت عليها سنة ١٩١٤ (باستثناء مشيخة الكويت) .

حقاً ان قضية النفط في العراق : والاطار الذي تمت فيه عمليات الحصول على امتيازات استثماره . تمثل . صورة من ابشع صور الاستغلال الاقتصادي للاستعمار العربي في القرن العشرين . اذتظافرت جهود ثلاث دول كبرى للاستحواذ على النفط . متجاهلة حقوق الشعب العراقي . الذي هو صاحب الحق الوحيد في ثرواته النفطية .

اما بالنسبة لنفط اقطار الخليج العربي الاخرى فقد ظل موضع تنافس بين الدول الاستعمارية منذ مطلع القرن العشرين وحتى الحرب العالمية الثانية .

الفصـــل الخامس

نشوء حركة الثورة العربية

مقدمـــة

كـان للحرب العالمية الاولى اثركبير في عرقلة النمو الطبيعي للاتجاه القومي العربي وذلك بتحمله مسؤوليات لم يكن مهيئا لها الامر الذي اضطره ، الى الدخول فـي مساومات وتحالفات اضرت كثيرا الحركة العربية القومية . وبعد انتهاء الحرب، واجهت الحركة القومية مهام ذات طابع جديد ، خاصة بعد ان تحولت بعض قياداتها ، بحكم قصرنظرتها ولتغليبها مصلحتها الخاصة ، على مصلحة الوطن ، من صفوف الثوار والمناضلين من اجل الاستقلال الى صفوف الطبقات التي استطاع المستعمرون كسبها الى جانبهـم لذلك شهد الوطن العربي بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ثلاثة ظواهر اساسية هي على التوالي : اشتداد قبضة القوى الاستعمارية في الاقطار العربية الرازحة تحت نيرهـا وما احدثته من ردود فعل تمثلت بتعاظم حركة الثورة العربية وما تبع ذلك من تجزئـة الوطن العربي ونشوء الكيانات الاقليمية العربية ، وتطور هذه الكيانات ، بعضها بمعزل عن البعض الاخر ، الامر الذي جعل لكل جماعة من العرب ، عقلية مختلفة ، ونظاماً ودولة ، واسلوبا في الحكم يختلف في مكان عنه في اخر .فتحولت بذلك الحماسـة التي اثارها الوعي القومي الى مرارة قضت على ما كانت تتمتع به بريطانيا وفرنسا من سمعة معنوية في المشرق العربي . وتحول الشعب العربي عن متابعة جهوده من اجل البنـاء المثمر الى مقاومة قوى الاحتلال والانتداب الاجنبيين . وسنتعرض في هذا الفصل الى متابعة نشوء حركة الثورة العربية التي اتسعت لتشمل اقطارعربية عديدة منها مصر والعراق والسودان وسوريا وتونس وفلسطين . وكان هدف هذه الثورات الوطنية ، طرد الاجنبي وتحقيق الاستقلال واقامة الحكم الوطني وقد اثبتت هذه الثورات وحدة كفاح الشعـب العربي وترابطه ومن ابرز الثورات .

اشرنا فيما سبق ان تأسيس الحزب الوطني [illegible]
عقد الحزب في ٢٧ كانون الاول ١٩٠٧ اجتماعا [illegible]
اكد على استقلال مصر ، كما قرر [illegible] معاهدة لندن في [illegible]
دستورية في البلاد والعمل على نشر التعليم على اساس [illegible]
والصناعة والتجارة وكل فروع الحياة ، والعمل [illegible]

ونشر الشعور الوطني بين المواطنين . وقد حاول السير الدون غورست [illegible]
السامي البريطاني الذي خلف اللورد كرومر في نيسان ١٩٠٧ [illegible]
فشجع بعض المصريين ومعظمهم من ملاكي الاراضي [illegible]
تأسيس حزبي الامة والاصلاح على المبادئ الدستورية وذلك سنة ١٩٠٧ [illegible]
الحزب الوطني عن هذين الحزبين في مبدأين اساسيين : اولهما [illegible]
الاستعمار وثانيهما: دعوته الحديدة الى الوطنية المصرية . ومن جهة [illegible]
برنامج الحزب الوطني خلوه في نظرة متكاملة الى مشكلات مصر الاقتصادية [illegible]
ويرجع ذلك الى ان تكوينه كان تكوينا برجوازيا ومن هنا فانه لم يكتسب [illegible]
الفلاحين وظل نشاطه مقتصرا على المدن . كما انه اعتمد الاثارة وتنوير الاذهان [illegible]
للمقاومة .

وخلال الفترة من ١٩٠٧ الى ١٩٠٩ تألفت في مصر احزاب [illegible]
بقضايا مصر الاساسية رفاهية مادية واصلاح اقتصادي ونهضة اجتماعية [illegible]
ومن هذه الاحزاب : الحزب الوطني الحر . وحزب المصريين المستقلين [illegible]
وكان الاختلاف بينها ينحصر في علاقات كل منها مع الخديوي والسلطة العثمانية
والاحتلال البريطاني .

وقبيل الحرب العالمية الاولى نشطت الحركة الوطنية [illegible]
الاستعمار البريطاني . وطالب الحزب الوطني بالدستور [illegible]
غالي لتجعله رئيسا للوزراء . فاستخدم هذا القوانين الاستثنائية لاضطهاد [illegible]
نطاق واسع . لذلك لجأ الوطنيون الى العمل السري [illegible] ١٩١٠ [illegible]
الوطنيين الشباب هو ابراهيم الورداني [illegible] على بطرس غالي [illegible]
الاحتلال بشدة . وكان [illegible]

[illegible] وازداد ذلك ازدياد الارهاب [illegible] حتى بلغ
[illegible] خلال هذه الفترة تغلغل النفوذ والرأسمال الاجنبي
وكانوا يتمتعون بالامتيازات التي [illegible] مبعث
[illegible] الاجانب حق الاعفاء من بعض الضرائب . وحق
[illegible] في المحاكم القنصلية . واستغل [illegible] الاجانب
[illegible] تدفق رؤوس الاموال الاجنبية [illegible]
[illegible] الاجنبية التي تأسست في مصر بلغ [illegible]
[illegible] مساهمة بلغ مجموع رأسمالها في سنة ١٩١٣
[illegible] فضلا عن البيوتات التجارية والمالية الاجنبية ،
[illegible] صارت تتحكم في حياة مصر الاقتصادية . ووجد
[illegible] في مصر مرتعا خصبا . فوقع قسم كبير من اصحاب الاراضي
[illegible] اهمال الصناعة المحلية ، وساد الايحاء من بريطانيا ان مصر
[illegible] . وكان من ابعد التطورات الاجتماعية اثرا في
[illegible] والرأسماليين . وكانت هذه الفئة تعرف باصحاب المصالح
[illegible] في الاساس على ملكية الارض والزراعة . وتكشف
[illegible] قريبة من الحرب العالمية الاولى عن ان (١٢٤١٤) شخصاً من
[illegible] حوالي اثنى عشر مليونا كانوا يملكون حوالي نصف اراضي مصر.

[illegible] المصريون تقدما ملموسا في سبيل التدرب على حكم انفسهم بانفسهم
[illegible] المستشارين الانكليز. اما التعليم الذي كان ينتظر منه الارتقاء بابناء
[illegible] فقد تأخر في زمن الاحتلال . اذ لم يكن الهدف من
[illegible] تخريج كتبة لدوائر الحكومة . وتدنى عدد البعثات التعليمية
[illegible] على الاصابع . وكان مستشار التعليم دنلوب Danlop
[illegible] مذكرة سرية كتبها احد المسؤولين للحكومة البريطانية
[illegible] المصري من مخلوقات الله ، بل من خلق دنلوب..
[illegible] المدارس فلا يجدون سبيلا الى الاستفادة من علمهم...
[illegible] الذي يفي بحاجات حكومته اما دنلوب فقد علم عددا يكفي
[illegible] كان التعليم في عصر اسماعيل مجانياً . صار في ظل الاحتلال
[illegible] الطلبة في مصر سنة ١٩١٣ – ١٩١٤ [illegible] ٩٩٨
[illegible] سن التعليم . كانوا محرومين [illegible] وان
[illegible] ٩٩٤,٩٣٢ [illegible] ٩٣٠٥

بالغات سن التعليم . وهكذا كان على المصريين ان ينتظروا انتهاء الحرب العالمية الاولى ليبدأوا مرحلة جديدة من تاريخ نضالهم من اجل التحرر والاستقلال والتخلص من الاحتلال البريطاني قادها حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول .

ارتبطت نشأة حزب الوفد ، بمحاولة الحركة الوطنية المصرية ، الاستفادة من انتهاء الحرب العالمية الاولى وفوز الحلفاء وانعقاد مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩ . فمنذ ١٣ تشرين الاول ١٩١٨ توجه وفد مصري مؤلف من سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي الى دار المندوب السامي البريطاني ؛ لمقابلة ريجنالد ونكيت . وقد طالب سعد زغلول اثناء المقابلة بالغاء الاحكام العرفية ، وان تكون صداقة مصر لبريطانيا صداقة الند للند ، وطالب كذلك بالاستقلال التام لمصر ، واكد عزم بلاده على احترام التزاماتها وتلا ذلك ان تقدم الوفد الى الحكومة طالبا السفر الى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح ، لكن السلطات البريطانية رفضت هذا الطلب وفي ٨ اذار ١٩١٩ اعتقلت سعد زغلول وعدداً من رفاقه منهم محمد محمود ، واسماعيل صدقي وحمد الباسل ، ونفوا في اليوم التالي الى جزيرة مالطة ، فانفجرت الثورة .. وشعارها « الاستقلال التام او الموت الزؤام » وفي هذه الثورة اشترك الشعب العربي في مصر كله وتحققت الوحدة الوطنية ، وبرز دور العمال والفلاحين ، ورفعت المرأة المصرية الحجاب عن وجهها لتشارك اخاها الرجل في النضال من اجل التخلص من الحماية البريطانية .

تراجعت الحكومة البريطانية عن موقفها ، وبعث المستر لويد جورج رئيس الوزارة كتاباً للورد كيرزون يوافق فيه على السماح للوفد المصري بالسفر ، ويلح على ضرورة اعادة النظام . وعينت الحكومة البريطانية اللورد اللنبي مندوباً سامياً في مصر ليعيد الأمن والنظام اليها ، فسعى اللنبي الى اطلاق سراح المنفيين . وفي ٧ نيسان ١٩١٩ اعلن قراره بالافراج عنهم واباحة السفر لمن يشاء ، فابحر اعضاء الوفد من مصر يوم ١١ نيسان الى مالطة حيث صحبوا سعدا واصحابه الى باريس .

تألفت في ١٢ نيسان في القاهرة لجنة مركزية للوفد . لامداده بما يحتاج اليه ، ولجمع التبرعات له . وتألفت لجان أخرى في الاقاليم لجمع التبرعات له ، وأوعز سعد زغلول فيما بعد بتأليف « لجنة الوفد المركزية للسيدات » التي رأستها السيدة هدى شعراوي .

فوجىء الوفد في باريس باعتراف الرئيس الاميركي ولسن بالحماية البريطانية على مصر . فدب اليأس الى نفوس أعضاء الوفد ، وفي جلسة ٢٦ ايار ١٩١٩ التي عقدها الوفد

أحاء الأعضاء بان مهمتهم قد انتهت . وان الأمل في الاستقلال لم
مرح عزيز منسي ١٩١٩ أول انشقاق في صفوف الوفد انتهى بفصل اسماعيل
بعد له وجود . وشهد شهر تموز حافظ رمضان . وقد روج الوفد ضد صدقي
صدقي ومحمود أبو النصر واستقالة علي كما اتهمهما بالاتصال بالانكليز . الا ان سعد زغلول
وأبو النصر تهمة انشاء اسرار الوفد . الاستقلال . وبعد ان لقدوم لجنة ملنر Milner الى مصر
رأى مواصلة السعي من أجل للتحقيق في أسباب انتفاضة مصر ولتوسيع نطاق الحكم
في ٧ كانون الأول ١٩١٩ ، سعد زغلول باشا المقيم بباريس
الذاتي » أثر كبير في اجماع الصحف الوطنية على ان فالاولى باللجنة مفاوضته بالامر . وقويت
هو الوكيل الذي انابه الشعب المصري عنه . بان غرضها كذلك هو التوفيق بين اماني المصريين
عزيمة الوفد عندما اعلنت اللجنة وقويت امال الوفد بتحقيق مطالبه عندما
وبين ما لبريطانيا من المصالح الخاصة في مصر » معه بقصد الوصول الى اتفاق . وكانت
دعت لجنة ملنر الوفد الى لندن لاجراء محادثات بحد ذاتها مكسباً للوفد لانها
الدعوة ، كما يقول المؤرخ الفلسطيني محمود زايد .
كانت بمثابة اعتراف رسمي به كناطق بلسان المصريين .

اسفرت المفاوضات عن مشروع معاهدة رفضه الوفد . وقدم مشروعاً رأى انه اساس صالح للمفاوضات . فرفضته اللجنة . ثم استؤنفت المفاوضات وانتهت بتقديم مشروع آخر لايختلف كثيرا عن المشروع الاول . ورأى الوفد عرضه على الشعب حتى لايتأثر وحده بالرأى في مسألة تتعلق بمصير البلاد جميعاً ؛ ولم يرض المصريون عن المشروع ففشلت المفاوضات وقد اعلنت الحكومة البريطانية . بعد فشل مفاوضاتها مع الوفد ؛ على لسان ملنر ، انها ترى انه اذا تقرر عقد معاهدة مع مصر ؛ فانها يجب ان تكون نتيجة مفاوضات رسمية بين الحكومتين البريطانية والمصرية . ورفع ملنر تقريره الى كيرزون وزير الخارجية البريطانية في كانون الاول ١٩٢٠ اشار فيه الى ضرورة النزول عند بعض رغبات المصريين بما لايتعارض مع المصالح البريطانية . لذلك تألف الوفد الرسمي المصري برئاسة عدلي يكن رئيس الوزراء المصري . ومن لندن بدأت المفاوضات بينه وبين كيرزون في تموز ١٩٢١ وانتهت في تشرين الثاني بمشروع معاهدة لم تكن افضل من مشروع ملنر . رفضه عدلي ورجع الى مصر ليقدم استقالته في ٨ من كانون الثاني ١٩٢٠ وتريث السلطان فؤاد في قبول الاستقالة . وفي اثناء ذلك اعتقل سعد زغلول زعيم الوفد وبعض صحبه ونفوا الى جزيرة سيشل في المحيط الهندي في ٢٩ كانون الثاني . ورأى عدلي ان يتعجل قبول استقالته حتى لايتهم بان له يداً في اعتقال سعد ونفيه ولجأت البلاد الى الثورة ثانية . فتألفت الجمعيات السرية للانتقام من الانكليز ومن يتعاون معهم واحجم رجال السياسة عن قبول

تأليف الوزارة . وظلت البلاد طيلة شهرين بدون وزارة ، حتى فوتح عبد الخالق ثروت في تأليفها فاشترط لقبولها ان تسلم بريطانيا : من جانبها بالمطالب المصرية ومن مقدمتها الغاء الحماية ، وممارسة مصر لحقها في تبادل التمثيل الدبلوماسي ، وانشاء برلمان من هيئتين واطلاق يد الحكومة في اعمالها دون شريك فلايكون للمستشارين الانكليز دخل فيها واستبدال المصريين بالموظفين الاجانب ، والغاء الاحكام العرفية ، والدخول في مفاوضات مع هيئة يعتمدها البرلمان ، وان يكون قبول هذه الشروط بمقتضى وثائق تصدرها الحكومة البريطانية

اقتنعت الحكومة البريطانية بهذه المطالب ، واصدرت تصريحا من جانبها وحدها في ٢٨ شباط ١٩٢٢ الغت فيه الحماية على مصر واعترفت بها دولة مستقلة ذات سيادة مع الاحتفاظ بصورة مطلقة بمسائل اربع لمفاوضات مقبلة وهي :

(أ) تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر .
(ب) الدفـاع عن مصـر من كل اعتداء او تدخـل اجنبـي بالـذات او بالوساطة
(ج) حماية المصالح الاجنبية في مصر وحماية الاقليات
(د) السودان .

وفي ١٥ اذار ١٩٢٢ اصدر السلطان فؤاد أمراً يعلن فيه من جانبه ان مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، ويعلن نفسه ملكا عليها ، وقد افرجت بريطانيا عن سعد زغلول وصحبه وصدر الدستور في نيسان ١٩٢٣ فكان حبراً على ورق ، فقد فشل واضعوه في تقييد سلطة الملك ودعم مبدأ المسؤولية الوزارية . فغدت الحياة النيابية لعبة في يد السلطة التنفيذية ، فلجأ الى حل البرلمان اذا اختلفت معه ، وكانت السلطة التنفيذية تخضع لسلطة القصر الممثلة في الملك وسلطة الاحتلال الممثلة في المندوب السامي البريطاني . وتألفت احزاب سياسية ، منها حزب الاتحاد الذي غدا ممثلاً للقصر ، وفسدت الحياة السياسية ، وكثرت الانتخابات البرلمانية لكثرة ماتعرض له البرلمان من حل ، واخذ الملك فؤاد يستغل نفوذه في جمع الثروة وتكديسها ، وفعل ذلك كل من ولي الحكم من افراد اسرته . ويذكر ماكبرايد في كتابه ، فاروق مصر ، الذي صدر بلندن سنة ١٩٦٨ ان فؤاد ورث عن والده (٨٠٠) فدان ، وعندما توفي ترك لورثته (٣٩ر٠٠٠) فدان علاوة على مابيده من اراضي الوقف التي بلغت (٢٨ر٠٠٠) فدان . ويضيف ان الملك استثمر وفاته (٢٨) مليوناً من الجنيهات في بنوك اوربا وترك ضعفيها في مصر .

دخلت مصر باعلان تصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢ مرحلة جديدة من المفاوضات مع بريطانيا لحل المسائل المعلقة . ولم يكن هدف بريطانيا من ورائها الا ان تكسب اعترافا شرعيا بحقيقة مصالحها في مصر . خاصة وانها كانت حريصة على الايعرض وجودها لغضب المصريين بما يمكن ان ينتهي بثورة كثورة ١٩١٩ . ولقد مرت المفاوضات البريطانية المصرية بفترات من التعثر . استمرت من ايلول ١٩٢٤ وحتى ٢٦ اب ١٩٣٦ حين انتهت بعقد معاهدة الصداقة والتحالف . وقد حققت المعاهدة الجديدة التي وقعها عن الجانب البريطاني السير مايلز لامبسون Miles Lampson المندوب السامي البريطاني وعن الجانب المصري مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد بعد سعد زغلول ورئيس الوزارة المصرية . لبريطانيا كثيرا من مبادىء سياستها التقليدية التي تمسكت بها في وادي النيل . فقد اعترفت مصر لاول مرة منذ (٥٤) عاما بالوجود البريطاني في ارضها اذ نصت الفقرة الثانية من المادة السادسة عشرة على انه « من المتفق عليه ان اي تغير في المعاهدة عند اعادة نظرها يكفل استمرار التحالف بين الطرفين المتعاقدين طبقا للمبادىء التي تنطوي عليها المواد ... » ، ومع ان المادة الاولى من المعاهدة نصت على انتهاء احتلال مصر عسكريا . فان المعاهدة كرست الاحتلال من الناحيتين الفعلية والقانونية . ولم ينتظر المصريون ، الذين كانوا منذ بداية الاحتلال يطمحون الى نيل الحكم الذاتي على الاقل ، طويلاً ليروا ان الوضع ، فيما يتعلق بدور بريطانيا في مصر ، وبدور القصر في السياسة المصرية لم يصبه اي تغير يذكر . بل يمكن القول ان الوضع ازداد سوءا خاصة بعد وفاة الملك فؤاد سنة ١٩٣٦ ، وضعف تأثير حزب الوفد بين صفوف الشعب المصري اثر توقيعه معاهدة ١٩٣٦ ومجيء فاروق الذي خلف اباه على الحكم وبدت عنه اسوأ نواحي شخصيته وهي استهتاره بالشعب وجشعه للمال ، ودوره السياسي الذي يتميز بالعداء للوفد والحكم النيابي . وحين اعلنت الحرب العالمية الثانية ، دخلت مصر مرحلة جديدة في تاريخها كما سنرى .

ثورة ١٩٢٠ في العراق :

اشرنا فيما سبق الى ان العراق ، اتخذ اهمية دولية خاصة في السياسة البريطانية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وقد خططت بريطانيا لاحتلاله خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) . وخلال عهدي الاحتلال والانتداب عمق البريطانيون الروح العشائرية والطائفية وساروا على المبدأ الاستعماري التقليدي فرق تسد وكان على رأس الادارة المحتلة أرنولد ولسن حاكماً ملكياً (مدنياً) عاماً ، وولسن هذا من ابناء مدرسة الهند

الاستعمارية المؤمنة بسياسة الحكم المباشر في العراق . وكان ولسن يعارض معارضة شديدة نظرية اعطاء الوعود للعرب بالاستقلال . ولقد عبر عن رأيه هذا في احدى خطبه في ١٩ اذار ١٩١٩ حين قال : « ان تحقيق الاستقلال السياسي للعراق سابق لاوانه ، وذلك لان تدريب ابناء العراق على مبادىء الادارة الحديثة الصحيحة يستغرق وقتاً من الزمن ويجب ان يتم بتؤدة » . وهكذا ساد في العراق . وعاث فساداً فيه وتحكم في جميع ربوعه . كما ان الضباط والموظفين الذين حشدهم ولسن في اجهزته الادارية لم يكونوا على دراية تامة بأمور العراق واساليب حكمه وطبيعة شعبه .

وكانت مهمة الاجهزة الادارية البريطانية هي التحكم في موارد البلاد ، والحصول على اموال اكثر للخزينة ، حتى تبدو عملية احتلال العراق ، والاستمرار في البقاء فيه مجزية امام دافع الضريبة البريطاني . كما فرضت السلطات البريطانية ضرائب ليس لها مايبررها ، هذا فضلاً عن استعمال اساليب قاسية لجمعها .

تضافرت عوامل عديدة لنشر السخط بين العراقيين ضد المحتلين . ولقد تعاظم السخط حتى انفجر في ثورة عارمة في حزيران ١٩٢٠ . وكان لثورة ١٩١٩ في مصر ضد بريطانيا اثر كبير في تشجيع العراقيين على المطالبة بالاستقلال واقامة دولة مستقلة على غرار الدولة العربية التي اسسها الملك فيصل في دمشق (١٩١٨–١٩٢٠) .

ان التناقضات بين المستعمرين البريطانيين والحركة الوطنية العراقية اخذت تتعمق . كما ان الحركة الوطنية لجأت الى المقاومة بأساليب عديدة ، وكان على رأس هذه الحركة من الناحية العملية تنظيمان سياسيان هما جمعية العهد العراقي وحزب حرس الاستقلال . وقد جاء في المادة الاولى من برنامج جمعية العهد العراقي مانصه : « ان غايات الجمعية الاساسية هي مايأتي : (أ) استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية (ب) طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا العظمى على ان تكون هذه المساعدة بالثمن وان لاتمس استقلال العراق التام . (ج) انهاض الشعب العراقي ليباري ارقى الامم الغربية (د) السعي لخير الامة العربية عامة » وكان لجمعية العهد فرع في الموصل برئاسة رؤوف الغلامي وفرع في بغداد برئاسة الشيخ سعيد النقشبندي . اما حزب حرس الاستقلال فقد تشكل في نهاية شباط ١٩١٩ وكان مركزه بغداد . ولم ير الحزب ، ضرورة للاعتماد على مساعدة بريطانيا الفنية ويعتقد ان باستطاعة الدولة العراقية المقبلة ان تطلب المساعدة الفنية من اية دولة كانت . ومن ابرز مواد منهج حزب

حرس الاستقلال ، تلك التي اكدت على ان الحزب يسعى وراء استقلال العراق استقلالاً تاماً مطلقاً ، واسناد منصب الملوكية الى احد انجال الملك حسين ، على ان يكون ملكاً دستورياً ديمقراطياً .

شعر العراقيون بخيبة أمل في سياسة بريطانيا ، وكانوا قد عقدوا الامال على نيل الاستقلال حسبما ظنوا من بيانات ووعود وفي مقدمتها بيان الجنرال مود الذي احتل بغداد في ١١ اذار ١٩١٧ وذكر فيه « بأن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم قاهرة بل محررة » وحين اعلنت مقررات سان ريمو ٢٤–٢٥ نيسان ١٩٢٠ التي نشرت في العراق في ٣ ايار ، وفيها فرض الانتداب البريطاني على العراق ، غضب الشعب العراقي ، وعارض الانتداب وشرعت القوى الوطنية بعقد الاجتماعات في المساجد والجوامع خلال شهر رمضان الذي ابتدأ في ١٦ ايار ، وكانت تلقى فيها الخطب والقصائد الوطنية . وفي الاجتماع الاخير فوض الحاضرون خمسة عشر مندوباً لمقابلة ارنولد ولسن وعرض مطالب الشعب عليه . وفي الوقت ذاته استمرت الاتصالات بين قادة الحركة الوطنية ، استعدادا لقيام الثورة ضد المحتلين التي حدثت في صيف ١٩٢٠ وشملت اكثر سكان العراق ومناطقه فكانت بحق ثورة وطنية تقدمية تحررية من اجل الاستقلال . ولعل من ابرز ميادينها الفرات الاوسط ، وهو الميدان الرئيس وشمل محافظات القادسية ، المثنى ، النجف ، كربلاء ، بابل . كما شاركت الموصل وبغداد والرمادي وكركوك واربيل بالثورة . وبعد اعتقال حاكم الرميثة البريطاني في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ لاحد زعماء قبائل بني حجيم شعلان ابو الجون ، الشرارة الاولى في الثورة . وقد سبقت الثورة بعض الحركات العسكرية المضادة للانكليز منها تلك التي جرت في تلعفر بالموصل يوم ٤ حزيران ١٩٢٠ .

لقد اسهم بالثورة ، فضلاً عن رجال العشائر ورجال الدين الزعماء المدنيون ، والعسكريون من اعضاء التنظيمات السرية ، وخاصة العهد وحرس الاستقلال منهم على سبيل المثال محمد جعفر أبو التمن ويوسف السويدي ومحمد الصدر ومحمود رامز وسامي النقشلي وعلي البازركان وياسين الخضيري وفؤاد الدفتري ورفعت الجادرجي ونوري فتاح ومحمد رضا الشبيبي ومحمد رؤوف الغلامي وعبدالكريم العلاف وسعيد حمزة . وكان للثورة صحافتها ، اذ اصدرت جريدة الاستقلال وجريدة الفرات . وقد كلفت الثورة البريطانيين (٢٢٦٩) اصابة ، وكلفت الثوار (٨٤٥٠) اصابة . كما كلفت الخزينة البريطانية اربعين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية ، وهو مبلغ يزيد على ثلاثة اضعاف المعونات التي دفعتها بريطانيا للشريف حسين عند اعلان ثورته وحتى نهايتها .

فشلت الثورة التي استمرت خمسة اشهر عسكرياً [illegible]
المتحاربين في النواحي الاقتصادية والفنية والعسكرية [illegible]
تضحيات الشعب العراقي لم تذهب سدى . اذ [illegible]
العراقية حلا سياسيا [illegible]
وقد اختارت الحكومة البريطانية السيربرسي كوكس [illegible]
بتطبيق السياسة الجديدة في العراق . وعندما [illegible]
اعلن بأن العلاقات بين بريطانيا والعراق ستنظم [illegible]
لابصك الانتداب القديم . وشفع كوكس اقواله بحكومة [illegible]
برئاسة عبد الرحمن الكيلاني نقيب بغداد في ٢٥ [illegible]
البريطانية ان التكاليف المالية لبقائها في العراق باهظة . [illegible]
بترشيح فيصل بن الحسين ملكاً على العراق [illegible]
العراقي في ١١ تموز ١٩٢١ حين أكد على ان حكومة [illegible]
نيابية . ديمقراطية . مقيدة بالقانون » . وقد طلب [illegible]
اجراء استفتاء للشعب . فتم الاستفتاء واسفرت نتيجته عن [illegible]
على المناداة بفيصل ملكاً على العراق . وقد جرى تتويجه يوم [illegible]
الملك فيصل خطاباً شكر فيه الشعب العراقي على مبايعته [illegible]
في النهضة العربية واعد بتحقيق اماني الشعب العراقي ودعا [illegible]
بجد ونشاط ووعد بالاستعانة برجال العراق وتعهد بان [illegible]
الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي الذي سيضع دستور [illegible]
الديمقراطية ويعين اسس حياتها السياسية والاجتماعية [illegible]
تنظم العلاقات بين العراق وبريطانيا .

ثورة ١٩٢٤ في السودان :

كان للاستعمار البريطاني دور كبير في اسقاط الدولة [illegible]
وخلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى شهد السودان [illegible]
تعد امتداداً للثورة المهدية . منها انتفاضة مدينة شكاية جنوب [illegible]
وثورة محمد امين البرناوي سنة ١٩٠٣ في جبال تقلي شمال [illegible]
البريطانية استطاعت من قمع تلك الانتفاضات الواحدة [illegible]
افتقار تلك الحركات الى التنظيم وعدم قدرتها على [illegible]

وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى اتخذت المقاومة العربية في السودان ضد الادارة البريطانية طابعا تنظيميا اكثر مما كانت عليه . اذ وجدت الحركة الوطنية ان مواصلة النضال لايمكن تحقيقه دون تجميع قواها وتأسيس نواد وجمعيات سياسية وثقافية . ومن ابرز هذه الجمعيات جمعية الاتحاد السوداني الذي تأسس في اوائل ١٩٢٠ وقد ارتبطت هذه الجمعية بنادي الخريجين من المدارس المصرية في ام درمان الذي تأسس في صيف ١٩١٨ . وكان شباب نادي الخريجين ينادون بتحرير الفكر والعقل ويسعون للعمل في الميدان السياسي وتنحية الزعماء الدينيين بعد ان مال بعضهم للتعاون مع الانكليز . اما اهداف جمعية الاتحاد السوداني فتتلخص بتحقيق الاستقلال والتعاون بين مصر والسودان لطرد الاستعمار البريطاني من وادي النيل . وقد جاء في احدى منشورات الجمعية الموجهة الى السودانيين بان « تتحدوا مع اخوانكم المصريين حتى تصلوا الى اغراضكم الان هم يجاهدون من اجلكم حتى اذا ماتم مرغوبهم كان لهم مالكم وعليهم ماعليكم » . وكان لثورة ١٩١٩ في مصر اثر كبير في تحريض السودانيين على مقاومة الانكليز وقد حرصت السلطات البريطانية على الحيلولة دون انتقال « الروح الثورية » الى السودانيين . وقد اتخذت جمعية الاتحاد السوداني نهج توزيع المنشورات التي تهدف الى نشر الوعي السياسي وتعرية المتحالفين مع الاستعمار من القوى التقليدية كزعماء الفرق الدينية ورؤساء القبائل الموالين للادارة البريطانية في السودان . ومن اعضاء الجمعية البارزين عبيد حاج الامين . وتوفيق صالح جبريل وعبدالله خليل ومحي الدين جمال ابو سيف وسليمان كشه .

وكان لتزايد المشروعات الأستثمارية البريطانية في السودان ، وخاصة مشروع الجزيرة والشكوك التي أثيرت حولها الأثر الكبير في تفاقم حدة المقاومة الوطنية . كما توفرت في هذا الوقت المناسبات التي زادت من غضب السودانيين على الأنكليز كما حدث عند رفع أجور السفر بالسكك الحديد في كانون الثاني ١٩٢٠ فقد نظر السودانيون لذلك على أنه محاولة لنهبهم . وبهذا كان الجو ممهداً لمساهمة السودانيين في العمل المشترك المصري – السوداني لطرد البريطانيين من وادي النيل كله . وقد بدأ دور السودانيين يظهر عندما قام ضابط سوداني في الجيش المصري أسمه محمد أمين هضيب في ٣٠ أيار ١٩١٩ بألقاء خطبة أثناء احدى الأحتفالات الدينية في جامع أم درمان يدعو فيها السودانيين للأنضمام للمصريين لطرد البريطانيين . وقد قبض على الضابط فوراً حيث حوكم فثبتت ادانته وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات .

كما تأسست منظمات سرية منها « جمعية الأعمال الملحة» وجمعية « اليد البيضاء »،
وجمعية « اليد السوداء » ، وقد أخذت هذه الجمعيات من خلال منشوراتها تحرض الشعب
على الثورة وطلب الحصول على الأستقلال .

وبعد تصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢ بدأ العمل السري في السودان يدخل في مرحلة
ويبدأ في الكشف عن بعض وجهه . ففي ١١ أيار ١٩٢٢ وزع منشور بعنوان « حقوق الأمة
السودانية » وفيه هجوم عنيف على سياسة حكومة السودان في مجال التعليم والقضاء
والمرتبات وأحتكار التجارة والنقل . وقد حمل المنشور توقيع الملازم الأول علي عبداللطيف
من الفرقة السودانية التاسعة . وتم أعتقال علي عبداللطيف وبدأت محاكمته في
١٤ حزيران ١٩٢٢ وقد أعلن أثناء المحاكمة أنه يمثل « جمعية قبائل السودان المتحدة »،
وقد حكم عليه بالسجن لعام واحد وفصله نهائياً من الجيش . وفي ١٦ أيلول ١٩٢٢ وصل
الى عدد كبير من الناس والى ادارات الحكومة في الخرطوم وأم درمان والدامر منشور فيه
وصف لما أسماه « مأساة محاكمة علي عبداللطيف ». وفي ١٦ كانون الأول ١٩٢٢
نشرت جريدة الأهرام المصرية خبراً عن جمعية سرية تعمل في السودان بأسم « جمعية
اتحاد السودان » برئاسة السيد محمد أحمد الحسن من قبيلة العبايدة وكان معتقلاً في
القاهرة خلال الحرب ، وقد عاد الى الخرطوم للعمل ضد الأنكليز . وذكرت الأهرام أن
هذه الجمعية تحظى بدعم عدد كبير من السودانيين وأنها تسعى من أجل تحقيق أستقلال
السودان وتخليصه من الحكم البريطاني .

وفي أيار ١٩٢٤ أسس علي عبداللطيف جمعية سرية بأسم جمعية اللواء الأيض
لكي تأخذ على عاتقها مواصلة المقاومة للوجود البريطاني في السودان، قد أيد هذه
الجمعية عدد كبير من الموظفين والطلبة والعمال . ونالت الجمعية كذلك الحركة
الوطنية المصرية المتمثل بتقديم الدعم المادي والمعنوي لها . ومن أعضاء الجمعية
المؤسسين عبيد حاج الأمين وصالح عبد القادر وحسن شريف ومحمد المهدي وحسن
صالح ، وعلي ملاسي . وعرفات عبد الله وعمر دفع الله.

لقد فزعت السلطات البريطانية من نشاط الجمعية ، فاخذت تنكل باعضائها فادى
ذلك الى قيام تظاهرات عبرت عن استياء الشعب ، وكان اخطر هذه التظاهرات ماحدث
خلال الايام ١٧–١٩ حزيران ١٩٢٤ في كل من الخرطوم وام درمان ، اذ عبرت الجماهير
فيها عن تنديدها باساليب السلطات الاستعمارية . وبدأت الجمعية تلجأ الى اساليب

الاضراب العام . ولم تمض فترة قصيرة حتى اصبح للجمعية فروع في معظم المدن
السودانية . وقد استطاعت الجمعية ان تفجر ثورة عارمة سنة ١٩٢٤ بدأت اثر اعتقال
علي عبد اللطيف وعدد من اعضاء الجمعية البارزين اثر تظاهرات عارمة امتدت من شمال
السودان حتى جنوبه. وفي تموز ١٩٢٤ قدمتهم السلطات البريطانية الى المحاكمة بتهمة
التآمر على قلب نظام الحكم . فحكمت على علي عبد اللطيف بالسجن ثلاث سنوات ،
وعلى علي ملاسي بالسجن ست سنوات ، وعلى الاخرين بالسجن مدداً تتراوح بين السنة
والستة أشهر. واثر ذلك خرج طلبة المدرسة العسكرية بالخرطوم بمظاهرة مسلحة في اب
١٩٢٤ ، طافوا خلالها شوارع العاصمة وهي تهتف للحرية ولمصر والسودان ولسقوط
الاستعمار . وقد استقطبت هذه المظاهرة الجموع الغفيرة من المواطنين ، واتجهت نحو
سراي الحاكم العام حيث رددوا الهتافات الوطنية ، وبعد ذلك قصدوا منزل
علي عبد اللطيف .ومنازل قادة جمعية اللواء الابيض وهناك رددوا الهتافات الوطنية
تحية للمعتقلين . لكن السلطات البريطانية سرعان ما بادرت باعتقالهم اثر عودتهم الى
المدرسة ومن ثم قدمتهم للمحاكمة حيث قضت بالسجن ست سنوات على بعضهم وافرج
عن البعض الاخربدون محاكمة .

وعقب مظاهرة طلبة المدرسة العسكرية ، سرت روح الانتفاضة الشعبية في مدن
السودان الرئيسة . ففي عطبرة قامت حامية السكة الحديد وبعض المتظاهرين في مساء
١٠ اب باحتلال المحطة لمنع نزول حاميتين من الجيش البريطاني جاءت لقمع الانتفاضة.
وفي مدينة الابيض مركز مديرية كردفان ، قاد محمد صالح جبريل حركة مسلحة ضد
الانكليز ، ونتج عن ذلك صدور الاوامر بابعاده الى الخرطوم في ١٣ اب ، فنظمت
اثر ذلك مظاهرة كبيرة في محطة سكة الحديد يوم رحيله هاتفة باستقلال مصر والسودان
وفي شندي خرجت الجماهير في تظاهرة عارمة يوم ١٤ اب وهي تهتف لوحدة وادي النيل
وقد ادى ذلك الى صدور الاوامر في ١٦ اب بمنع الاجتماعات العامة في المدينة .

اقلقت تلك التظاهرات الادارة البريطانية في السودان ، وخاصة تظاهرة المدرسة
العسكرية وما نتج عنها من تظاهرات فاستدعيت التعزيزات الى الخرطوم يوم ١٩ آب .
ووصلت عدة طائرات كما وصلت في ٢٢ آب فرقة عسكرية بريطانية . ونتيجة لذلك
قام خمس وأربعون ضابطاً مصرياً في الجيش السوداني بتوقيع عريضة احتجاج على وصول
القوات البريطانية الى الخرطوم قدموها الى وزير الحربية المصرية .

كما ارسلت الحكومة المصرية برئاسة سعد زغلول احتجاجاً الى الحكومة البريطانية
في اب ١٩٢٤ حملت فيه نتيجة الحوادث التي وقعت في السودان الى السياسة التي كان

يتبعها الموظفون البريطانيون ، والى الخطة التي اتبعت لقمع التظاهرات ، وطالبت بتشكيل
لجنة للتحقيق وفي ٢٨ آب ردت وزارة الخارجية البريطانية على الاحتجاج بما يفيد
بان المحافظة على النظام والامن في مصر من اختصاصها طبقاً للمادة (٣) من اتفاقية ١٨٩٩ .

واثر مقتل السردار (لي ستاك) حاكم عام السودان في ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٤ بدأت
بريطانيا بتحقيق اهدافها في الانفراد بحكم السودان ، فوجهت انذاراً الى الحكومة
المصرية تطالب فيه بسحب جميع وحدات الجيش المصري الموجودة في السودان . لكن
سعد زغلول رفض الانذار ، وقدم استقالته لتأتي وزارة جديدة تقبل الانذار وتصدر الاوامر
بسحب القوات المصرية من السودان . ولما وصلت الاوامر الى القوات المصرية قرر القائد قام
احمد رفعت القائد العام للقوات المصرية بالسودان البقاء على الرغم من تهديد الانكليز
فسرت اثر ذلك موجه من الحماسة لدى السودانيين الذين صمموا على المقاومة . كما قرر
الضباط السودانيين في الجيش المصري العودة الى مصر في حالة انسحاب القوات المصرية .
وفي مساء ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٤ تحركت الكتيبة الحادية عشرة السودانية يقودها
عدد من الضباط الشباب ، باتجاه ثكنات الجيش المصري في الخرطوم بحري
بلانضمام اليهم . ولكن الانكليز تصدوا لهم عند كوبري خرطوم بحري حيث دارت معركة
عنيفة دامت ٢٤ ساعة استشهد فيها الضابط السوداني عبد الفضل الماسي ، وانتهت المعركة
بالقبض على الضباط السودانيين بعد ان فرغت منهم الذخيرة . وتمادى الانكليز في
بطشهم ، اذ اعدموا بعض الضباط ونفوا اخرين الى بحر الغزال ليلقوا حتفهم هناك . ثم
تفرغت القوات البريطانية لاخماد انتفاضة الكتائب العسكرية الاخرى في بعض المدن
السودانية امثال تالودي والابيض وواد . وبالقضاء على المقاومة السودانية ، اضطرت
القوات المصرية الى الجلاء عن السودان ، وهكذا توقفت عمليات الثورة ، التي كانت
من ابرز الثورات الوطنية التحررية التي شهدها الوطن العربي في اعقاب الحرب العالمية
الاولى .

لجأت السلطات البريطانية في السودان الى اسلوب جديد في العمل ، حيث اعتمدت
بعض القيادات القبلية لتستند اليها في مواجهة الحركة الوطنية . لكن الشعب العربي في
السودان ، سرعان ماانتبه لهذه الاساليب ومضى في كفاحه حتى عقدت معاهدة سنة
١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا ، حيث قوبلت في السودان بخيبة امل بالغة لانها لم تمس
الوضع الاداري في السودان ، فانتشرت موجة التذمر في انحاء البلاد ، واتخذت الحركة
الوطنية اشكالاً مختلفة ، لعل من ابرزها الدعوة لتأسيس مؤتمر الخريجيين العام وذلك

لمناقشة العمل على استئناف النضال الوطني ، والدفاع عن حقوق الشعب ، ومحاربة
الطائفية والقبلية . وبعد عدة اجتماعات تم تكوين المؤتمر في مدينة ام درمان في اليوم
الثاني من عيد الاضحى المبارك سنة ١٩٣٦ . وقد انضم الى المؤتمر فور قيامه ألفان من
المثقفين وخريجي المعاهد العالية . وقد حدد سكرتير المؤتمر اسماعيل الازهري اهداف
المؤتمر بالسعي لرفع مستوى الحياة الاجتماعية ونشر التعليم والاشتراك مع الحكومة في
مناقشة المسائل التي تهم البلاد ويمثل نشاط مؤتمر الخريجيين للسنوات التالية التي سبقت
الحرب العالمية الثانية خصائص مرحلة معينة من مراحل الحركة الوطنية السودانية ، كما
سنرى ، حيث اقتصر نشاط المؤتمر على المسائل ذات الطابع الاجتماعي والثقافي ، وهذا
ما جعل الادارة البريطانية في البداية ترحب به وتعده شكلاً مناسباً ، يتح لها اذا ماأحسنت
استغلاله ، السيطرة على مثقفي ومتعلمي البلاد وربطهم بهاربطاً محكماً لكن ذلك لم
يدم طويلاً ، اذ سرعان ما حدد الخريجون موقفهم من الاستعمار البريطاني بعد انتهاء
الحرب العالمية الثانية اذ انقسم اتباعه الى فريقين : احدهما يؤيد الاتحاد مع مصر - والاخر
يؤيد الاستقلال التام .

ثورة ١٩٢٥ في سوريا :

اشرنا فيما سبق الى دخول القوات العربية دمشق في ٣٠ ايلول ١٩١٨ واعلان الحكومة
العربية . وبعد انعقاد مؤتمر الصلح في باريس ذهب الامير فيصل اليه بهدف تمثيل العرب
فيه . وفي ٦ شباط ١٩١٩ بدأ النظر في القضية العربية رسمياً في مبنى وزارة الخارجية
لكن مندوبي الدول الكبرى المتنفذين في المؤتمر لم يعيروا خطابه اي اهتمام لانهم
كانوا قد خططوا مستقبل المنطقة العربية وفق مصالحهم الاستعمارية . وقبل ان يغادر فيصل

فرنسا دون ان يتخذ مؤتمر الصلح قراراً حول مستقبل االاقطار العربية نصحته بريطانيا
بضرورة التوصل الى تفاهم مع فرنسا . ويظهر ، كما تقول الدكتورة خيرية قاسمية ، ان
فيصلاً كان يعرف جيداً انه قد فشل نهائياً ليس في تنفيذ سياسة والده في الاعتراف بمطالبه.
بل في ضمان الحد الادنى من الاستقلال لسوريا . فكان عليه ان يحاول مواجهة الحركة
الوطنية التي وصلت ذروتها بانعقاد المؤتمر السوري العام في دمشق في ٦-٨ آذار ١٩٢٠
وفي هذا الموتمر تم الاعلان عن استقلال سوريا بحدودها الطبيعية وبضمنها فلسطين
استقلالاً تاماً ومبايعة فيصل ملكاً ، مع رفض مزاعم الصهيونيين حول جعل فلسطين
وطناً قومياً لليهود او محل هجرة لهم كما قرروا تطبيق مبدأ اللامركزية الادارية ومراعاة

اماني اللبنانيين الوطنية في كيفية ادارة لبنان وانشاء حكومة مسؤولة امام المؤتمر الـذي عد بمثابة مجلس تأسيسي في الوقت نفسه ، واكد المؤتمر كذلك على استقلال العراق استقلالاً تاماً على ان يكون بينه وبين سوريا اتحاد سياسي واقتصادي.

وحين انعقد موتمر سان ريمو ، حدد يوم ٢٥ نيسان ١٩٢٠ لمناقشة القضية العربية ، وقد رفض الملك فيصل التجاوب مع دعوة بريطانيا لشرح موقفه قبل ان ياتيه ضمان من الدولتين ، انكلترا وفرنسا باستقلال سوريا ، وعدم فصل فلسطين عنها واتخاذها وطناً قومياً لليهود .. ولكن قرارات المؤتمر باعلان الانتداب الفرنسي على سوريا ، جاءت مخيبة لامال العرب الذين لم يثوروا لكي يستبدلوا حاكماً اجنبياً بآخر . لذلك ازداد التوتر وعمت سوريا سلسلة من الحوادث الدموية التي تطورت الى انتفاضات شعبية كما حدث في دمشق والقدس سنة ١٩٢٠ . كما اندلعت الثورة في لبنان . وقام الجنرال غورو القائد الاعلى للقوات الفرنسية في سوريا باتخاذ اجراءات عسكرية صارمة لقمع هذه الثورات ، فدمرت مدن مهمة منها انطاكية والقصير والقدموس وبانياس ، وارتكب الفرنسيون كثيراً من الفظائع . وسمح الفرنسيون بتكوين عصابات في لبنان لاثارة الاضطرابات وتأجيج الخلافات الطائفية في المنطقة الشرقية . واحتج فيصل لدى غورو بان « ادخال المنافرة بين طائفتين عاشوا دهوراً كالاخوان سيثير مشاكل جديدة ليس في مصلحة فرنسا او من مصلحة السلم العام » وطلب وقف تسليح العصابات بالاسلحة الفرنسية واصبح فيصل بعد ذلك نقطة تجمع لكل القوى المعارضة لفرنسا في سوريا بما فيها لبنان لكن غورو اقتنع بضرورة انهاء حكم فيصل واخضاع سوريا للسيطرة الفرنسية المباشرة . لذلك تسلم فيصل انذاراً في ١٤ تموز من الجنرال غورو يبدأ « بلفت نظر الامير فيصل الى تعكير صفو الامن وقيام الاضطرابات ويلقى تبعة ذلك على حكومة دمشق التي باتت تتخذ من فرنسا موقفاً عدائياً . وطلب غورو بضعة ضمانات تكفل سلامة القوات الفرنسية في سوريا واهمها وضع سكة حديد رياق – حلب تحت السيطرة الفرنسية ، والغاء التجنيد الاجباري وتسريح الجنود الى ان يُبلغ فيصل العدد الذي كان بتاريخ الاول من كانون المنصرم وقبول الانتداب الفرنسي وتأديب من اسماهم غورو « المسيئين » الى فرنسا اومن يشتبه بعدائهم لها .

ازاء ذلك انعقد المؤتمر السوري في ١٩ تموز واتخذ قراراً بالاجماع نص على اعتبار كل حكومة تقبل شروط الفرنسيين غير شرعية وازداد الحماس الشعبي في كل المدن العربية ، وفي ميسلون جرت معركة غير متكافئة بين القوات العربية والقوات الفرنسية في ٢٤ تموز ١٩٢٠ ولم تستغرق عملية الاشتباك التي شاركت فيها الطائرات الفرنسية والدبابات اكثر من ساعات ، ومع ذلك كانت الخسائر الفرنسية كبيرة اذ

زادت عن ١٥٠ قتيلاً ، ولكن الاصابات العربية كانت اكثر ومن بين الذين استشهدوا يوسف العظمة وزير الدفاع . ولم يبق امام الجيش الفرنسي مايحول دون احتلال دمشق في اليوم نفسه . اما فيصل فقد غادر دمشق يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ فعادت سوريا الى الحكم الاجنبي مرة اخرى .

قاوم الشعب العربي في سوريا الانتداب الفرنسي مقاومة عنيفة . ففي سنة ١٩٢١ حدثت ثورة عارمة اندلعت من دير الزور ، ولكن القوات الفرنسية استطاعت قمعها وفي سنة ١٩٢٢ حدثت ثورة في جبل الدروز ، ولكن الفرنسيين اخمدوها بعد ان تكبدوا خسائر كبيرة . وفي آب سنة ١٩٢٥ اندلعت ثورة وطنية تحريرية عارمة في سوريا . وكانت هذه الثورة قد بدأت في جبل حوران بقيادة سلطان باشا الاطرش وكان جبل حوران من اشد مناطق سوريا ارتباطاً بفكرة الثورة العربية ثم امتدت الثورة الى دمشق وبقية المدن . وقد كان من اسبابها تفاقم السخط الشعبي بعد قيام المندوب السامي الجنرال سراي Sarrail باساءة استقبال واعتقال وفد وطني ذهب الى مقابلته في بيروت لكي يحتج على تصرفات السلطات الفرنسية ويطالب بالاستقلال التام وقد تحرج موقف الفرنسيين خلال هذه الثورة الوطنية لذلك لجأوا الى استخدام كل الوسائل الوحشية ، ومن ذلك قيام المندوب السامي والقائد العام الجنرال سراي باصدار اوامره بضرب دمشق بقنابل الطائرات والمدفعية . ولم يتم للفرنسيين القضاء على الثورة الا بعد انقضاء سنتين على نشوبها ، وبعد ان تكبدوا خسائر جسيمة في الارواح والاموال .

اضطرت الحكومة الفرنسية بعد هذه الثورة الى الاستجابة لبعض المطالب الوطنية فاستدعت المندوب السامي سراي وارسلت الجنرال ديبور Duport للتحقيق في اسباب الحوادث . وفي سنة ١٩٢٨ قام المندوب السامي الجديد دي جوفنيل De Jouvenel باجراء انتخابات الجبهة تأسيسية وقد فازت « الكتلة الوطنية » التي كان من قادتها هاشم الاتاسي وسعد الله الجابري ، في الانتخابات . ومما هو جدير بالذكر ان الكتلة لم تظهر ككيان تنظيمي الا في المؤتمر الذي عقد في حمص في ٤ تشرين الثاني ١٩٣٢ وقد ضمت احزاباً عديدة منها حزب الاستقلال وحزب الشعب والحزب الوطني السوري . ولقد نصت المادة الاولى من المبادئ العامة على ان الكتلة هيئة سياسية غايتها تحرير سوريا وايصالها الى الاستقلال التام والسيادة الكاملة على اراضيها المجزأة في دولة واحدة وتأمين الاتحاد مع الاقطار العربية الاخـرى .

وضعت الجمعية التأسيسية دستوراً لسوريا سنة ١٩٢٨ لم ينل موافقة فرنسا وذلك لأنه نص على وجوب توحيد سوريا . كما نص على تأسيس قوات سورية مسلحة حلاً نهائياً بعد ذلك . واصدر سنة ١٩٣٠ دستوراً جديداً لسوريا يضم جميع المواد التي يحتويها الدستور القديم عدا المواد التي اعترضت عليها فرنسا وتمسكت بها سارع المندوب السامي بونسو Ponsot الى تعطيل الجمعية التأسيسية ثم حلها المواد التي يحتويها الدستور القديم عدا المواد التي اعترضت عليها فرنسا وتمسكت بها الجمعية التأسيسية . وقد أكدت المادة (١١٦) من الدستور الجديد مسؤوليات فرنسا المنصوص عليها في صك الانتداب ، وفرضت فرنسا الدستور على الشعب العربي في سوريا ، وقامت باجراء انتخابات جديدة طبقاً له في سنة ١٩٣٢ فاز فيها الموالون لسياستها . الا ان الاوضاع في سوريا لم تستقر . ففي سنة ١٩٣٣ علق الفرنسيون الدستور واستمر ذلك حتى سنة ١٩٣٦ حين اضطرت فرنسا ، في ضوء تواصل المقاومة العربية في سوريا ومجيء حكومة الجبهة الشعبية الى الحكم والمعروفة بعطفها على شعوب المستعمرات الى اتباع سياسة جديدة تقوم على اساس تنظيم علاقتها بسوريا بمعاهدة عرفت بمعاهدة ٩ أيلول ١٩٣٦ . ومن شروط هذه المعاهدة التي عقدها نيابة عن الشعب السوري وفد من الوطنيين في باريس ، ان تصبح سوريا دولة مستقلة مستقلة خلال سنوات ثلاث من اقرار المعاهدة ، وتعمل فرنسا على تيسير دخول سوريا عصبة الامم شريطة ان تحتفظ فرنسا بقاعدتين جويتين في سوريا ، وان تسمح ببقاء قوات برية في منطقتي العلويين والدروز خمس سنوات ، وان يقوم المدربون العسكريون الفرنسيون بتدريب الجيش السوري ، وان تمد فرنسا هذا الجيش بالاسلحة والمعدات العسكرية وفي حالة الحرب تقوم سوريا بالتعاون مع فرنسا وذلك بالمحافظة على المطارات وتقديم المساعدات اللازمة في النقل والمواصلات

وبالنسبة الى لبنان ، فقد نجحت فرنسا بخلق كيان سياسي منفصل عن سوريا منذ ايلول ١٩٢٠ . وفي ١٩٢٦ اصدرت دستوراً صنعته في باريس نص على تأكيد البنود الواردة في صك الانتداب ولما ثار الشعب العربي في لبنان على هذا الوضع سنة ١٩٣٢ اصدر المفوض السامي « بونسو » في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٢ قراراً بتعليق الدستور اللبناني مدعيا ان ذلك كان لاسباب مالية وتوفير النفقات على الخزينة ، مع العلم ان اذاعة كولونيال . وهي الناطقة باسم الحكومة الفرنسية انذاك ، كشفت السر عن السبب الحقيقي فاشارت الى ان المفوض السامي قام بذلك ليمنع احد المرشحين غير المرغوب فيهم من الوصول الى كرسي رئاسة الجمهورية اللبنانية .

وحين عقدت فرنسا معاهدة ١٩٣٦ مع سوريا ، اجرت في الوقت نفسه مفاوضات مع الوطنيين اللبنانيين ، اسفرت عن توقيع معاهدة فرنسية – لبنانية على غرار المعاهدة الفرنسية السورية .

الا ان لجنة الشؤون الخارجية الفرنسية لم توافق على المعاهدتين ، بحجة انهما لاينفعان مصالح فرنسا ، فضلا عن ان الظروف الدولية لاتشجع فرنسا على ترك مصالحها في سوريا ولبنان ، وان استقلالهما سيغري الوطنين في المغرب العربي بالثورة ضد الحكم الفرنسي .

هذا فضلاً عن ان تركيا لم تكن لترضى عن قيام دولة مستقلة في سوريا تضم اليها ميناء الاسكندرونة ذا الاهمية الكبرى بالنسبة لها . ولما كانت فرنسا تعد صداقة تركيا في المكانة الاولى من الأهمية مادامت اوربا مهددة بقيام حرب عالمية جديدة ، فانها سارعت بالتنازل في تموز ١٩٣٩ لتركيا عن الاسكندرونة العربية . وهكذا أخلت فرنسا بعهدها الذي سبق ان قدمته لعصبة الامم حين كلفتها بالانتداب على سوريا وكذلك العهد الآخر الذي قدمته بموجب معاهدة ١٩٣٦ والذي ينص على « ان على الدولة المنتدبة ان تحافظ على كيان سوريا ولبنان والا تفرط في اي جزء من اراضيها للغير سواء اكان ذلك بالتنازل ام بالتأجير ام باية طريقة اخرى » . وكانت حجة فرنسا في ذلك ان ٤٠ ٪ من سكان المنطقة من الأتراك وان باقي السكان خليط من العرب وغيرهم ، وتناست عروبة الاسكندرونة ودخولها جغرافيا وسياسيا في حدود سوريا ، وانها آلت اليها منذ سنة ١٩١٨ اثر سقوط الدولة العثمانية ، وان ميناءها من أهم موانيء سوريا على البحر المتوسط ولاغنى لها عنه . وقد عز على السوريين ان يقتطع منهم جزء عزيز ، وان تخل فرنسا بعهدها ، فزاد سخطهم على الفرنسيين ، وكان عليهم انتظار ما ستسفر عنه الحرب العالمية الثانية .

ثورة ١٩٣٢ في تونس :

قاوم الشعب العربي في تونس معاهدتي ١٨٨١ و ١٨٨٣ اللتان جردتا تونس عملياً من كيانها السياسي المستقل وحولتها الى مستعمرة فرنسية . وتكونت حركة مقاومة قوية يتزعمها الشيخ محمد بن عثمان السنوسي . وعملت هذه الحركة على عقد مؤتمر شعبي في ٦ نيسان سنة ١٨٨٤ . وقد قرر المؤتمر تشكيل وفد يقوم بجمع تواقيع الأحتجاج الشعبية

وتقديمها الى الباي الا أن السلطات الفرنسية سرعان ماانتبهت الى خطورة مثل هذه التحركات الشعبية فلجأت الى أعتقال قادة الحركة ونفي بعضهم الى خارج تونس ومنهم الشيخ السنوسي نفسه الا أن المقاومة لم تلبث ان ظهرت من جديد على يد مجموعة أخرى من شباب الزيتونة بقيادة المكي بن عزوز ، وكان يعمل مدرسا في جامع الزيتونة ، وهو من المثقفين المتأثر بحركة الاصلاح التي تمت في عهد خير الدين التونسي ، وقد بدأ المكي بن عزوز يدعو لمحاربة الفرنسيين المستعمرين وينشر أفكاره الوطنية والسياسية الرافضة للجمود والأستسلام مما جعله يواجه مضايقة كبيرة من سلطات الأحتلال أضطرت للهجرة الى المشرق العربي . ولكنه ترك في تونس بضعة تلاميذ أكملوا خطته في المقاومة ، لعل من أبرزهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي (١٨٧٤-١٩٤٥) .

ينتمي الشيخ عبد العزيز الثعالبي الى مجموعة من الشباب الوطنيين التونسيين الذين تصدوا للاستعمار الفرنسي في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وقد عرفت بأسم « حركة الشباب التونسي » . وتجمعت هذه المجموعة حول بعض الصحف الوطنية متخذة منها وسيلة لبلوغ أهدافها وغاياتها الوطنية . ومن تلك الصحف جريدة (الحاضرة) التي اصدرها علي بوشوشة (١٨٥٩ - ١٩١٨) في ١٨ آب ١٨٨٨ وجريدة (الزهرة) ١٨٩٠ لعبد الرحمن الصنادلي وجريدة (سبيل الرشاد) التي اصدرها عبد العزيز الثعالبي سنة ١٨٩٥ وكانت لهذه الصحف ، بماتنشره من مقالات ، دور كبير في بث الوعي الوطني والتنديد بالسياسة الأستعمارية كما شعر الشباب التونسي بضرورة تأسيس جمعيات يستطيعون من خلالها نشر الوعي الوطني بين التونسيين ، فتشكلت من خريجي جامع الزيتونة الجمعية الخلدونية سنة ١٨٩٦ بجهود البشير صفر (١٨٥٦ - ١٩١٧) ورفاقه. وقد أقامت هذه الجمعية علاقات مع طلبة جامع الزيتونة ، وأستطاعت بذلك خلق معارضة واضحة المعالم ضد الحماية ، بفضل العناصر الحية التي كانت تؤمن بالعمل والعلوم الحديثة وسيلة تكملة للنضال السياسي والوطني الموجه، وأصبح بمقدورها مواجهة المستعمرين . وقد تجسد ذلك في مواقف متعددة منها أحداث مؤتمر الجمعية الجغرافية الذي أنعقد في تونس سنة ١٩٠٤ شاركت فيه مجموعة من الشباب العربي التونسي، وألقى فيه البشير صفر كلمة وضح فيها قدرة الحضارة العربية واللغة العربية على التجديد والتطور ومجاراة روح العصر ورد على الأدعاءات التي كان يروجها الفرنسيون ، من أن

العرب غير قادرين على مواجهة التقدم الأوربي . ومن النشاطات التي قام بها الشباب التونسي تشكيلهم لجمعية قدماء الصادقية في كانون الأول سنة ١٩٠٥ . وقد أستهدفت هذه الجمعية العمل على أدخال العلوم الحديثة وتأمين أنتشارها في المدارس التونسية ولم تمض فترة على تأسيسها حتى التقى شبابها مع شباب الزيتونة والخلدونية وعملوا جميعاً على توحيد مسيرة كفاحهم السياسي والفكري وفق منهج يصبو الى حرية البلاد واستقلالها .

كما ظهرت تجمعات سياسية ضمت عدداً من قادة الحركة الوطنية ، منهم البشير صفر ، ومحمد العروي ، وسالم بوحاجب ، ومحمد باش حانبه ، وعبد الجليل الزواشي وعلي بوشوشة ومحمد الأصرم وغيرهم. ومن هذه التجمعات (جمعية تونس الفتاة) التي تأسست سنة ١٩٠٩ وأصدرت جريدة (التونسي) وكان لهذه الجمعية دور كبير في المقاومة العربية للمستعمرين الفرنسيين خاصة وأنها كانت تتمتع بتأييد شعبي .

دخلت المقاومة العربية في القطر التونسي قبيل الحرب العالمية الأولى مرحلة جديدة وهي مرحلة الصدام المباشر بقوات الأحتلال ، فحدثت بضع انتفاضات لعل من أهمها انتفاضة الجلاز ومقاطعة الترام .

وقعت الأنتفاضة الأولى في ٧ تشرين الأول سنة ١٩١١ حين تجمعت الجماهير في مقبرة الجلاز للحيلولة دون مد سكة حديد للترام فيها بوصفها من الأوقاف الأسلامية . وأشتبكت الجماهير مع قوات الشرطة . وأستشهد (١٤) مواطناً وأعطلت جريدة التونسي وأعتقلت السلطات عدداً كبيراً من التونسيين أحالت من بينهم (٧١) شخصاً للمحاكمة وحكمت على سبعة منهم بالأعدام .

أما الأنتفاضة الثانية فقد حدثت في العاصمة بعد مضي ثلاثة أيام على الأنتفاضة الأولى ودامت قرابة شهرين وكان سببها أحتجاج الشعب على شركة الترام الفرنسية وسلوكها الأستعماري العنصري البغيض تجاه عمالها التونسيين. وقد ساعدت أحداث العدوان الأيطالي على ليبيا سنة ١٩١١ على تأجيج روح الكفاح ضد المستعمرين في تونس . وقد ألقت السلطات الفرنسية القبض على زعماء الحركة الوطنية وحملتهم مسؤولية مقاطعة شركة الترام والأنتفاضة الشعبية فتم أعتقال السيد المختار ، وأبعد الصادق الزومي ، والشاذلي درغوث الى الجنوب التونسي . ونفي الشيخ عبد العزيز الثعالبي وعلي

باش حانبه ومحمد نعمان وحسان قلاتشي الى باريس . وعلى أثر ذلك أشتدت حركة المقاطعة ولم تنفرج الأزمة الا بعد تراجع السلطات الفرنسية عن قرارها وسماحها بعودة قادة الحركة الوطنية من منفاهم .

لقد أتضح بعد تلك الأحداث ، ان الجماهير الشعبية وحدها هي القادرة على التصدي للأرهاب والعنف الأستعماريين بقوة دون خوف اوتردد . كما أظهرت مدى تمسك الشعب بعروبته وقدرته على الدفاع عن حقوقه حتى الموت ، وقد ظهر ذلك واضحاً في المقاومة السياسية والعسكرية للأحتلال . فعلى الصعيد السياسي وقف التونسيون ضد محاولات الفرنسيين تشجيع تجنس العرب بالجنسية الفرنسية بصورة فردية ، وتقنين ذلك عن طريق البرلمان الفرنسي سنة ١٩١٤ . اذ وقف قادة الحركة الوطنية ضد هذا الأتجاه وأشار أحدهم ، وهوعثمان الكعاك الى أن التجنس يقطع الصلة بين العربي ودينه ولغته ووطنه . وأن شعب تونس ظل طوال العصور محافظاً على عروبته . أما على الصعيد العسكري ، فقد حدثت بضع انتفاضات في أماكن عديدة في تونس ، ولعل من ابرزها تلك التي حدثت في الجنوب مطلع سنة ١٩١٥ وشاركت فيها القبائل بني زيد بقيادة الحاج سعيد بن عبد اللطيف ودامت سنتين كاملتين .

وفي اعقاب الحرب العالمية الأولى . استأنف الوطنيون التونسيون نشاطهم الوطني ، وشكلوا في اذار سنة ١٩٢٠ الحزب الحر الدستوري ، وأوضحوا الغاية منه « تبليغ الوطن رشده وتحريره من الأستعباد » . وهكذا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية .

انتخب الشيخ عبد العزيز الثعالبي رئيساً للحزب ، والمحامي أحمد الصافي اميناً عاماً له . وبدأ الحزب يعمل على تكوين الشعب والفروع في انحاء البلاد التونسية وبث الدعوة الوطنية والمطالبة بنظام دستوري لتونس على غرار دستور ١٨٦١ الذي أوقف العمل به بعد تجربة قصيرة مخيبة للامال ، وقد اسس الثعالبي مطبعة النهضة ومجلة الفجر لنشر افكار الحزب ومفاهيمه بين الشعب . كما عمل على تكوين عدة مشاريع اجتماعية وثقافية لكي يتسنى للحزب ان ينظم الشعب عن طريقها تنظيماً محكماً . وقد أخذ الباي محمد الناصر يساند الحزب الحر الدستوري مساندة مطلقة وانخرط ابنه الأكبر محمد المنصف باي فيه . وحين شعرت فرنسا بخطر تعاظم الحركة الوطنية لجأت الى المراوغة والتسويف ، وغيرت المقيم العام بمقيم جديد ثم تعرف تونس مقيما اخطر منه في الدهاء والمكر ، ذلك هو لوسيان سان Saint Lueien وكان المقيم الجديد يهدف الى شق

الحركة الوطنية . وبالفعل فقد نجح في اغراء فئة قليلة قبلت التعاون معه وأيدت بعض اصلاحاته السياسية ومنها تكوين مجلس شورى باسم المجلس الكبير ، وقد أسس هؤلاء حزب الاصلاح ، وكان على رأس الحزب المحامي حسن قلاتي ، والشاذلي القسطلي ولم يعمر هذا الحزب طويلا وأصبح عبارة عن مجموعة من المثقفين المتعاونين مع السلطات الفرنسية ضد شعبهم فنبذهم الشعب . وبسبب ذلك قادت السلطات الاستعمارية حملة ارهابية ضد الحركة الوطنية وقيادتها . ومورست ضغطاً شديداً على الباي محمد الناصر وحاصرت في نيسان ١٩٢٣ قصره بالدبابات فهب الشعب متظاهراً ومشي على الاقدام من مدينة تونس الى شاطىء المرسى عشرين ميلا متضامنا مع الباي في موقفه المؤيد للحركة الوطنية فاضطرت السلطات الفرنسية عندئذ الى فك الحصار ووعدت بتنفيذ بعض المطالب الوطنية بعد زيادة رئيس الجمهورية الفرنسية ميلران تونس . وبعد أن غادر ميلران تونس أعاد لوسيان القمع من جديد وفرض جواً من الرعب والارهاب وبعد ان توفي الباي محمد الناصر شاع بانه مات مسموما وقد كثر الاضطهاد ونفي الشيخ الثعالبي الى الخارج .

شهدت الحركة الوطنية في تونس خلال الفترة من ١٩٢٤ وبداية ١٩٢٥ مولد حركة نقابية تونسية نشيطة منظمة اذ اسس محمد علي بالحامة نقابات تونسية مستقلة عن النقابات الفرنسية بتونس وصفاقس وقابس وقفصة وبنزرت في مطلع شهر تشرين الأول ١٩٢٤ . وفي اواخر هذه السنة تكونت « حركة عموم العملة التونسيين (C·C·T·T) بمساعدة وحماس من بعض اعضاء الحزب الدستوري امثال توفيق المدني والطاهر الحداد . وقد قادت هذه الحركة اضرابات كبرى في عدد من المدن التونسية ، ادت الى اعتقاله وعدد من رفاقه . وقد صدرت بحقهم في تشرين الثاني ١٩٢٥ احكام قاسية وهكذا قضي على أول تجربة نقابية تونسية . وفي تلك الفترة اغتنمت السلطات الفرنسية ظروف حرب الريف وانتفاضة عبد الكريم الخطابي في المغرب ، لتتخذ اجراءات قاسية بحق الصحافة والحريات العامة في تونس . ففي أواخر ١٩٢٥ وأوائل ١٩٢٦ اصدرت سلسلة من القرارات أظهرت على أثرها صوت الحركة الوطنية وعادت الى تدعيم النظام الاستعماري . فوجب انتظار ظروف جديدة لتنشيط الحركة الوطنية من جديد بعد سنة ١٩٣٠ .

انعكست اثار الازمة الاقتصادية العالمية على الاقتصاد التونسي منذ سنة ١٩٣١ فانخفضت اسعار المواد الأولية من قمح وشعير وزيت وصوف ، وأثر ذلك على اوضاع الفلاحين . ففي ١٩٣٤ على سبيل المثال كانت أسعار الزيت تمثل ٣٥ ٪ من قيمتها سنة

١٩٢٨ . وفي تشرين الأول ١٩٣٤ كانت ثلاثة الاف عقار مسجلة في قائمة المحاكم لكي تباع بيعاً عدلياً . وخلال هذه الظروف الأقتصادية السيئة ، أهتم الشعب بمسألة التجنيس فمنذ اواخر ١٩٣٢ بدأت الانتفاضات الشعبية ضد التجنيس . وعد الشعب كل من يتجنس بالجنسية الفرنسية « مارقاً كافراً وليس له الحق في ان يدفن في القابر الاسلامية » . وتدخلت الصحافة الوطنية فشنت حملة عنيفة حول مسألة التجنيس وجعلت مستوى الحوار يرتفع الى مناقشة بقاء العروبة أو تلاشيها . وقادت تلك المناقشات مجموعة من المثقفين تعمل بجريدة « العمل التونسي » وكانت تساند الحزب الدستوري منهم الدكتور محمود الماطري والطاهر صفر والبحري قيقة والحبيب بورقيبة . وكانت فلسفة هذه المجموعة تقوم على أساس ان قانون التجنيس يرمي الى فرنسة التونسيين والقضاء على شخصيتهم الوطنية والقومية . وقد ادت نشاطات هذه الجماعة الى تنظيم حركة معارضة للتجنيس في المنستير والمكنين وقصر هلال وتونس العاصمة . وخلال تلك الحركة اصطدم المتظاهرون بسلطات الأحتلال واستشهد عشرات الوطنيين واستمر الكفاح الشعبي قوياً حتى سنة ١٩٣٦ .

لقد سعت مجموعة الشباب تلك الى ان تؤسس لنفسها منبراً مستقلاً عن الحزب الحر الدستوري التونسي . اذ اعتقدوا « ان اللجنة التنفيذية للحزب بعد غياب الثعالبي وقيادات الحزب الاخرى لم تعد مؤهلة للقيادة لذلك تكتلوا فيما بينهم وسموا انفسهم منذ ٢ آذار ١٩٣٤ « الحزب الحر الدستوري الجديد » واصدروا جريدة « العمل » لتكون لسان حال الحزب . ومما يلحظ ان معظم قادة الحزب الجديد هم من الذين « درسوا في اوربا وتأثروا بالفكر التنظيمي الغربي » . ومن هنا فان تأسيس الحزب الجديد وانشقاقه عن الحزب الدستوري كان محل ترحيب من جانب السلطات الفرنسية التي استبشرت بهذا الانقسام الجديد كأيذان . من وجهة نظرها ، بنهاية الحركة الوطنية .

ولكن قيادة الحزب الجديد المؤلفة من الدكتور محمود الماطري والحبيب بورقيبه وشقيقه محمد والمحاميان الطاهر صفر والبحري قيقه ، فوتوا على السلطات الفرنسية هذه الفرصة . اذ سرعان ماشرعوا في العمل ، ونظموا اجتماعات عديدة في كل انحاء البلاد واستخدموا الصحافة لكشف اساليب المستعمر والدعوة الى مقاومتها . وخلال بضعة شهور اصبح الحزب الجديد بالنسبة الى السلطات الفرنسية « قوة تبعث على القلق » وعندها شعر المقيم الفرنسي بيروطون Peyrouton ان مجرد انقسام الحركة الوطنية لم يمنع الحزب الجديد من توسيع نشاطه وتكوين الخلايا الحزبية في كافة انحاء البلاد التونسية فقرر يوم

٣ ايلول ١٩٣٤ ضربه ونفي قادته الى المناطق الصحراوية النائية . ورغم ذلك بقي الحزب حياً يعلن عن وجوده بالعرائض والمنشورات السرية وحتى بالتظاهرات الشعبية ومنها تلك التي حدثت في ايلول ١٩٣٤ بالساحل أو في شهر تشرين الاول ١٩٣٦ بتونس.

كان لوصول الجبهة الشعبية الى الحكم في فرنسا في نيسان ١٩٣٦ اثر كبير في انتهاج سياسة جديدة في تونس . اذ غيرت المقيم السابق واستبدلته بمقيم جديد اسمه (ارمان فيون) . وقد سارع هذا الى اطلاق سراح القادة الوطنيين الذين استفادوا من الجو اللبرالي الذي عاد الى تونس مع الجبهة الشعبية ، ليعيدوا تنظيم الحزب من جديد فروعه في البلاد ، حتى انه كان يفخر في المدة الواقعة من تشرين الاول وتشرين الثاني من سنة ١٩٣٧ بانه يعد ٧٠–٨٠ الف منتسب ، مجتمعين في حوالي ٣٥٠–٤٠٠ خلية ، هذا فضلاً عن نجاحه في اقامة تنظيمات واجهته امثال الشبيبة الحزبية ، والكشافة والتجمعات الثقافية الاخرى .

وكان لعودة الثعالبي في تموز سنة ١٩٣٧ اثر كبير في تعاظم الحركة الوطنية . ولما شعرت فرنسا بانبعاث الروح من جديد في الحركة الوطنية غيرت سياستها من جديد واصدرت قانونا يقضي بحل الاحزاب ومنع الاجتماعات العامة ومصادرة الحريات ، وحلت باقطار المغرب العربي من مراكش الى الجزائر موجة من القمع والارهاب الاستعماريين، فبدأت الاضرابات والاحتجاجات . وعقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمره الثاني في سنة ١٩٣٧ بعد مؤتمر مدينة قصر هلال التأسيسي الذي عقد في ٣ اذار ١٩٣٤ . واتخذ الحزب قرارات من ابرزها « اعلان العصيان المدني ومجابهة استعمار بالعنف » . واستقال رئيس الحزب الدكتور محمود الماطري المعرف باعتداله وتحبيذه الوسائل السلمية ، لذلك تصدر قيادة الحزب امينه العام الحبيب بورقيبة . وفي اوائل ١٩٣٨ . وعلى اثر موجة من الاضطهاد الاستعماري ، وقع اول صدام بين الجيش الفرنسي والجماهير في مدينة بنزرت استشهد فيه وجرح عدد كبير من الوطنين . ودارت كذلك معارك دمية في وادي مليز والكاف وسوق الاربعاء ودقاش وتوزر وبنزرت ونفطة . كان يوم المعركة الحاسمة يوم ٩ نيسان بمدينة تونس العاصمة حيث عم الاضراب ونزل طلبة جامع الزيتونة والصادقية والعمال والحرفيون الى شوارع المدينة في مظاهرات عنيفة بلغ عدد المشاركين فيها مئات الالوف . ومالبثت قوات الاحتلال الاستعمارية ان تصدت للمتظاهرين وحصدتهم بالرصاص ، فسقط مئات الشهداء والجرحى واعتقل عدد كبير من المتظاهرين ، وساد جو من الارهاب والتدمير والحرق ، وعلى اثر ذلك اعلنت حالة

الطواري وزج المستعمرون بقادة الحزب الدستوري الجديد ومناضليه في السجن العسكري بتونس ثم نقلوا الى حصن سان نيقولا بمرسليليا ، ومن هولاء الحبيب بورقية ، وصالح بن يوسف ، والمنجي سليم ، والحبيب بو قطفة ويوسف الرويسي ، والهادي نويره ، وعلي البهلوان والهادي شاكر. ولم يفرج عنهم الا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية .

ثورة ١٩٣٦ في فلسطين :

اشرنا فيما سبق ان فلسطين ، وقعت ، بموجب قرار مجلس الدول المتحالفة الاعلى الذي انعقد في سان ريمو بايطاليا يوم ٢٥ نيسان ١٩٢٠ تحت الانتداب البريطاني . وفي اول تموز ١٩٢٠ استبدل النظام العسكري في فلسطين بادارة مدنية برئاسة مندوب سام. وعين هربرت صموئيل ، وهو يهودي بريطاني اول مندوب سياسي لفلسطين . وقد حددت الالتزامات الرئيسة للدولة المنتدبة في المادة الثانية من صك الانتداب وهي « مسؤولية وضع البلاد تحت ظروف سياسية وادارية واقتصادية تضمن تأسيس وطن قومي يهودي » . اما المادة السادسة فقد نصت على مايلي : « بينما تضمن ادارة فلسطين عدم الاضرار بحقوق الطوائف الاخرى من السكان ومركزهم ستعمل على تسهيل الهجرة اليهودية تحت ظروف ملائمة وستشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية ...اسكان اليهود في اراضي فلسطين ، بما في ذلك الاراضي الاميرية والاراضي البور التي لايحتاج اليها في الاغراض العامة » .
وقد اهتز العرب في فلسطين وخارجها وتنبهوا الى الخطر الداهم فثاروا في ٤ نيسان ١٩٢٠ ، واشتبكوا مع المستوطنين اليهود عدة مرات . وقد اعلنت سلطات الانتداب الاحكام العرفية يوم ٥ نيسان وشكلت محكمة عسكرية حكمت على قادة الثورة عارف العارف وامين الحسيني . بالسجن لمدة عشر سنوات . وقد وجدت اللجنة العسكرية التي كلفت بالتحقيق في اول انفجار عربي ضد الصهيونية ان اسباب ذلك ترجع « الى (أ) خيبة امل العرب بعدم تنفيذ الوعود بالاستقلال التي اعطيت لهم خلال الحرب (ب) اعتقاد العرب ان تصريح بلفور يتضمن انكار حق تقرير المصير وخوفهم من ان يعني تأسيس الوطن القومي اليهودي زيادة الهجرة اليهودية ويؤدي الى اخضاعهم لليهود اقتصاديا وسياسيا . (ج) ازدياد حدة هذه العواطف بدعاية من خارج فلسطين مصحوبة باعلان الامير فيصل ملكا على سورية موحدة وبانتشار الافكار عن الوحدة العربية ، من جهة اخرى بنشاط اللجنة الصهيونية التي كانت حينئذ في فلسطين وتؤيدها اموال اليهود ونفوذهم .

لقد استمرت سلطات الانتداب البريطاني في العمل على تهويد فلسطين ، ففي ٢١ أيلول ١٩٢١ حصل روتمبرغ اليهودي على امتياز توليد الطاقة الكهربائية وانارة جميع

انحاء فلسطين ولمدة سبعين عاما ، وخولته استعمال مياه انهار اليرموك والاردن والعوجا .
وفي تلك المرحلة كذلك شغل بنتويش ، وهو احد غلاة الصهيونية منصب النائب العام للمندوب السامي البريطاني ، فاعتبرت اللغة العبرية لغة رسمية في عهده وكتب على النقود والطوابع عبارة (ارض اسرائيل) بالعبرية مقابل فلسطين بالعربية ، وانتعشت الشركات الصهيونية للحصول على الاراضي وتوطين اليهود فيها .

واجه عرب فلسطين المحاولات الصهيونية بوسائل عديدة ، ففي ١٤ كانون الاول ١٩٢١ انعقد المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث ، وكرر رفض تصريح بلفور والحيلولة دون الهجرة اليهودية والمطالبة بانشاء حكومة وطنية . وقد تم انتخاب (لجنة تنفيذية) للاشراف على الحركة الوطنية . وكان من ابرز اعضاء اللجنة موسى كاظم الحسيني . وتوفيق حماد وامين التميمي .

وازاء الانتفاضة التي جرت في ربيع ١٩٢١ في يافا ، واستمرت اسبوعين وامتدت الى مدن ومناطق عديدة هوجمت خلالها مستعمرات صهيونية امثال بتاح تكفا . رحابوت ديران ، تشكلت لجنة خاصة للتحقيق في الحوادث . وقد قدمت اللجنة تقريرها الذي اكد على ان من اسباب الانتفاضة تحول المنظمة الصهيونية الى حكومة داخل حكومة . وازاء ذلك قررت الحكومة البريطانية اصدار تفسير رسمي يعتمد عليه لتصريح بلفور . وقد قدم هذا التفسير باسم الكتاب الابيض في حزيران ١٩٢٢ الى المنظمة الصهيونية والى وفد عربي فلسطيني كان في لندن لشرح وجهة نظره امام الرأي العام الاوربي ومما تضمنه الكتاب « ان انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين لايقصد منه فرض قومية يهودية على سكان فلسطين جميعهم ، بل الاستمرار في تطوير الطائفة اليهودية الحاضرة بمساعدة اليهود في اطراف العالم الاخرى لكي تصبح مركزاً يهتم به الشعب اليهودي كله ويفتخر على اساس الدين والعنصر » .

كما تضمن الكتاب اقتراحاً بتأسيس مجلس تشريعي يتألف من المندوب السامي واثنين وعشرين عضواً اخرين ، منهم عشرة موظفون واثنا عشر منتخبون ، من بينهم عشرة من العرب واثنان من اليهود ، وفي مطلع اب ١٩٢٢ صدر أمر من مجلس التاج الخاص بتأسيس هذا المجلس . وفي ٢٢ آب ١٩٢٢ اجتمع المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس ، وقرر « رفض الاشتراك في المجلس ومقاطعة اليهود مقاطعة تامة » . واعلن ميثاقا وطنياً اكد ضرورة مواصلة المساعي المشروعة لتحقيق الاستقلال والاتحاد العربي ورفض الوطن اليهودي والهجرة الصهيونية .

بالرغم من عدم قبول الفلسطينيين بمقترحات الخاصة بالمجلس التشريعي ، فقد جرت الانتخابات له في اوائل سنة ١٩٢٣ . لكنها فشلت لمقاطعتها من قبل السكان . في اواخر ١٩٢٣ . [illegible] لاقامة مؤسسة [illegible] [illegible] تاسيس وكالة عربية في فلسطين [illegible] منزلة مشابهة تماما للوكالة اليهودية » ، بحيث يكون لها الحق ان تستشار في كل الامور المتعلقة بالهجرة ، لكن القادة الفلسطينيين رفضوا هذا العرض باعتباره لايحقق امال الشعب العربي .

حاولت السلطات الانتدابية شق الصف الوطني الفلسطيني وقد تجسد ذلك في تشجيعها اقامة بعض الأحزاب الصغيرة بغية اضعاف اللجنة التنفيذية وتشتيت الجهود الوطنية . ومن هذه الاحزاب : الحزب الوطني (تأسس في تشرين الثاني ١٩٢٣) وحزب الزراع (تأسس في اوائل تشرين الثاني ١٩٢٣ كذلك) وحزب الاهالي (تأسس في نابلس واخر نيسان ١٩٢٥) والحزب الحر الفلسطيني (تأسس في تشرين الثاني ١٩٢٧) ، ولكن اللجنة التنفيذية تمكنت من الحفاظ على مواقعها في قيادة الحركة الوطنية . وقد اتضح ذلك من نجاح دعوتها الى الاضراب العام في فلسطين في ٢٧ آذار ١٩٢٥ ، احتجاجا على زيارة بلفور لفلسطين للمشاركة في افتتاح الجامعة العبرية في القدس .

خلال هذه الفترة : استمرت جهود سلطات الانتداب في تشجيع الاستيطان الصهيوني . ويظهر الجدول التالي عدد المهاجرين اليهود من بداية الادارة المدنية سنة ١٩٢٠ وحتى سنة ١٩٢٩ .

١٩٢٠	٥٥١٤
١٩٢١	٩١٤٩
١٩٢٢	٧٨٤٤
١٩٢٣	٧٤٢١
١٩٢٤	١٢٨٥٦
١٩٢٥	٣٣٨٠١
١٩٢٦	١٣٠٨١
١٩٢٧	٢٧١٣
١٩٢٨	٢١٧٨
١٩٢٩	٥٢٤٩
المجموع لعشر سنوات	٩٩٨٠٦

[illegible]

[illegible] خاصة معاما [illegible] الهود . وكان من اهداف المدارس التي انشاها اليهود [illegible] اللغة [illegible] » في سنة ١٩٢٥ صرح [illegible] اساسي قائلا : وانه قد تم توطيد [illegible] لغة السكان اليهود في فلسطين وتتكلمها الجيل الناشيء [illegible] ... وهي لغة [illegible] في كل المدارس اليهودية تقريبا وتصدر [illegible] الصحف اليهودية بالعبرية ، [illegible] اللغة العبرية رسمية في البلاد مع الانكليزية والعربية . [illegible] على [illegible] سلطات الانتداب [illegible] على تأمين الحماية الاقتصادية للصناعات الصهيونية كما منحت [illegible] ١٩٢٧ [illegible] اليهودي [illegible] نوفومسكي [illegible] امتيازا لاستخراج املاح البحر الميت ومعادنه . [illegible] عرفت الشركة باسم (شركة البوتاس فلسطينية [illegible]) [illegible] بين العرب .

[illegible] في ٢٠ حزيران ١٩٢٨ في القدس [illegible] اللجنة التنفيذية [illegible] (٢٥٠) [illegible] يمثلون جميع المناطق [illegible] الاوضاع العامة في فلسطين [illegible]

في [illegible] ١٩٢٨ [illegible] الوطني الفلسطيني . اذ شعر العرب بوجود محاولات يهودية [illegible] في المسجد الاقصى مدعين ان القسم السفلي من جزء الحائط الخارجي للحرم الشريف من القدس ، الذي يحد هذه المنطقة من جهة الغرب ، هو آخر قطعة باقية من معبد هرود الذي بني على انقاض هيكل سليمان . وقد عدوا هذا الحائط الذي سموه بخائط المبكى مكاناً مقدساً عند اليهود ، لذلك لابد بنظرهم من الوصول اليه من اجل التعبد . وقد الفت « جمعية حماية الاماكن الاسلامية المقدسة » وتلا ذلك قيام اليهود بتكوين « لجنة الدفاع عن المبكى » وفي ١٥ آب ١٩٢٩ نظم اليهود مظاهرة ضخمة اخترقت شوارع القدس القديمة : ورفعت

العلم الصهيوني وانشدت النشيد الصهيوني (الهاتكفا) وهتفت : « الحائط حائطنا » وقد اغاظ ذلك العرب الذين قاموا بمظاهرة مضادة في البقعة نفسها في اليوم التالي . وقامت سلطات الانتداب بتحريض اليهود وتزويدهم بالسلاح ، وكان ذلك بداية لاحداث دموية استمرت من ٢٣ الى ٢٩ اب . وقد قتل من اليهود ، حسب الاحصائيات الرسمية (١٣٣) يهودياً ، اكثرهم من الخليل وجرح ٣٣٩ . اما خسائر العرب فبلغت (١١٦) شهيداً و٢٣٢ جريحاً . وبلغ عدد المعتقلين مايزيد عن الف شخص . كان نحو ٩٠ بالمئة منهم عرباً ، مما دعا الجماهير العربية لمهاجمة مباني الحكومة والمطالبة بالافراج عن المعتقلين وفي مقدمتهم حمدي الحسيني ومحمود الافغاني . وقد اصدرت سلطات الانتداب احكاماً على عشرين عربيا بالاعدام خففت فيما بعد الى السجن المؤبد ما عدا ثلاثة منها نفذ حكم الأعدام باصحابها ، في سجن عكا في ١٧ حزيران ١٩٣٠ وهم محمد جمجوم وعطا الزير وفواد حجازي . ولم يحكم الا على يهودي واحد بالسجن عشر سنوات ثم اطلق سراحه بعد ذلك ، وهو الشرطي جانكير المتهم بقتل عائلة عربية في يافا .

وكعادة الحكومة البريطانية ، بعد كل انتفاضة ، فقد الفت لجنة للتحقيق عرفت باسم (لجنة شو) . وقد درست اللجنة اسباب الانتفاضة وعزتها الى عوامل منها « شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود لخيبة املهم في مطامحم السياسية والقومية ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي » ومما كتبته اللجنة كذلك ان « العرب صاروا يرون في المهاجرين اليهود خطراً على معيشتهم ويرون احتمال تسلطهم عليهم في المستقبل لذلك اوصت باصدار الحكومة البريطانية كتابا ابيض توضح فيها « السياسة التي تنوي اتباعها في فلسطين » . وفي ايار ١٩٣٠ قررت الحكومة البريطانية « تعيين محقق ذي مزايا عالية للقيام بالتحقيق في مشاكل الهجرة وتسوية الاراضي واعمارها في فلسطين » . وقد قدم السرجون هوب سمبسون الذي عين لهذه الغاية تقريره في اب وقد تضمن الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ بعض مقترحاته التي لم تضف جديداً الى السياسة البريطانية في فلسطين . وقد حددت اللجنة التنفيذية موقفها منه في تشرين الاول سنة ١٩٣٠ قائلة بان الكتاب الابيض لايضمن حقوق العرب .

كان ازدياد الهجرة اليهودية ابتداء من سنة ١٩٣٠ وحتى ١٩٣٦ سبباً في تعاظم نشاط حركة المقاومة العربية الفلسطينية . ففي خلال السنوات ١٩٣٠ – ١٩٣٦ بلغ عدد المهاجرين اليهود حده الاقصى حيث وصل الى ١٨٢٨٣٩ . وكان عدد سكان

فلسطين في نهاية ١٩٣٦ مايقارب ١,٣٠٠,٠٠٠ منهم نحو ٣٨٤٠٠٠ من اليهود . وقد اكدت المصادر الرسمية البريطانية سنة ١٩٣٠ ان مابين ٨٦،٩٨٠ عائلة ريفية ، ٢٩٤ بالمئة منهم أصبحوا بدون ارض، وقد صحب هجرة اليهود الى فلسطين وورود رأس المال اليهودي بشكل متميز . وتقدر البيانات الاحصائية البريطانية ذلك بما يقارب ٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه استرليني في نهاية ١٩٣٦ . وقد زاد مجيء رؤوس الاموال بزيادة ارقام الهجرة . فسبب توسعاً كبيراً في النشاط الصهيوني في ميدان الزراعة والصناعة وقد زادت المستعمرات الزراعية اليهودية الى (١٧٢) مستعمرة سنة ١٩٣٦ وزاد عدد مزارعيها من ٢٨٠٠٠ الى ٨٧٠٠٠ وزاد رأس المال المستثمر في الصناعة اليهودية من ٢٠٩٥٠٠٠ جنيه فلسطيني سنة ١٩٣٠ الى ١١٠٦٤٠٠٠ سنة ١٩٣٧ وبلغ عدد نفوس تل ابيب ١٥٠٠٠٠ نسمة تقريباً . وقد سبب ذلك اختلافات خطيرة في مستويات المعيشة بين العرب واليهود . كما حصلت اختلافات في مستويات التعليم ، اذ اصبح التعليم الابتدائي بين اليهود عاماً تقريباً ، وحصل تقدم كبير في التعليم الثانوي . اما المدارس العربية ، فلم تنل من المخصصات والاهتمام مايتناسب مع نمو السكان العرب . وتعزو المصادر الرسمية البريطانية ذلك الى ان المدارس العربية كانت تحت اشراف ادارة المعارف الحكومية مباشرة ، اما المدارس اليهودية فكانت تحت اشراف المجلس اليهودي العام (وعد ليومي) . وقد ادى ذلك الانقسام الى مخاطر كثيرة منها ، ان المدارس اليهودية ظلت تهدف الى هدف صهيوني محض يقوم على اساس ترسيخ روح العداء والتسلط والاعتزاز بماضي اليهود وبالوطن القومي الذي يعدونه بكل تأكيد عملاً انجزوه هم وحدهم .

دعت اللجنة التنفيذية في تشرين الاول ١٩٣٣ الى اضراب عام ، ونظمت مظاهرات كبيرة خارج دوائر الحكومة في القدس . وقد تصادم المتظاهرون مع الشرطة . وامتدت الانتفاضة الى يافا ونابلس وحيفا . وفي سنة ١٩٣٤ طالب قادة الحركة الوطنية باقامة حكومة ديمقراطية ومنع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود ووقف الهجرة اليهودية وتأليف لجنة قديرة لتقرير قابلية استيعاب البلاد ووضع مباديء للسيطرة على الهجرة . وفي الوقت نفسه كانت الادارة البريطانية تتهيأ لتجديد محاولتها في اقامة مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين ومنها المجلس التشريعي لكن الثورة العربية التي اندلعت في فلسطين سنة ١٩٣٦ وامتدت حتى ١٩٣٩ حالت دون ذلك .

ظهرت بوادر التحفز للثورة بتأليف لجنة سرية عربية في حيفا في تشرين الاول ١٩٣٥ برئاسة الشيخ عزالدين القسام . وقد تألفت اللجنة من خمسة اقسام : لجنة الدعوة ولجنة

[illegible]

[illegible] ... والستشهد الشيخ [illegible] وأزيحه من [illegible] . [illegible] الشهداء [illegible] سنة ١٩٣٦ [illegible] صور [illegible]

اصطدام [illegible] اليهود [illegible] بين طولكرم ونابلس [illegible]

١٥ نيسان ١٩٣٦ وفي [illegible] التالية استشهد عربيان برصاص اليهود قرب مستوطنة [illegible] ليلة [illegible] ، وبعد [illegible] قابلة قام اليهود باضطرابات في يافا وتل ابيب . ونجم عن [illegible] استعداد العرب لمواجهة الموقف . فتشكلت في ٢٠ نيسان ١٩٣٦ في نابلس لجنة وطنية دعت الى اضراب عام حتى تتوقف الهجرة ، كما دعت الى تشكيل لجان وطنية في جميع المدن والقرى الفلسطينية . وفي ٢٥ نيسان تكونت اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج امين الحسيني مفتي القدس . وقد ضمت اللجنة تحت لوائها كل المنظمات والأحزاب الفلسطينية . ونظمت اللجنة جماعات الفدائيين واشترك مئات من المجاهدين العرب من سوريا والعراق وشرق الأردن مع اخوانهم الفلسطينيين في ثورتهم . وقد صحب الاضراب اعمال ثورية عديدة واسعة النطاق ، منها تدمير المستعمرات اليهودية وتخريب طرق المواصلات وتشير المصادر الرسمية البريطانية الى ان الثوار استخدموا أساليب تختلف عن تلك التي عرفت في حرب الانصار فيما بعد وخاصة في جبال الخليل وهي منطقة يعرفونها جيداً ولا تسمح بانجاز اجراءات عسكرية مضادة . ومما زاد في عرقلة الاجراءات العسكرية ، كما تقول هذه المصادر تأييد السكان [illegible] وصعوبة الحصول على معلومات عنهم . وقد بدأت النجدات العسكرية بالوصول في ايار ، وقد صار في البلاد فرقتان عسكريتان بريطانيتان في ايلول . وفي نهاية الشهر المذكور خول المندوب السامي باقاء محاكم عسكرية ورفضت السلطات تقديم اي امتياز مقابل ايقاف الاضراب واعادة النظام . ولما فشلت بريطانيا في ايقاف الثورة لجأت الى الملوك والامراء العرب ، فاستجاب غازي ملك العراق وعبد

[illegible] للحكومة البريطانية [illegible] ... الأولى [illegible] اذاعوا اتفاقهم على [illegible] الدماء ، وفي [illegible] تطبيق [illegible] وفي اليوم التالي انهى الاضراب وعاد الهدوء النسبي الى البلاد لفترة من الزمن .

ارسلت الحكومة البريطانية خلال احداث الثورة ، لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل مهمتها التحقيق في اسباب الثورة . وبعد صدور تقريره وبيان المسؤولين عنه في تموز ١٩٣٧ . واوصى التقرير بتقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق عربية ويهودية وبريطانية وايد البيان ماجاء في التقرير واشار « الى ان من الواجب كتدبير مؤقت اتخاذ اجراءات لمنع المعاملات في الاراضي التي قد تمس المشروع » اي منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود في المنطقة التي حظر التقرير فيها ذلك ، وحدد الهجرة اليهودية بثمانية الاف شخص خلال مدة ثمانية أشهر من اب ١٩٣٧ الى اذار ١٩٣٨ ، شرط الا يتجاوز مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب المهاجرين » . وذكر البيان ان « العرب سينالون استقلالهم القومي ، وبذلك يتمكنون من التعاون على قدم المساواة مع عرب البلاد المجاورة في سبيل الوحدة العربية وتقدم العرب » .

لقد زاد ماجاء في تقرير اللجنة الملكية وبيان الحكومة البريطانية بتقسيم فلسطين حدة الثورة . اذ رفض العرب « التقسيم » ورأوا ان لاسبيل لهم غير القتال واستمرار المقاومة . وهكذا عمت الثورة فلسطين ، وبدأت الاشتباكات مرة اخرى . واذاعت اللجنة العربية العليا في ٨ تموز ١٩٣٧ بيانا قالت فيه : « ان المشروع المقترح يقدم لليهود هدية هي اخصب اراضي فلسطين » وعقد العرب مؤتمرا في بلودان بسوريا في ٨ ايلول ١٩٣٧ حضره مندوبون من الأقطار العربية ، واعرب المشتركون في المؤتمر عن استنكارهم لاي فكرة تنطوي على التقسيم . واتخذوا عدة قرارات ابرزها ان فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي ، ورفض ومقاومة التقسيم والأصرار على الغاء الانتداب وتصريح بلفور وتاليف حكومة دستورية يكون للاقليات فيها ما للاكثرية من حقوق وواجبات وتنظيم العلاقات مع بريطانيا بمعاهدة تضمن للشعب العربي في فلسطين استقلاله وسيادته واصدار تشريع يمنع انتقال الاراضي الى اليهود ووقف الهجرة اليهودية فورا . واقسم المؤتمرون ميثاقا اقسموا عليه وقوفا بحماسة رائعة جاء فيه انهم يقسمون ويتعهدون امام الله والتاريخ والشعب العربي الى يستمروا في الكفاح الى ان يتم انقاذ فلسطين .

قامت الحكومة البريطانية في ٢٦ ايلول ١٩٣٧ بحل اللجنة العربية العليا وجميع اللجان التابعة لها . وعزل الحاج امين الحسيني من رئاسة المجلس الاسلامي واعتقلت زعماء الحركة الوطنية واعضاء اللجنة العربية العليا . ولكن هذه الاجراءات لم تنجح في اخماد الثورة . وحين اصبحت الحكومة البريطانية متأكدة ان الحرب العالمية الثانية لابد آتية : وانها ستكون بحاجة الى جيوشها المنهمكة في قتال العرب في فلسطين للقتال في ميادين اخرى اهم ، والى ان تكون ساحة فلسطين هادئة ، ارسلت لجنة فنية لدراسة الوضع وامكانات نجاح مشروع التقسيم او عدمه . وقد وصلت اللجنة برئاسة السير جون وودهد الى القدس في ٢٧ نيسان ١٩٣٨ وبقيت حتى اوائل اب وحين عودتها الى لندن اصدرت تقريرها الذي ابانت فيه المحاذير والعوائق المتعددة المتنوعة التي تحول دون امكان تحقيق مشروع التقسيم ، وعلى اثر ذلك اصدرت الحكومة البريطانية في اوائل تشرين الاول ١٩٣٨ بيانا اعلنت فيه عدولها عن مشروع التقسيم وانها تنوي عقد مؤتمر في لندن تدعو اليه ممثلين عن الدول العربية وعن عرب فلسطين وعن اليهود لدراسة القضية من جميع نواحيها وايجاد حل لها . وقد عقد المؤتمر الذي عرف بمؤتمر المائدة المستديرة للفترة من ٧ شباط – ١٧ اذار ١٩٣٩ واصدرت الحكومة البريطانية بيانها المعروف بالكتاب الابيض في ايار ١٩٣٩ اعلنت فيه : « انه لاتعهداتها للعرب ولا مصالح بريطانيا ، تبرر وجوب استمرارها في تنمية الوطن القومي اليهودي الى ابعد من المرحلة التي تم الوصول اليها ولذلك فان الحكومة قررت ان تنمية الوطن القومي اليهودي كما توخاه تصريح بلفور ، اكثر من ذلك يكون ضد رغبات العرب ، لذلك يجب ايقاف الهجرة ووضع حد لاستملاك اليهود اراض جديدة بفلسطين خلال فترة السنوات الخمس وفي نهاية هذه الفترة كذلك ستنشأ مؤسسات الحكم الذاتي في البلد . ومما يلحظ هنا ان الظروف الدولية وتأهب بريطانية لدخول الحرب ، ورغبتها في التقرب من العرب هي التي دفعت البريطانيين الى اصدار الكتاب الابيض والتعهد بتنفيذ ما جاء فيه لذلك حملت الصهيونية العالمية على السياسة البريطانية الجديدة في فلسطين ، ونقلت مركز ثقلها من بريطانيا الى الولايات المتحدة الاميركية ، وانتهزت فرصة الحرب العالمية الثانية للضغط على بريطانيا وحملها على الغاء سياسة الكتاب الأبيض وتأييد دولة الحلفاء لها في اقامة الكيان الصهيوني في فلسطين . وقد نجحت في ذلك كما سنرى ..

الفصل السادس

تأسيس الكيانات السياسية الاقليمية

ان الظاهرة البارزة التي شهدها الوطن العربي في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، هي تأسيس بعض الكيانات السياسية الاقليمية وابرزها مملكة الحجاز (١٩١٦-١٩٢٥). والمملكة السورية المتحدة ، والمملكة العراقية والمملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية ، والمملكة المتوكلية اليمنية .

مملكة الحجاز (١٩١٦- ١٩٢٥)

اشرنا فيما سبق الى ثورة الشريف حسين التي بدأت في ١٠ حزيران ١٩١٦ وأنهت الحكم العثماني في الحجاز من الناحية العملية . وقد اتجهت جهود الشريف حسين في الشهور التالية الى اعادة الكيان السياسي العربي ، واقرار شكل الحكم الذي ستسير عليه الدولة الجديدة ، .والتي تعد اول دولة عربية مستقلة تؤسس في القرن العشرين .

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٦ اجتمع بعض اعيان الحجاز وذلك للنظر في اقتراح قدمه الامير عبد الله بن الحسين ويقوم على مبايعة الحسين « ملكاً على البلاد العربية » . وقد تحقق ذلك في الاجتماع نفسه ، فجرت مراسيم البيعة الخاصة ، حيث قام الشيخ عبد الله مرداد بقراءة كتاب البيعة الذي تسلمه من الشيخ عبد الله سراج نائب رئيس الوزراء امام الحسين والشخصيات التي حضرت المناسبة . وقد القى الحسين كلمة بين الحاضرين بعد البيعة اكد فيها بذل الجهود لادارة البلاد والاقتداء بالقرآن الكريم والسنة النبوية طريقاً لحكم البلاد . ويذكر جورج انطونيوس في كتابه « يقظة العرب » ان الامير عبد الله طير نبأ بيعة الملك حسين الى الحكومات المتحالفة والمحايدة ، بصفته وزيراً للخارجية ، طالبا منها الاعتراف بهذا اللقب الجديد للشريف حسين لكن الحلفاء اعترضوا على التسمية ، وابلغوا الملك حسين في الثالث من كانون الثاني ١٩١٧ ، انهم يعدونه « ملكا على الحجاز » فقط .

[illegible] في [illegible] مكة [illegible]
[illegible] المنشورات الحجازية [illegible] وابعث [illegible]
[illegible] سراج على الشريف حسين و[illegible]
[illegible] المتاخرون في مصافحة الملك الجد[illegible]

[illegible] الدكتور طالب محمد وهيم في كتابه « مملكة الحجاز » ان قيام المملكة
[illegible] الاولى [illegible] ذلك اتخاذ علم ذي الوان ثلاثة هي الابيض
والاخضر والاسود مع [illegible] احمر يتصل باطراف الالوان الثلاثة ، وهو العلم الذي سبق
[illegible] عن الجمعيات العربية القومية كالمنتدى الادبـي . كما عمد
[illegible] الى اصدار عملة حجازية وامر بتاسيس دار لضرب النقود . ورافق قيام المملكة
[illegible] في مكة المكرمة باسم « القبلة » برز عددها الاول في ١٥ آب ١٩١٦
وكان [illegible] عليها الملك حسين بنفسه . وقد لعبت الجريدة التي استمر صدورها حتى ١٩٢٠ [illegible] في [illegible] الثورة العربية والدعوة الى مبادئها القومية .

تشكلت الحكومة الحجازية الاولى في ٥ تشرين الاول ١٩١٦ من الوزراء التاليـة
[illegible] ماؤهم .

الامير علي رئيسا للوكلاء (الوزراء) .
الشيخ عبد الله سراج نائبا لرئيس الوكلاء وقاضياً للقضاة
الامير فيصل وزيرا للداخلية .
الامير عبد الله وزيراً للخارجية
عزيز علي المصري وزيراً للحربية
علي المالكي وزيراً للمعارف
الشيخ يوسف بن سالم وزيراً للنافعة (الاشغال والمواصلات)
محمد امين وزيراً للاوقاف
احمد عبد الرحمن باناجه وزيرا للمالية
الشيخ عبد القادر عزاوي وزيرا للبرق والبريد
الدكتور [illegible]

اما السلطة التشريعية ، فقد تمثلت بمجلس الشيوخ الاعلى الذي تألف في نفس اليوم الذي شكلت فيه الوزارة . ومهمته « النظر في كل مايتعلق بمصالح البلاد ومراقبة اعمال الدوائر الرسمية ... وتدقيق اللوائح القانونية المقدمة من قبل الحكومة ، واصدار قرار بشأن صلاحيتها . ويلحظ الدكتور طالب محمد وهيم في كتابه المشار اليه آنفاً والذي كرسه لدراسة مملكة الحجاز ان اعضاء هذا المجلس كانوا يعينون من قبل الملك حسين نفسه . وان المملكة اعتمدت في تطبيقها للقوانين على نظام قضائي يستند الى الشريعة الاسلامية .

اما موارد الدولة فقد تكونت من الاعانات المالية البريطانية التي بلغت للفترة من ١٩١٦ وحتى ١٩٢٠ مبلغ (١١٠٠٠٠٠٠) جنيه استرليني . هذا فضلاً عن الضرائب والرسوم المفروضة على الحجاج والواردات الآتية من الاموال المترتبة على رسوم البريد والبرق والطوابع ، فضلا عن رسوم البلديات ورسوم الموانيء والـكمارك .

وظل التقسيم الاداري للحجاز ، كما كان عليه في العهد العثماني ، حيث كان الحجاز ولاية تتكون من سنجقين وخمسة اقضية وست نواحي والسنجقان هما المدينة المنورة ومدينة جدة . وظلت الاجهزة الادارية العثمانية معمولاً بها . فهناك الدائرة الداخلية وتتألف من القائمقام وموظفيه والدائرة الشرعية وتضم القاضي ورئيس الـكتاب والمباشر والدائرة العدلية ودائرة المعارف والصحة ودائرة الطابو ودائرة البرق والبريد والدائرة المالية ودائرة الرسوم ودائرة الشرطة . وكانت المدن الحجازية الرئيسية تحظى بوجود دائرة بلدية خاصة بها يرأسها رئيس البلدية .

اما الجيش ، فلم يكن عند بدء الثورة سنة ١٩١٦ منظما ، وانما كانت للحسين قوة صغيرة من الحرس في مكة ، اضافة الى قوة من القبائل التي كانت تتبعه عند دعوته لها . لـكن ظروف الثورة حتمت عليه الاهتمام بتنظيم قواته وتطويرها فتأسس اول مركز للتدريب في مدينة رابغ في ايلول ١٩١٦ ، حيث شكلت نواة الجيش العربي الذي اتسع ليصبح ثلاثة فيالق قاتلت خلال السنوات ١٩١٦-١٩١٨ عـلى جبهات ثـلاث شمـاليـة . وجنوبية . وشرقية . وقد تولى قيادة الجيش الاول الامير فيصل يعاونه العقيد مولود مخلص والجيش الثاني قاده الامير عبد الله اما الجيش الثالث فقد قادة الامير علي يعاونه العقيد نوري السعيد والمقدم علي جودت الايوبي . وفي اذار ١٩١٧ اصدر

الملك حسين اوامره بتأسيس المدرسة الحربية في الثكنة الكبرى في منطقة جرول بمكة ، وتحت اشراف وزير الحربية وكان معظم المشرفين عليها من الضباط العراقيين والسوريين وقد استهدفت المدرسة تخريج الضباط المدربين على الامور القتالية ـ العسكرية . وعهدت الحكومة بمهمة حفظ النظام من الداخل الى جهاز الشرطة الذي تأسس في شباط ١٩١٧ .

حاولت بريطانيا ربط الحجاز بمعاهدة معها مرتين ، كانت الاولى سنة ١٩٢١ ، اما الثانية فقامت في سنة ١٩٢٣ الا انها اخفقت . ويرجع ذلك الى استياء الملك حسين من بريطانيا بسبب وعودها المتناقضة وفي مقدمتها اتفاقية سايكس - بيكو ووعد بلفور . ومع ان الحكومة البريطانية حاولت معالجة ذلك بتأكيدها على عزمها في اتاحة الفرصة الكاملة امام العرب لاستعادة كيانهم السياسي واتحادهم مع بعضهم مع استعدادها لاسناد ذلك ، الا ان الملك حسين ، لم يقتنع بالتأكيدات البريطانية . واخذ يعرب عن مخاوفه من موقف بريطانيا من النزاع الهاشمي - السعودي وتشجيعها لسلطان نجد عبد العزيز آل السعود ورغبتها في تجنب اثارته في نزاعه مع الملك حسين حول مشاكل الحدود بين نجد والحجاز ، وحين استولى النجديون على الطائف ، تخلى الانكليز عن الحسين ، فتنازل عن العرش في ٣ تشرين الاول ١٩٢٤ لابنه الملك علي الذي حاول اقناع بريطانيا باستمرار دعمها لمملكة الحجاز ، وتعهده بعقد معاهدة معها ، لكنها تيقنت من اشراف المملكة على الانهيار ، فاستكملت خطواتها في التخلي عنها حين اعلنت تجنب التدخل في النزاع بين الهاشميين والسعوديين . ولم تطل اقامة الملك علي في مكة لاكثر من اسبوع بعد اتمام مراسيم بيعته ، اذا اضطر الى اخلائها والانتقال الى جدة ، بعد وصول القوات السعودية الى منطقة الزيمة القريبة من مكة . ولم يكن مع الملك علي اكثر من ٢٠٠-٣٠٠ مقاتل . وفي ١٦ تشرين الاول دخل السعوديون مكة بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد .

في ٨ كانون الاول ١٩٢٤ اصدر عبد العزيز بن سعود بياناً لاهالي مكة وضواحيها بين فيه هدفه الذي دفعه للسيطرة على الحجاز ، والمتمثل بنصرة الدين ، ودفع العداء الذي كان يكيده له الحسين ، وعزمه على اقامة العدل ونصرة الضعيف . وبالرغم من قيام بعض المحاولات للوساطة الشخصية بين الهاشميين والسعوديين لوقف القتال وترك الحجاز لاهله ، الا ان عبد العزيز بن سعود أقر في ٢ كانون الثاني ١٩٢٥ خطة الهجوم على جدة . فحدثت المواجهة المباشرة بين المعسكرين في اذار ١٩٢٥ في معركة لم تدم اكثر من ساعات . واثر ذلك اضطر الملك علي ان يوسط القنصل البريطاني السير ريدر بولارد لانهاء

حالة القتال والتسليم لابن سعود [...] الواقع في ١٥ كانون الاول ١٩٢٥ . وفي ١٧ كانون الاول تم الاتفاق على الشروط التي تقدم بها الملك علي لتسليم عاصمته وابرزها ضمان ابن سعود لسلامة اهالي جدة وتعهده بمنح العفو العام وتسفير الضباط والجنود الراغبين في العودة الى اوطانهم ان رغبوا . وفي ٢٢ كانون الاول غادر الملك علي جدة متوجها الى العراق ليستقر الى جانب اخيه الملك فيصل . وبعد يومين دخل ابن سعود جدة لينهي بذلك اول دولة عربية مستقلة انشأها العرب بعد تخلصهم من النير العثماني .

المملكة السورية المتحدة :

اشرنا فيما سبق الى ان المؤتمر السوري العام الذي انعقد في دمشق للفترة من ٦-٨ اذار ١٩٢٠ قد اتخذ قراراً ينص على « استقلال سوريا بحدودها الطبيعية » . كما اختار الامير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً بلقب صاحب الجلالة فيصل الاول . وقد اطلقت مئة طلقة وطلقة اعلاناً لولادة المملكة الجديدة ، ورفع علمها الجديد ، وهو نفس علم الثورة العربية مع اضافة نجمة بيضاء في وسط المثلث الاحمر .

وفي ٩ اذار ١٩٢٠ عين الملك فيصل علي رضا باشا الركابي رئيساً للوزراء ، وقد احاط الركابي حكومات الحلفاء فوراً باعلان الاستقلال ، وبعث الملك فيصل برسائل وبرقيات الى كل من الرئيس الاميركي ويلسن واللورد كرزن والجنرال اللنبي والجنرال غورو شارحاً لهم الاسباب الموجبة لاعلان وحدة سوريا واستقلالها ، وموضحاً لهم ان انشاء مملكة سورية متحدة لايضر بمصالح الحلفاء .

وضع المؤتمر السوري القانون الاساسي (الدستور) الذي تألف من (١٤٨) مادة ونص على ان تكون سوريا ملكية دستورية وراثية في الاسرة الهاشمية وان تدار البلاد على اساس اللامركزية مع وجود مجلس نواب منتخب بالاقتراع السري على درجتين وينتخب المجلس النيابي في كل مقاطعة اعضاء لمجلس الشيوخ بنسبة ربع نوابها في المجلس النيابي العام ويعين الملك عدداً مساوياً لنصف عدد الاعضاء المنتخبين . ومدة النيابة اربع سنوات يجوز تجديد انتخاب النائب المنقضية مدته .

تشكلت الوزارة الجديدة في ١٠ اذار ١٩٢٠ برئاسة علي رضا الركابي رئيسا وعضوية سبعة وزراء عرف عنهم خبرتهم بالشؤون العامة وهم :

رضا الصالح وزيراً للداخلية
عبد الحميد قلطقجي وزيراً للحربية
جلال زهدي وزيراً للعدل
سعيد الحسيني وزيراً للخارجية
فارس الخوري وزيراً للمالية
ساطع الحصري وزيراً للمعارف
يوسف الحكيم وزيراً للامور النافعة (الاشغال) .

كما عين يوسف العظمة رئيسا لاركان الجيش وعلاء الدروبي رئيسا لمجلس الشورى وقد قدمت الوزارة بيانها امام المؤتمر في ٢٧ اذار ١٩٢٠ استناداً الى قرار سابق يقضي بجعل الحكومة مسؤولة تجاه المجلس في كل مايتعلق باساس استقلال البلاد التام الى ان تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي وتشير الدكتورة خيرية قاسمية في كتابها « الحكومة العربية في دمشق » الى ان الحكومة اكدت في بيانها على المحافظة على الاستقلال ، والمساواة الشاملة امام القانون ، وحماية المصالح الاجنبية ، ونشر المعارف وتحسين الحالة الاقتصادية والمساعدة التي تأملها ، اذا دعت الضرورة ، من الحلفاء من اجل تطورها الاقتصادي . وانصرفت الوزارة بعد ذلك الى تنظيم فروع الادارة ووضع الخطط الاصلاحية والعمرانية وتحسين التعليم وتقوية الجيش .

بذل الملك فيصل جهوداً كبيرة من اجل الحصول على اعتراف الدول الكبرى بحكومته . ويبدو ، كما تقول الدكتورة قاسمية في كتابها آنف الذكر انه لم يوفق كثيراً في هذا المجال ؛ فالولايات المتحدة الاميركية لم تبد اكتراثا بأمر استقلال سوريا ، ولم تعترف بفيصل ملكاً . اما اللورد كرزن فقد بعث للملك فيصل برقية في ٩ اذار بأسم الحكومة البريطانية ضمنها احتجاجها على اعلان الاستقلال . اما فرنسا فقد رفضت الاعتراف بشرعية قرارات المؤتمر السوري باعلان الاستقلال ، واستمرت في اعتبار فيصل اميراً هاشميا يدير البلاد بصفته قائداً للجيوش الحليفة ودعته الى اوربا لبسط قضيته . لان مستقبل الاجزاء العربية لايزال بيد مؤتمر الصلح . وهكذا لم تحصل المملكة السورية الناشئة على الاعتراف باستقلالها من الحلفاء الا « بشرط ان تقبل بالانتداب » . الفرنسي على سوريا ولبنان والانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الاردن .

عقدت الوزارة السورية اجتماعاً عاجلاً بعد اعلان الانتداب ، وقد واجه رئيس الوزراء رضا الركابي انتقاداً شديداً من اعضاء حكومته الذين اتهموه بالتهاون في اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الموقف . لذلك قدم استقالته وتشكلت وزارة جديدة برئاسة هاشم الاتاسي في ٣ أيار ١٩٢٠ والتي دخلها كل من يوسف العظمة وزيراً للحربية والدكتور عبدالرحمن الشهبندر وزيراً للخارجية وكانا يمثلان المعارضة الوطنية للعناصر المحدة التي ترغب بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا . وقد اتخذت الوزارة الجديدة اجراءات رفعت من دعمها الشعبي .. ومن ذلك اضافتها بعض المواد الى قانون التجنيد الاجباري بهدف توسيع نطاق التجنيد . كما سنت قانونا لعقد قرض وطني بغية الحصول على الاموال الضرورية لضمان حاجات الدفاع . وفي الوقت نفسه ، ضاعفت المنظمات الوطنية المختلفة جهودها ونشاطها في اعداد الشعب للدفاع عن الوطن في حالة نشوب حرب مع فرنسا . كما ازداد نشاط حركة المقاومة المسلمة ضد المواقع العسكرية الفرنسية بين سوريا ولبنان الامر الذي جعل الجنرال غورو يسحب قواته من الجبهة التركية ويحشدها على الحدود الغربية لسوريا . وفي هذه الاثناء شجع الجنرال غورو الانفصاليين في مساعيهم الناشطة لمنع دمج لبنان في سوريا . وفي ١٤ تموز وجه الجنرال غورو انذاره الذي اشرنا اليه من قبل الى الملك فيصل . وعند فجر الرابع والعشرين من تموز بدأت معركة ميسلون ، وقبل منتصف النهار ذاته توقف الجيش العربي السوري عن كل مقاومة واستشهد على ساحة المعركة وزير الحربية القائد يوسف العظمة . وزحفت الجيوش الفرنسية باتجاه دمشق . وفي ٢٦ تموز استدعى الجنرال غوابة Goybet اعضاء الوزارة السورية الى اجتماع ، ليعلن امامهم ان الملك فيصل يتحمل مسؤولية ما سماه بالاضطرابات الاخيرة في سوريا ، لذلك لم يعد معها من الممكن استمراره في حكم البلاد . وقد حدد يوم ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ لمغادرة فيصل دمشق وقد غادر فيصل الاراضي السورية في طريقه الى حيفا ، وذلك بعد انقضاء اثنين وعشرين شهراً على دخوله دمشق دخول الظافر المنتصر في الاول من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٨ . وهكذا سقطت دولة الملك فيصل السورية المستقلة كما يقول المؤرخ هارولد تمبرلي Temperley في كتابه « تاريخ مؤتمر السلم في باريس » . لانها كانت تتعارض معارضة مباشرة مع مصالح فرنسا الاستعمارية . ويمكن ان نضيف الى ذلك عاملاً آخر يتعلق بالموقف البريطاني ، ذلك ان بريطانيا كانت تبحث عن وسيلة تعدل فيها اتفاقية سايكس – بيكو وخاصة في مجال ضم الموصل الغنية بالنفط الى مناطق نفوذها . لذلك قدم لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا في ١٣ أيلول ١٩١٩ مذكرة الى كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية ، عرفت « بمذكرة لويد جورج بشأن الاحتلال المؤقت لسوريا وفلسطين والعراق ريثما يبرم أمر الانتداب » ، وقد نصت هذه المذكرة على انسحاب القوات البريطانية عن سوريا اعتباراً من اول تشرين الثاني ١٩١٩ وان تستبدل بموجب ذلك حاميات سوريا في غربي خط سايكس – بيكو بقوات فرنسية وتستبدل حاميات

دمشق وحماه وحلب بقوات عربية على ان لايبقى للحكومة البريطانية اية مسؤولية في المناطق التي يتم اخلائها . وهكذا اطلقت بريطانيا يد فرنسا في سوريا مقابل موافقة فرنسا على ضم الموصل الى منطقة النفوذ البريطاني . وقد كتب احد المطلعين يقول : ان بريطانيا باعت سوريا بمنطقة الموصل الغنية بالنفط .

المملـكة العراقية :

اشرنا فيما سبق الى ان سلطات الانتداب البريطاني في العراق اضطرت الى تحقيق هدف ثورة ١٩٢٠ بترشيح فيصل ملكاً على العراق . وقد اسفرت نتيجة التصويت عن موافقة الشعب العراقي على المناداة بفيصل ملكاً على العراق . وبعد اكمال اجراءات التتويج ، شرع الملك فيصل بممارسة اعماله ، وكان اول عمل قام به ، هو قبول استقالة الوزارة المؤقتة الاولى التي شكلت في اعقاب ثورة العشرين برئاسة عبدالرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠ . وقد عهد الملك فيصل الى الوزارة ذاتها في يوم ٢٣ آب ١٩٢١ بالاستمرار في عملها ريثما يتم تكوين وزارة جديدة دائمة . وفي ١٢ أيلول ١٩٢١ صدرت الارادة الملكية باسناد منصب رئاسة الوزارة الجديدة الى السيد عبدالرحمن الكيلاني . وكان على الكيلاني ان يوفق بين وجهتي نظر الملك فيصل والمندوب السامي البريطاني السر برسي كوكس في اختيار زملاء له يشاركونه المسؤولية . وقد شكلت الوزارة الثانية من الاشخاص التالية اسماؤهم .

الحاج رمزي بك وزيراً للداخلية .
ساسون حسقيل وزيراً للمالية
ناجي السويدي وزيراً للعدل
جعفر العسكري وزيراً للدفاع
عزت باشا الكركوكي وزيراً للاشغال والمواصلات
عبداللطيف المنديل وزيراً للتجارة
عبدالكريم الجزائري وزيراً للمعارف
حنا خياط وزيراً للصحة
محمد علي فاضل وزيراً للاوقاف .

وقد اذاعت الوزارة منهاجها الذي اكد على ان « مملكة العراق الحديثة العهد بالحرية والاستقلال في حاجة ماسة الى استتباب الامن » وتوطيد دعائمه في جميع انحاء البلاد .

أول معاهدة ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢

كما تعهدت بضرورة العمل على ترقية العلوم والمعارف وتنظيم وسائل الري وتوسيع نطاق الزراعة . واكدت حاجة البلاد الى جيش وطني « يلم شعثها داخلاً ، ويدافع عن كيانها خارجاً » . وتعهدت بتأليف مجلس تأسيسي (برلمان) ليكون ممثلاً للشعب العراقي واشارت الى ان « السرعة في تأليفه هي من اهم مقاصد الشعب والحكومة » . واهتمت الوزارة بتنظيم علاقات العراق ببريطانيا بصفتها دولة منتدبة ، بمعاهدة تحل محل الانتداب . وفي ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ وقع العراق وبريطانيا المعاهدة العراقية – البريطانية الاولى على ان يبرمها المجلس التأسيسي . وبالرغم من ان المعاهدة لم تشر الى الانتداب فانها لم تكن من الناحية العملية ، سوى صك الانتداب في ثوب جديد . فقد ثبتت المعاهدة ضمناً بريطانيا كدولة منتدبة ومما تضمنته المعاهدة ، ان ملك بريطانيا يتعهد بان يقدم في اثناء مدة المعاهدة وهي (٢٠)سنة مايقتضي لدولة العراق من المشورة والمساعدة بدون ان يمس ذلك بسيادتها الوطنية . ويتعهد ملك بريطانيا بان يسعى بادخال العراق في عضوية عصبة الامم كدولة مستقلة في اقرب مايمكن ويتعهد بان يقدم للعراق المساعدات العسكرية اللازمة . اما ملك العراق فيتعهد بقبول الخطة الملائمة التي يشير بها ملك بريطانيا ويكفل تنفيذها في امور العدلية وضمان مصالح الاجانب وان لايعين موظفاً في العراق من تبعية غير عراقية في الوظائف التي تقتضي ارادة ملكية بدون موافقة ملك بريطانيا وان يوافق على ان ينظم قانوناً اساسياً (دستوراً) ليعرض على المجلس التأسيسي ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي يجب ان لايحتوي على مايخالف نصوص المعاهدة ويكفل ان لايكون هناك ادنى تمييز بين سكان العراق بسبب قومية او دين اولغة .

وبموجب بروتوكول ٣٠ نيسان ١٩٢٣ اتفق الطرفان على تقصير مدة المعاهـــدة وجعلها تنتهي عند صيرورة العراق عضوا في عصبة الامم . وفي ٢٥ آذار ١٩٢٤ وقع العراق وبريطانيا سلسلة من الاتفاقيات المتفرعة عن المعاهدة والخاصة بالموظفين البريطانيين العاملين في العراق ، والاتفاقيات الخاصة بالقضايا العسكرية والعدلية والماليــة .

وبعد ذلك ، انصرف الملك فيصل لتنفيذ مطالب الوطنيين ، بعقد المجلس التاسيسي ففي ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ صدرت الادارة الملكية بتأليف المجلس للنظر في دستور المملكة العراقية وقانون انتخاب مجلس النواب والمعاهدة العراقية – البريطانية . ولكـن بسبب معارضة الشعب للمعاهدة فقد تأخرت انتخابات المجلس التأسيسي حتى ١٢تموز ١٩٢٣ . وفي ٢٧ اذار ١٩٢٤ افتتح الملك فيصل المجلس التأسيسي وعدد اعضائـه مئة عضووالقى خطاباً دعا فيه المجلس الى النظر في الاسس المتينة التي يجب ان تشاد عليها دعائم المملكة العراقية الجديدة . وفي ٢٣ نيسان ١٩٢٤ قدم رئيس الوزراء جعفر العسكري ...

لائحة القانون الاساسي الى رئيس المجلس التأسيسي لعرضه على المجلس وقد اقر بعد تعديلات طفيفة في ١٠ تموز ١٩٢٤ وتضمن مقدمة وعشرة ابواب ، تضمن الباب الاول (حقوق الشعب) مبادىء اهمها ؛ انه لافرق بين العراقيين في الحقوق امام القانون وان اختلفوا في القومية والدين واللغة ، وان الحرية الشخصية مصونة لجميع سكان العراق ، وان المساكن مصونة من التعرض ، وان حقوق التملك مصونة وان السخرة المجانية والمصادرة العامة للاموال ممنوعة بتاتا ، ولا ينزع ملك احد الا من اجل [illegible] العامة وبشرط التعويض العادل ، وان للعراقيين حرية ابداء الرأي والنشر والاجتماع وتاليف الاحزاب والجمعيات وان الاسلام دين الدولة الرسمي وان العربية هي اللغة الرسمية .

لقد تألفت خلال فترة الانتداب التي امتدت حتى دخول العراق عصبة الامم في ١٩٣٢ عدة احزاب وجمعيات ابرزها الحزب الوطني العراقي الذي تأسس في ٢ اب ١٩٢٢ برئاسة جعفر ابو التمن ويُعد هذا الحزب امتدادا لجمعية حرس الاستقلال ، فقد كان هدفه المحافظة على استقلال العراق ومؤازرة حكومته الملكية الدستورية والنهوض بالعراق الى مصاف الامم المتقدمة والسعي لكل ما يزيد ثروة البلاد . وقد ظل الحزب المذكور في جانب المعارضة حتى نهايته في ١٩٣٥ . ومن ابرز قادة الحزب الذين عملوا في الحركة الوطنية ، مولود مخلص وحمدي الباجه جي وعبد الغفور البدري .

اما حزب التقدم فقد تأسس في تشرين الاول ١٩٢٥ وذلك بزعامة عبد المحسن السعدون . ويعد اول حزب نيابي تأسس في العراق . وقد اصبح زعيم الحزب رئيساً للوزراء اربع مرات ، وذلك خلال السنوات ١٩٢٢ ، ١٩٢٥ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩ . وكانت وزاراته الثلاث الاخيرة تمثل حزبه الذي استمر في عمله حتى انتحاره في سنة ١٩٢٩ بعد اتهامه في المجلس النيابي بالخيانة من قبل بعض النواب . وقد ترك السعدون وصية اصبح لها صدى كبير في الاوساط الوطنية وخاصة في اشارتها الى ان « الامة تنتظر الخدمة ، والانكليز لا يوافقون » . وكان من ابرز اهداف حزب التقدم سعيه الى اجراء تعديلات على المعاهدة العراقية – البريطانية والاسراع بادخال العراق عصبة الامم كدولة مستقلة . واصدر الحزب عدة صحف لتكون لسان حاله ، من ابرزها (اللـواء) و (التقـدم) .

وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٥ أسس ياسين الهاشمي حزباً معارضاً باسم حزب الشعب وقد اخذ ينازع حزب التقدم للحصول على اكثرية برلمانية . ويهدف الحزب كذلك الى السعي لاسعاد الشعب وتأمين الاستقلال التام للدولة العراقية . وحين الف نوري السعيد حزب العهد في ١٤ تشرين الاول ١٩٣٠ ، وكان حزباً حكومياً مؤيداً لسياسة التعاون والتفاهم

مع الانكليز ، اسرع زعيم حزب الشعب ياسين الهاشمي ، للتعاون مع رشيد عالي الكيلاني لتأسيس حزب جديد باسم « الاخاء الوطني » وكان من اهداف هذا الحزب « بذل الجهود لتنبيه الشعب العراقي الى الاخطار المحدقة به والعمل على تكوين رأى عام عراقي يقف ضد كل المحاولات التي يقصد منها الاخلال بالوحدة الوطنية ، والسعي لتحقيق سيادة العراق في مرافقه الاقتصادية وحماية وترويج مصنوعات البلاد واستثمار مواردها لخير ابنائها . وفي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٠ كون قادة حزب الاخاء مع الحزب الوطني العراقي كتلة معارضة لنوري السعيد وسياسته عرفت بكتلة التآخي واصدرت الكتلة وثيقة هاجمت فيها سياسة نوري السعيد والمعاهدة الجديدة التي عقدها مع بريطانيا ابان تأليف وزارته في ٢٣ اذار ١٩٣٠ . وقد كانت حياة الحزب طويلة مقارنة ببقية الاحزاب الاخرى حيث بقي يعمل حتى حل من قبل لجنته العليا في سنة ١٩٣٥ . وخلال فترة عمله استعان الحزب بعدد من الصحف لنشر افكاره ، ولعل من ابرزها جريدة البلاد وجريدة الاخاء الوطني التي اصدرها الحزب في آب ١٩٣١ لتكون لسان حاله .

دخل العراق في عصبة الامم في ٣ تشرين الاول ١٩٣٢ وبذلك اصبح الدولة السابعة والخمسين من اعضاء العصبة . وبدخوله عصبة الامم ، كدولة مستقلة ، بدأ مرحلة جديدة من تاريخه الذي سبق الحرب العالمية الثانية ، تميزت بالصراع الداخلي الذي استمر للفترة من ١٩٣٢ حتى ١٩٣٩ . فبعد ان انهى نوري السعيد المهمة التي ندب اليها بعقد معاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا التي مهدت لدخول العراق العصبة ، رأى الملك فيصل ضرورة تغيير الوزارة بحيث يفسح المجال امام قوى المعارضة الوطنية للاسهام في المرحلة الجديدة . وقد دعا قادة حزب الاخاء الوطني الى تشكيل وزارة جديدة ، لكنهم اشترطوا تعديل المعاهدة التي لم يمض بعد على نفاذها الاشهر معدودات فارتاع السفير البريطاني من هذا المطلب وحال دون وصولهم الحكم . وحين تشكلت وزارة جديدة برئاسة ناجي شوكت في ٣ تشرين الثاني ١٩٣٢ واجهت معارضة شديدة من حزب الاخاء الوطني فاضطرت الى الاستقالة في ١٨ اذار ١٩٣٣ . لذلك كلف الملك فيصل احد قادة حزب الاخاء وهو رشيد عالي الكيلاني بتأليف الوزارة . فتشكلت في ٢٠ اذار ١٩٣٣ وكان من اعضائها ياسين الهاشمي وحكمت سليمان ورستم حيدر . بينما عهد الى نوري السعيد بمنصب وزير الخارجية . وقد فتحت وفاة الملك فيصل الاول وتولى ابنه غازي (١٩٣٣– ١٩٣٩) الباب على مصراعيه لدخول ظواهر جديدة في العمل السياسي في العراق ومنها اقحام العشائر في السياسة واستخدامها في الحصول على مكاسب سياسية . وكان لقيام الجيش باخماد بعض الحركات العشائرية المحلية المسلحة

التي اندلعت في مناطق مختلفة من القطر خلال الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٣٥ اثر كبير في تعاظم قوة الجيش وانغماره في الحياة السياسية . وقد نجم عن تعاون جماعة الاهالي وهي جماعة وطنية يرجع تاريخ نشأتها الى سنة ١٩٣١ كانت تعتنق مباديء هي مزيج من الاشتراكية والديمقراطية عرفت باسم الشعبية ، مع ضباط الجيش اندفع على القيام بأول انقلاب عسكري اطاح بوزارة ياسين الهاشمي في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ . وقد تزعم الانقلاب الفريق بكر صدقي وكيل رئيس اركان الجيش . وكان من اهداف الانقلاب كما صرح بذلك قادته : « اقالة وزارة ياسين الهاشمي وازالة اثار الظلم ، وتقوية الجيش وفتح النقابات واعادة اصدار الصحف التي اغلقتها الحكومات السابقة وتخفيف ويلات الفقر وايجاد الاعمال للعاطلين وتوحيد الحركات الشعبية في الاقطار العربية » . واصدرت الحكومة الجديدة التي ألفها حكمت سليمان وضمت ثلاث شخصيات من جماعة الاهالي وهم جعفر ابو التمن وزير المالية وكامل الجادرجي وزير الاقتصاد والمواصلات ويوسف ابراهيم وزير المعارف بيانا في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٦ شرحت فيه اسباب قيام الانقلاب ، ومنها ان الحكومة السابقة تجاوزت حدود الحكام المستبدين في تجاوزاتها غير القانونية وتحديها دستور البلاد ، فاستهانت بالدماء التي اهرقت وتفننت في اضطهادها للحريات ، فخنقت الصحف ...ولاحقت الاحرار .. وعرضت بكثير من المشاريع الى الخطر» . وتعهدت الحكومة الجديدة بوضع خطة اصلاحية شاملة لكل نواحي الحياة في العراق .

لقد اتضح فيما بعد ان الفريق بكر صدقي ، وكان معروفا بطموحه من اجل اقامة حكم دكتاتوري عسكري غير متحمس لتحقيق الاماني العربية ، فاتهم بمعاداته للعناصر القومية وخاصة في الجيش . كما ان كثرة تدخله في الامور الادارية والسياسية ادى الى اثارة استياء ممثلي جماعة الاهالي التي انقلبت الى جمعية سياسية باسم جمعية الاصلاح الشعبي ، اجيزت ونشر منهاجها في ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، فاتهموا بكر صدقي بالتطرف والاستبداد وحين وقعت بعض الاضطرابات العشائرية في الديوانية وقمعها بكر صدقي بقسوة شديدة . قدم كامل الجادرجي وجعفر ابو التمن ويوسف ابراهيم استقالاتهم من الوزارة . كما ان بعض ضباط الجيش القوميين بدأوا يعملون للتخلص من بكر صدقي وقد نجحت خططهم لاغتياله في الموصل في ١١ اب ١٩٣٧ حين كان يتهيأ للسفر الى تركيا لحضور المناورات العسكرية هناك . وكان اغتياله بداية لانقلاب عسكري جديد قاده امر حامية الموصل امير اللواء محمد امين العمري واستهدف الدعوه الى اقالة وزارة حكمت سليمان وتكليف جميل المدفعي يوم ١٧ اب ١٩٣٧ بتأليف الوزارة . وقد برزت كتلة الضباط القوميين منذ ذلك الوقت ، وساعدها في ذلك ظروف اندلاع الحرب

العالمية الثانية ، وازدياد قوة التيار القومي واشتداد ساعد المتحمسين للقومية العربية .
وكان رشيد عالي الكيلاني الذي الف الوزارة في ٣١ آذار ١٩٤٠ من اوائل المتحمسين لذلك التف حوله ضباط الجيش والمثقفون القوميون وفي مقدمتهم ناجي السويدي وناجي شوكت ومحمد يونس السبعاوي . وعرف الجميع بعدائهم الشديد للبريطانيين وايمانهم بالوحدة العربية وقد حدث الاصطدام بينهم وبين البريطانيين بعد قيامهم بثورة مايس ١٩٤١ وتشكيلهم حكومة عسكرية مؤقتة في ٣ نيسان باسم « حكومة الدفاع الوطني » برئاسة رشيد عالي الكيلاني . وقد ادى ذلك الى قيام الحكومة البريطانية باعادة احتلال العراق مرة ثانية وانزال قوات عسكرية في البصرة والاصطدام بالجيش العراقي صباح الخميس ٢ مايس ١٩٤١ . وفي اليوم التاسع وسع البريطانيون نطاق هجماتهم ، فهاجمت الطائرات البريطانية معسكر الرشيد . والطرق المؤدية الى بغداد . وفي ٢٩ مايس ١٩٤١ اقتربت القوات البريطانية من بغداد فاضطر رشيد عالي الكيلاني والعقداء الاربعة وهم صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب ومحمود سلمان وفهمي سعيد الى الخروج من بغداد والاتجاه عبر الحدود الى ايران ، وبقي محمد يونس السبعاوي وزير الاقتصاد ثابتا في العاصمة واعلن نفسه حاكما عسكريا ، لكنه اضطر هو كذلك الى اللحاق بجماعته ، فتشكلت لجنة الامن الداخلي في ٢٨ مايس ١٩٤١ برئاسة ارشد العمري امين العاصمة للاشراف على بغداد بعد انسحاب الحكومة ودخلت في مفاوضات مع الجانب البريطاني لعقد هدنة بين الطرفين المتحاربين في ٣١ مايس ١٩٤١ وتضمنت الهدنة ايقاف الاعمال العسكرية وحق الجيش العراقي في الاحتفاظ بأسلحته واخلاءه لمدينة الرمادي واعطاء التسهيلات كافة الى القوات البريطانية المحتلة وتسليم جميع الاسرى العراقيين الى السلطات الحكومية ، وقد الفت القوات البريطانية القبض على عدد كبير من القادة العسكريين كما تمكنت من القبض على الذين خرجوا من العراق . فاصدرت المحكمة العسكرية التي شكلها عبد الاله الوصي على العرش ، وكان من ابرز المتعاونين مع الانكليز في تسهيل احتلالهم العراق ثانية ، حكما باعدام محمد يونس السبعاوي والعقداء الاربعة . كما اظهر الوصي من القسوة والرغبة في الانتقام ماسبب السخط والاستهجان من لدن ابناء الشعب العراقي ، الذين باتوا ينتظرون يوم التخلص من الحكم الملكي الرجعي فتحقق ذلك صبيحة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ حين انفجرت ثورة عارمة ادت الى انهيار النظام الملكي واقامة الجمهورية العراقية .

امارة شرقي الاردن :

ارتبطت نشأة امارة شرق الاردن ، برغبة الاسرة الهاشمية في مقاومة السيطرة الفرنسية على سوريا وخاصة في اعقاب سقوط المملكة السورية المتحدة . فلم يمض على خروج فيصل من سوريا ، سوى بضعة اشهر حتى توجه الامير عبدالله بن الحسين من المدينة المنورة نحو معان في شرقي الاردن ، وكانت حينذاك تابعة اداريا لمملكة الحجاز ، على رأس قوة عسكرية مؤلفة من الفي مقاتل . وصل معان في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠ معلنا تصميمه على الزحف الى دمشق واعادة فيصل الى عرش سوريا ، وطلب من السوريين التضامن معه واعلان الثورة .

طلبت بريطانيا وفرنسا من الامير عبدالله العودة الى الحجاز بأسرع وقت ممكن ، وابلغته بريطانيا بانها لن تسمح بان تتحول احدى المناطق الخاضعة لنفوذها بموجب الانتداب ، الى قاعدة لمهاجمة حليفتها في سوريا . الا ان الامير عبدالله رفض الطلب البريطاني وأصر على انه يقيم في ارض حجازية . وساعده في ذلك حماس الاردنيين لقضية الاستقلال العربي وظهر ذلك من خلال عقد اجتماعات شعبية وارسال الوفود الى معان لدعوة الامير عبدالله والالحاح عليه بالتقدم نحو عمان .

وصل الامير عبدالله عمان في الثاني من اذار ١٩٢١ وقد استقبلته وفود من ارجاء شرقي الاردن ، معلنة الولاء له . لذلك اضطر تشرتشل وزير المستعمرات البريطاني الى دعوة الامير عبدالله الى لقاء في القدس وتم معه عقد اربعة اجتماعات في اواخر اذار ١٩٢١ حاول خلالها الامير عبدالله اقناع تشرتشل بضرورة توحيد فلسطين وشرقي الاردن في دولة واحدة بزعامة امير عربي ، غير ان تشرتشل ابلغ الامير عبدالله ان بريطانيا لايمكنها تغيير سياستها المعلنة تجاه فلسطين . وقد توصل الطرفان الى اتفاق كان بمثابة الاساس الذي قامت عليه امارة شرقي الاردن . ويتضمن هذا الاتفاق تأسيس حكومة عربية وطنية في شرقي الاردن برئاسة الامير عبدالله تأخذ على عاتقها استكمال اجراءات الاستقلال التام . وقد تعهد الامير عبدالله بعدم استخدام شرقي الاردن كقاعدة لاي هجوم ضد سوريا اوفلسطين . ووافق على ان تحتفظ بريطانيا بقاعدتين جويتين في عمان وزيزياء (الجيزة) وان تسترشد الحكومة الجديدة برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان .

كانت شرق الاردن في ذلك الوقت الجزء الوحيد من سوريا الذي لم يكن خاضعاً لاحتلال قوة عسكرية اجنبية بشكل مباشر . وبالرغم من ان بريطانيا وضعته في اطار صك

الانتداب ، الا انها لم تضم المنطقة الى ادارة فلسطين بل اكتفت بتعيين مستشارين سياسيين للمساعدة في تأسيس حكومات محلية للمقاطعات الثلاث التي كانت تتألف منها البلاد انذاك وهي حكومة اربد وحكومة السلط وحكومة الكرك . لذلك الامير عبدالله العمل بتوحيد المقاطعات الثلاث واختار مدينة عمان لتكون عاصمة لامارته وفي ١١ نيسان ١٩٢١ شكل اول مجلس للوزراء ، وعين رشيد طليع رئيساً لهذا المجلس الذي سماه مجلس المشاورين ومنحه لقب الكاتب الاداري ومن بين المشاورين ، اضافة الى رشيد طليع ، حسن الحكيم وامين التميمي وعادل ارسلان ونبيه العظمة ورشدي الصفدي وخيرالدين الزركلي وسامي السراج وخالد الحكيم ومعظمهم من قادة حزب الاستقلال السوري ، الذين تركوا سوريا ، وطردوا منها على ايدي السلطات الفرنسية . وبعد ستة ايام من تاليف الحكومة الجديدة . زار السيرهربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين مدينة عمان يرافقه السيروندهام ديدز السكرتير العام لحكومة فلسطين واللورد ادوارد هنري والكولونيل لورنس ، من اجل المشاركة في تأسيس الادارة الجديدة . وقد عين المندوب السامي ، جولبوس ابرامسن Abramson رئيساً للممثلين البريطانيين . كما عين سبعة مستشارين سياسيين بريطانيين لمساعدة الامير والاشراف على سير الادارة الجديدة وفي آب ١٩٢١ قدم رشيد طليع استقالته ، كما اقيل عدد من الموظفين المنتسبين الى حزب الاستقلال وذلك في اعقاب توتر العلاقات بين شرقي الاردن وسلطات الانتداب الفرنسي في سوريا اثر محاولة اغتيال المندوب السامي الفرنسي الجنرال غورو في ٢٣ حزيران ١٩٢١ واتهام الاردن بتدبير المحاولة والطلب من الحكومة الاردنية تسليم المتهمين بالحادث ، الا ان الحكومة الاردنية رفضت الطلب . وقد عهد الى مظهر ارسلان بتأليف المجلس الوزاري الجديد الذي اطلق عليه « مجلس المستشارين » .

لقد كان للدولة الجديدة مقومات قليلة تبني نفسها عليها ، فالبلاد فقيرة ومتخلفة ومعظم افراد السكان من المزارعين او البدو والرحل ، واضطر الامير ان يقيم في الخيام على رابية ماركا فترة من الزمن ، ولم يكن هنالك طرق معبدة ولا ارصفة ولا شبكة مياه ، ولاكهرباء ولااتصالات هاتفية . وكان الفريق العامل مع الامير قليل الخبـرة ، حتى ان مجلس المستشارين نفسه لم يكن يضم سوى اردني واحد في بدايته . وكانت معظم المساعدة البريطانية تصرف على تطوير القوة العسكرية التي انشئت لحفظ الامن في البلاد ، وعرفت تلك القوة باسم الجيش العربي ، وكان قائدها الكابتن بيك captain Peake ضابط بريطاني وفي سنة ١٩٢٨ صار الجيش العربي مؤلفاً من (٨٥٩) فرداً منهم ٥٣٥ من اصل اردني والبقية سوريين وفلسطينيين . وكانت نفقات الجيش في بدايته تشكل

نسبة عالية من النفقات العامة وبنسبة تتراوح بين ٣٢ و٥١ بالمئة ويدل هذا الرقم في بلد فقير كالاردن على الاهمية البالغة التي كانت تعلقها بريطانيا على هذا الجيش في فترة تأسيس الامارة. وفي سنة ١٩٢٦ استحدثت قوة جديدة باسم «قوة حدود شرقي الاردن» وفي تشرين الثاني ١٩٣٠ تأسست قوة البادية، وكانت بقيادة جون باجوت كلوب Clubb الملقب بـ(كلوب باشا). وفي سنة ١٩٣٦ اصبح كلوب باشا قائدا للجيش الاردني.

وافقت عصبة الامم في ٢٣ ايلول ١٩٢٢ على مذكرة بريطانية تستثني شرقي الاردن من نصوص صك الانتداب على فلسطين. وهكذا تم الاعتراف الدولي بامارة شرقي الاردن. وتبع ذلك في ٢٥ ايار ١٩٢٣ اعتراف بريطانيا الرسمي باستقلال شرقي الاردن وقد نظمت العلاقة بين الطرفين بمعاهدة وقعت في ٢٠ شباط ١٩٢٨، وتضمنت المعاهدة تعيين معتمد بريطاني في عمان، يمثل حكومته وينوب عن المندوب السامي في فلسطين، ويمثل حكومة شرقي الاردن في علاقاتها الخارجية. كما تضمنت نصوصا اخرى خاصة بالشؤون المالية والعسكرية وامتيازات الاجانب، وتقديم كافة التسهيلات لتحركات القوات البريطانية، الى غير ذلك من النصوص القاسية التي تكبل الامارة بالقيود والالتزامات. وفي ١٦ نيسان ١٩٢٨ صدر الدستور الاردني الذي تألف من (٧٢) مادة، تتضمن النظام الاساسي للامارة، وينص الدستور على ان السلطة التشريعية مخولة للامير عبد الله ولورثته الذكور من بعده، يعاونه مجلسان احدهما تنفيذي مكون من خمسة اعضاء والآخر تشريعي مكون من ستة عشر عضواً ينتخبون على درجتين. وبالرغم من النصوص القاسية في المعاهدة الاردنية – البريطانية فقد صادق عليها المجلس التشريعي في ٤ حزيران ١٩٢٩.

واجهت المعاهدة، معارضة شديدة من القوى الوطنية الاردنية ففي ٥ تموز ١٩٢٨ اجتمع الوطنيون في مؤتمر عام انكروا فيه المعاهدة ووضعوا ميثاقاً وطنياً، دعا البلاد الى التمسك به، وخلاصته التمسك باستقلال الامارة، كدولة عربية ذات سيادة. كما تقدموا بمذكرة احتجاج الى المندوب السامي البريطاني عند زيارته عمان في نهاية السنة ١٩٢٨. وفي ١٠ نيسان ١٩٢٩ تأسس حزب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الذي ضم عناصر من المثقفين وزعماء العشائر لكن الامير عبد الله افسح المجال لقوى سياسية اخرى طغت على اهدافها مفاهيم ونزعات عشائرية اقطاعية منها حزب التضامن الاردني الذي اعلن عن نشاطه في اذار ١٩٣٣ وكان يؤكد على النظرة الاقليمية الاردنية وخاصة في مجال اشغال المناصب.

ومهما يكن من امر فقد توالت احتجاجات الوطنيين على المعاهدة، وحين دعت الحكومة الى اجراء الانتخابات قرروا مقاطعتها، وقد استفاد الوطنيون من احداث ثورة ١٩٣٦ في فلسطين لكي يشددوا في عدائهم للنفوذ البريطاني لذلك اعلنت وزارة المستعمرات البريطانية سنة ١٩٣٦ انها توافق على ان يكون للامير مجلس وزراء مسؤول امامه بدل مجلس المستشارين القائم. كما صرحت له بحق التمثيل القنصلي في بعض الاقطار العربية المجاورة. وفي ١٩٣٩ الغيت من المعاهدة البنود التي تحول دون توسيع الجيش وتحديثه. كما عدل القانون الاساسي الاردني في الخامس من آب ١٩٣٩ وبما يضعف، الى حدما، من رقابة المعتمد البريطاني ويزيد في الوقت نفسه من صلاحيات الامير.

تأسست الوزارة الاردنية الجديدة في ٦ آب ١٩٣٩ برئاسة توفيق ابو الهدى وكان رئيساً للمجلس التنفيذي فأصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية. وقد استمر في منصبه برغم العديد من التغييرات التي تناولت اعضاء وزارته حتى تشرين الاول ١٩٤٤ حين خلفه سمير الرفاعي. وفي ٢٥ ايار ١٩٤٦ اجتمع المجلس التشريعي الاردني، بعد عقد معاهدة الصداقة والتحالف الاردنية – البريطانية لسنة ١٩٤٦ والتي حلت محل معاهدة ١٩٢٨ لتتخذ قرار اعلان البلاد الاردنية دولة مستقلة استقلالاً تاماً وذات حكومة ملكية وراثية نيابية. وفي اليوم ذاته توج الامير عبد الله في عمان ملكاً على الاردن باسم ملك المملكة الاردنية الهاشمية وعند ذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الاردن الحديث.

المملكة العربية السعودية :

اشرنا فيما سبق الى ان نجد كانت مركزاً لظهور حركة تجديدية عربية منذ اواخر القرن الثامن عشر عرفت بالحركة الوهابية. وقد ذكر بان هذه الحركة تستهدف العودة بالعرب والمسلمين الى الاسلام بصورته الاولى وطهارته ونقائه ووحدانيته بعد ان شابته الوان متعددة من الشرك. وقد استطاع مؤسس الحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣– ١٧٩٢) الاتفاق مع امير الدرعية محمد بن سعود سنة ١٧٤٤ للعمل في سبيل الدعوة واظهارها. وقد مثل هذا الاتفاق مرحلة فاصلة في حياة الدعوة وتحولها الى حركة دينية – سياسية وكان بمثابة الاساس الذي قامت عليه الدولة السعودية الاولى التي اتسعت بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٩٢ لتشمل الاحساء ومناطق كبيرة من الساحل

الغربي للخليج العربي وعمان . وبعد اقل من عشرين سنة من وفاته اصبحت تمتد الى حدود الشام والعراق شمالاً حتى اواسط اليمن جنوباً ومن البحر الاحمر غربا حتى الخليج العربي واواسط عمان شرقاً . ولم يخرج عن نفوذها في جزيرة العرب الا اجزاء قليلة ، وقد ادى هذا الامتداد الى ظهور احتمالات التدخل الخارجي ضدها . وكان لاشراف مكة دور كبير في تحريض السلطة العثمانية عليها . وقد اوعزت الدولة العثمانية الى محمد علي باشا والي مصر (١٨٠٥–١٨٤٨) للقضاء على الدولة السعودية فتقدمت قواته في اواخر ايلول ١٨٣٨ للتغلغل في الاراضي النجدية واضطر الامير فيصل بن تركي الى الاستسلام بعد ان تراجع الى آخر معقل لديه عند مدينة دلم فنقل الى القاهرة في كانون الاول ١٨٣٨ .

الا ان الحركة سرعان مابعثت من جديد بعد انقضاء اقل من قرن من الزمان على يدي عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود (١٨٧٦– ١٩٥٣) . ويبدو ان الاثر الذي تركته الدعوة الوهابية فى نفوس سكان وسط الجزيرة العربية كان اقوى مما توقع خصومها . لذلك تجاوب اولئك السكان مع عبد العزيز الذي اراد بعث الدولة السعودية من جديد . وكان لظروف انقسام شبه الجزيرة وتوزع ولاءاتها السياسية ، وخاصة عند اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بين امارات عديدة اثر كبير في سيادة الاتجاه الذي يدعو الى الوحدة . ولعل من ابرز هذه الامارات امارة حائل ويحكمها آل الرشيد في جبل شمر وامارة عسير ويحكمها السيد محمد الادريسي ومملكة الحجاز وعلى رأسها الملك حسين في مكة . لذلك اخذ الامير عبد العزيز بن سعود على عاتقه مهمة اعادة ملك الوهابيين وتوسيع امارة نجد والسيطرة على الجزيرة والعمل على توحيدها . وقد استفاد عبد العزيز من فرصة الخلاف بين امراء الكويت وامراء شمر ، واخذ يعد نفسه لاستعادة الرياض . ويذكر المؤرخون ان قصة سيطرته على الرياض التي اسسها جده الكبير تركي اشبه ماتكون باسطورة من اساطير البطولة القديمة ، حيث لم يكن معه اكثر من اربعين مقاتلا . وفي المسجد الجامع بالرياض بويع عبد العزيز بعد هزيمة آل الرشيد في مطلع سنة ١٩٠٢ حاكما على نجد واماما للوهابيين . كما اغار على ميناء العقير على الخليج العربي وبسط سلطانه على منطقة الاحساء المهمة مستفيدا من انشغال العثمانين سنة ١٩١٣ في الحروب البلقانية .

وخلال الحرب العالمية الاولى ، وعد الامير عبد العزيز الحكومة البريطانية للوقوف على الحياد المشرب بالود نحوهم كما ابرم معهم معاهدة القطيف في ٢٦ كانون الاول سنة ١٩١٥ . وفي هذه المعاهدة اعترف الانكليز له بان نجد والاحساء والقطيف وتوابعها هي « بلاد عبد العزيز وأبائه من قبل » . كما اعترفوا به حاكما عليها « مستقلا ورئيسا مطلقا على قبائلها ، وبابنائه وخلفائه بالارث من بعده » . وحين انتهت الحرب العالمية الاولى ، اصطدم بالهاشميين في الحجاز في موقعة تربة الواقعة على الحدود بين بلديهما في ١٩ أيار ١٩١٩ . وفي هذه الموقعة اصبح الطريق مفتوحاً امام السعوديين نحو الحجاز.

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩٢١ اجتاحت القوات السعودية حائل ، وبذلك تخلص الامير عبد العزيز من خطر آل الرشيد ، وبعد عودته الى الرياض ظافرا ، صار يلقب بسلطان نجد وملحقاتها . وقد امتدت حدود نجد الجديدة شمالا ، واصبحت تتأخم العراق وشرقي الاردن وسوريا . ولما لم تكن الحدود قد خططت بعد ، فقد استطاع ان يمد ملكه شرقا الى وادي الرماح ، وغربا الى وادي السرحان .

وبعد فشل مؤتمر الكويت الذي انعقد سنة ١٩٢٣ لتصفية التراع بين الهاشميين والسعوديين ، قرر ابن سعود السيطرة على الطائف . واعتقد الملك الحسين ان تنازله عن العرش لابنه الامير علي في ٣ تشرين الاول ١٩٢٤ ومغادرته الحجاز بعد ايام الى العقبة قد ينقذ مملكته من الزحف السعودي ، الا ان السعوديين قرروا التقدم صوب مكة ، وحين رأى الملك علي انه لايستطيع المقاومة انسحب الى جدة فدخل السعوديون مكة في ١٣ تشرين الاول ١٩٢٤ ثم حاصروا جدة واستولوا عليها واصبح الحجاز كله في ايديهم وفي ٨ كانون الثاني ١٩٢٦ نودي بالسلطان عبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز واصبح يدعى ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وفي ٢٩ آب ١٩٢٦ اصدر الملك عبد العزيز دستوراً نص على ان مملكة الحجاز بحدودها المعروفة هي واحدة وغير قابلة للتجزؤ وهي

مملكة دستورية اسلامية لها استقلالها الداخلي والخارجي وعاصمتها مكة . ونص الدستور على ان يكون هناك ستة وزارات : للاديان والداخلية والخارجية والمعارف والمالية والجيش . وينشأ في العاصمة مجلس للشورى باسم المجلس الكبير يتألف من نائب الملك ومستشاريه ومن ستة اشخاص يعينهم الملك . ويجتمع هذا المجلس مرة في كل اسبوع . او اكثر اذا اقتضى الامر ويصدر قراراته بأكثرية الاصوات وقراراته تعد مرعية بعد موافقة الملك عليها ويكون في كل من جدة والمدينة مجلس ادارة ويكون في كل ناحية وقرية وقبيلة مجلس يعنى بالشؤون المحلية وبعد ضم عسير التي كان يحكمها الحسن الادريسي في سنة ١٩٣٠ ، اصدر ابن سعود مرسوما في ٢٢ ايلول ١٩٣٢ يعلن فيه توحيد اقاليم مملكته بالاسم الجديد وهو المملكة العربية السعودية . وقد بذل الملك عبد العزيز جهودا كبيرة في تحديث دولته وتحقيق الامن والاستقرار فيها . وكان لاكتشاف النفط اثره الكبير في تنفيذ مشروعات تحديث الحياة في السعودية وخاصة في ميدان التعليم والصحة والمواصلات . اما على صعيد العلاقات الخارجية فقد ابرم مع تركيا في آب ١٩٢٩ معاهدة صداقة وتعاون . كما ابرم مثلها مع ايران في الشهر نفسه . وفي ٧ نيسان ١٩٣١ وقع مع العراق معاهدة صداقة وحسن جوار . واقرت معاهدة الطائف في ٢٣ حزيران ١٩٣٤ الحدود بين اليمن والسعودية . وفي ٧ ايار ١٩٣٦ عقد اتفاقية للصداقة مع مصر اعترفت بموجبها مصر بالمملكة العربية السعودية . اما الحدود الشرقية مع الكويت فقد تم الاتفاق بشانها في معاهدة ١٩٤٢ التي وقعت بين السعودية والحكومة البريطانية (ممثلة لشيخ الكويت) .

المملكة المتوكلية اليمنية :

اشرنا في الفصل الاول الى ان حركة الاصلاح العثمانية وجدت طريقها الى اليمن منذ اواخر القرن التاسع عشر . لكن هذا لم يمنع الائمة الزيدية من تثبيت سلطتهم في بعض مناطق اليمن .. وكان الامام يحيى حميد الدين قبيل الحرب العالمية الاولى قد نجح في اجبار العثمانيين على الاعتراف به اماما لليمن في تشرين الاول ١٩١١ مستفيداً من انشغال الدولة العثمانية بالحرب مع ايطاليا اثر غزوها ليبيا في ١٩١١ . وقد تضمن الصلح الذي عقد بين الامام والقائد العثماني عزت باشا على ان يستأثر الامام بحكم الجهات التي يدين اهلها بالمذهب الزيدي ، ويعين حكامها مع اعترافه بسيادة الدولة العثمانية ، وقيام محكمة في صنعاء يختار الامام رئيسها واعضاءها تستأنف اليها الشكاوي التي يتقدم بها الامام . وترسل احكامها الى استانبول مباشرة للتصديق عليها . كما نص الصلح على ان للامام الحق في الشكوى الى الوالي من الموظفين العثمانيين الذين يسيئون استخدام سلطتهم وله حق الوصاية والنظر في شؤون الاوقاف ، وان تخضع جباية الاموال لاحكام الشرع ، وعلى الامام ان يدفع العشور عن المناطق التي يليها الى الحكومة العثمانية .

وخلال الحرب العالمية الاولى ، وقف الامام الى جانب الدولة العثمانية ، وكان على عكس الشريف حسين لايثق بالاجانب ويرى ان اطماعهم الاستعمارية هي التي تدفعهم الى الاتصال بقادة العرب وزعمائهم وكان من الطبيعي ان يقف ضد الانكليز الذين كانوا يحتلون الجزء الجنوبي من اليمن والمتمثل بعدن منذ سنة ١٨٣٩ ، كما انهم بسطوا سيطرتهم على الجنوب العربي ، تلك المنطقة التي كان يعدها امام اليمن جزءاً من بلاده . وقد عاون الامام يحيى القوات العثمانية في حملتها على القواعد البريطانية في عدن والمحميات ، ورد الانكليز على ذلك بضرب المدن اليمنية من الجو ، ولم يتوقف الانكليز عند هذا الحد بل احتلوا الحديدة واللحية وسلموها لمنافسه الادريسي الذي الحقها بامارته في عسير سنة ١٩٢١ . وقد استغل الامام فرصة وفاة السيد محمد الادريسي سنة ١٩٢٣ ومانشب من خلاف بين افراد الاسرة حول الحكم في امارة عسير ، فضم الى اليمن جزءاً كبيراً من اراضي عسير الجنوبية وجزء من الساحل يدخل فيه ميناء الحديدة ، لذلك استنجد السيد الحسن الادريسي بابن عبدالعزيز ، فاستجاب له وعقد معه معاهدة مكة في ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٦ واصبح بذلك يتمتع بحماية آل سعود . وفي ١٩٣٠ ضمت عسير الى الاراضي السعودية فكان ذلك سبباً للنزاع بين الطرفين والذي وصل الى حد الاصطدام المسلح . وكان من نتائج الاصطدام تقدم القوات السعودية الى حدود تهامة والسيطرة على ميناء الحديدة . وبعد تدخل زعماء العرب توقف القتال ووقع الطرفان معاهدة

اطلق عليها « معاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية » في الطائف في ٢٣ حزيران ١٩٣٤ نصت على انسحاب القوات السعودية من جميع الاراضي التي كانت لليمن وفي مقدمتها لحية والحديدة . وفي السنة التالية قامت لجنة مشتركة ووضعت الحدود بين الدولتين .

انصرف الامام يحيى بعد ذلك لتوطيد استقلال اليمن ووحدته . وقد قامت سياسته على قاعدتين اولاهما دعم الاستقرار الداخلي وثانيهما الاعتزال باليمن وابعادها عن اي ارتباط خارجي يمنح الدول الاجنبية امتيازاً فيها لكن ذلك لم يمنعه من عقد الاتفاقيات التجارية مع بعض البلدان الاجنبية . ففي ١٩٢٦ عقد مع ايطاليا وروسيا اتفاقيتين تجاريتين . اما في ١٩٣٤ فقد عقد مع بريطانيا معاهدة صداقة اعترفت بموجبها بريطانيا باستقلال اليمن وسيادته الكاملة المطلقة وحددت مدتها بأربعين سنة . ومع ذلك فالمعاهدة لم تسو اوجه الخلاف بين الدولتين بشأن الحدود الجنوبية بين اليمن ومستعمرة عدن . وانما اتفق الطرفان على الاحتفاظ بالوضع القائم حتى يتفق كلا الجانبين بشأنها في مفاوضات مستقبلة . واكثر مااشتملت عليه المعاهدة كان خاصاً بتأمين الاشخاص والسفن والبضائع التي لكل من الطرفين لدى الطرف الآخر . وعلى الرغم من ابرام المعاهدة بين الجانبين فان العلاقات بينهما ظلت متوترة بسبب عدم الاتفاق على الحدود بين اليمن ومحمية عدن . ولم تبعث بريطانيا الى اليمن بمن يمثلها واكتفت بان يكون حاكم عدن هو السلطة البريطانية العليا في المنطقة .

وفي ١٩٣٦ جدد امام اليمن معاهدته مع ايطاليا . وقد اصبح لايطاليا بعد عقد هذه المعاهدة مصالح اقتصادية ، اذ تدفقت صادراتها الى اليمن وبعثت بعدد كبير من مهندسيها واطبائها وخبرائها في الشؤون المختلفة . حتى وصل عددهم قبيل الحرب العالمية الثانية نحو اربعين شخصاً .

وحين قامت الحرب ، حاول امام اليمن المحافظة على استقلال بلاده ولم يسارع الى قطع علاقاته مع ايطاليا رغبة منه في ايجاد التوازن مع الوجود البريطاني في الجنوب ولكن إثر موقعة العلمين وارتداد الالمان امام موسكو رضخ الامام يحيى لضغط الحلفاء ، واعتقل في سنة ١٩٤٣ الخبراء الطليان والالمان الذين كانوا يعملون في اليمن انذاك . ثم قطع اليمن علاقاته بدول المحور كما فعلت معظم الاقطار العربية وقد عد تأخر الامام في قطع العلاقات مع ايطاليا حتى سنة ١٩٤٣ دليلاً على ميله الى المحور ، ويعلق الدكتور صلاح العقاد على ذلك بقوله ان هذا التفسير يدل على عدم تفهم الحلفاء لحرية الاقطار العربية المستقلة في رسم سياستها الخارجية . لهذا السبب لم يدع اليمن الى مؤتمر سان فرانسيسكو ولكنه ضم الى هيئة الامم المتحدة بعد تكوينها بقليل .

هذه الانتفاضات والثورات سواء كانت ذلك من خلال الاحزاب الوطنية والقومية التي تشكلت خلال تلك الفترة أو من خلال تنظيمات الضباط الاحرار ومن هذه الثورات :
ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر وثورة ١٩٥٤ في الجزائر وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فـي العراق وثورة ١٩٥٨ في لبنان والثورة الارترية ١٩٦١ وثورة ١٩٦٢ في اليمن وثورة اليمن الجنوبي ١٩٦٣ والثورة الفلسطينية ١٩٦٥ .

ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر :

اشرنا في الفصل السابق الى ان فاروق خلف اباه الملك فؤاد في حكم مصر عشية الحرب العالمية الثانية . وقد عرف فاروق بعدائه للوفد وللحكم النيابي . ويبدو ان حزب الوفد نفسه قد بدأ يواجه ازمات عديدة في عهد الملك فاروق ، وقد ساعدت تلك الازمات فاروق نفسه على تجاوز الوفد . وتمثلت تلك الازمات بعجز الوفد عن تنظيم الجماهير وعدم قدرته على تبني برنامج (اصلاحي يفي بحاجات البلاد) وسبب ذلك يرجع الى عدم وجود انسجام في تكوينه الطبقي من جهة واعتماده على عدد كبير من الملاك والتجار بين اتباعه في الحصول عـلى مقاعد برلمانيـة والوصول الـى السلطة .

هذا فضلاً عن ان سنوات الحرب العالمية الثانية شهدت تطورات لم يدرك حزب الوفد جميع دلالاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فقد زادت الهوة نتيجة للحرب بين الاغنياء والفقراء. فبين سنتي ١٩٤٠ و١٩٤٤ ارتفع عدد اصحاب الملايين في مصر من ٥٠ الى ٤٠٠ . وازدادت الودائع في البنوك خلال السنوات الثلاث الاولى فـي تلك الفترة من ٤٥ الى ١٢٠ مليوناً من الجنيهات . لـكن التضخم المالي وما استتبعه من غلاء في الاسعار لم يجر معه ارتفاع في اجور العمال ، وخاصة اجور الفلاحيـن وفي رواتب الموظفين . وقد جر انتهاء الحرب معه انتشار البطالة بشكل كبير .

اتجه الملك فاروق خلال الحرب العالمية الثانية الى التعاطف مع قوى المحور. لذلك أقدم الانكليز سنة ١٩٤٢ على التدخل واجبار الملك على تكليف مصطفى النحـاس زعيم الوفد بتشكيل الوزارة في حادثة عرفت في التاريخ المصري الحديث بـ (حادثة ٤ فبراير) وملخص هذه الحادثة قيام الدبابات البريطانية بمحاصرة مقر الملك فاروق في قصر عابدين ودخول السفير البريطانـي السير مايلز لامبسون عليه واجباره على اسناد الحكم الى حزب الوفد لسببين اولهما انه كان يمثل انذاك القوى المعادية لدول المحور

وثانيهما ان الوفد هو الذي توصل الى معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا . ويذكر طارق البشري في كتابه الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢ » ان للطريقة التـي فرضت بها حكومة الوفد على القصر اثرها لا في تفاقم العداء بين الملك والوفد فقط ، ولكن في ادراك الملك لما يمكن ان ينجم من خطر شديد على نفوذه من جراء سياسة تؤيد بها بريطانيا الوفد ذي العداء التقليدي للملك . لذلك ما ان قاربت الحرب على الانتهاء حتى بادر الملك الى اقالة وزارة النحاس في ٨ تشرين الاول ١٩٤٤ . ومنذ ذلك الوقت اعتمد الملك في حكمه على احزاب الاقلية المعبرة عن مصالح كبار الرأسماليين وملاك الارض. فكلف احمد ماهر رئيس حزب السعديين بتأليف وزارة تمثل فيها كافة احزاب الاقلية السعديون والاحرار الدستوريون والكتلة والحزب الوطني ، على ان يحل البرلمان الوفدي وتجرى انتخابات جديدة . وكان الهدف من ذلك تكتيل القوى الرجعية استعداداً لفترة مابعد الحرب وتصدياً للحركة الوطنية المتوقعة .

لقد انطوت حادثة فبراير على اهانة للمصريين وجرح لكرامتهم . وظلت هذه الحادثة جرحاً في قلوب ضباط الجيش الذين اكدوا بانها كانت عاملا اساسياً في تكوين تنظيم الضباط الاحرار . وكانت الفترة مابين ١٩٤٥ وحرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فترة تنظيم وتجنيد للاحرار من الضباط الذين وجدوا في البكباشي (المقدم) جمال عبد الناصر طاقة محركة هائلة النشاط . واخذ هؤلاء الضباط يوزعون المنشورات لنشر افكارهم وحفز همم الاخرين . وجاء في احدها : « ان هيئة الضباط الاحرار تطالب بان تكون مهمة الجيش هي تحقيق استقلال البلاد ، ولانقبل ان يستعمل الجيش للقضاء على الحركات الوطنية » .

كان الوطنيون المصريون ينتظرون من بريطانيا ان تعيد النظر في معاهدة ١٩٣٦ باعتبارها قد استنفذت اغراضها . وفي ٢٣ ايلول ١٩٤٥ اصدر مجلس الوزراء المصري بيانا اشار فيه الى ان حقوق مصر الوطنية كما اجمع عليها رأي الامة واعلنتها الحكومة هي جـلاء القوات البريطانية عن مصر وتحقيق وحدة مصر والسودان غير ان الحكومة البريطانيـة ردت على المذكرة بقولها ان المباديء الاساسية التي قامت عليها تلك المعاهدة سليمة في جوهرها . ولم يكد يذاع هذا الرد حتى عمت المظاهرات البلاد واستمرت منذ ٩ شباط وحتى ٢١ من الشهر ذاته ، وذهب ضحيتها ٣٣ قتيـلاً مـن المتظـاهـريـن .

حاولت بريطانيا انتهاج اسلوب الترضية ، فسحبت سفيرها لامبسون وأجلت قواتها عن قلعة القاهرة وسلمتها للجيش المصري ثم دخلت في مفاوضات مع حكومة اسماعيل

صدقي لاعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦ انتهت الى عقد اتفاق صدقي – بيفن في ٢٦ تشرين الاول ١٩٤٦ نص على قيام تحالف عسكري بين مصر وبريطانيا . وان يتعهد الطرفان بالا يشتركا في اي حلف موجه ضد احدهما . وتعهدت بريطانيا بالجلاء عن مصر في موعد اقصاه الاول من ايلول ١٩٤٩ .

واجه الاتفاق معارضة شديدة اضطرت على اثرها وزارة صدقي الى الاستقالة . وقد تشكلت وزارة جديدة برئاسة محمود فهمي النقراشي التي واجهت ظروف الحرب العربية الفلسطينية في سنة ١٩٤٨ ومساهمة الجيش المصري في هذه الحرب . وهو مزود باسلحة غير صالحة للقتال . وازاء فشل النقراشي . تشكلت وزارة جديدة برئاسة حسين سري التي اجرت انتخابات جديدة فاز حزب الوفد بالاغلبية فيها ، مما اهله لتأليف وزارة وفدية برئاسة مصطفى النحاس في كانون الثاني ١٩٥٠

اقدمت حكومة الوفد على الغاء معاهدة ١٩٣٦ من جانب واحد وذلك في ٦ تشرين الاول ١٩٥١ . كما اعلنت قيام وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري . وقد رافق الغاء المعاهدة واعلان الوحدة تنام في النشاط الوطني خاصة بعد ان قدمت بريطانيا مذكرة الى الحكومة المصرية عارضت فيها الغاء المعاهدة وحملت الحكومة المصرية مسؤولية ما قد يترتب على ذلك من احداث او اضرار في الارواح والممتلكات البريطانية وفي هذه الاثناء احتدمت « معركة القنال » ضد الجنود البريطانيين وبلغت اوجها في كانون الثاني ١٩٥٢ عندما هاجم الفدائيون المصريون في وضح النهار حامية التل الكبير ونسفوا مخزنا للذخيرة . وقد وجد الملك فاروق ان هذه التطورات الجديدة تشكل تهديداً خطيرا لمركزه ، فاخذ يعمل على التخلص من الوفد . وكانت مؤامرة حريق القاهرة في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢ احدى الاساليب التي استخدمت لتحقيق هدف الملك . فبعد سقوط ما يزيد عن سبعين قتيلا ومئة جريح في صدام مع القوات البريطانية ، خرجت مظاهرات كبيرة في ٢٦ كانون الثاني ، ولم يكد النهار ينتصف حتى اخذت السنة النيران تمتد الى مباني القاهرة واحداً بعد الاخر . وكان ينتظران يهرع الجيش والشرطة الى التدخل ، لكن مضت ساعات قبل ان تصدر الاوامر من الملك بالتدخل ، لذلك فقد اتهم الملك بانه كان وراء تدبير حادثة الحريق وبالتواطؤ مع الانكليز .

حاولت الحكومة معالجة الوضع ، فاعلنت الاحكام العرفية وفرضت حظرا على التجول في القاهرة ، وقررت تعطيل الدراسة ، لكنها فشلت في السيطرة على الامر ، وقد استفاد الملك فاروق من ذلك فاقصى حكومة الوفد عن الحكم . وتميزت الفترة التي

اعقبت سقوط حكومة الوفد بازدياد تردي الاوضاع في مصر وتصاعد اضطهاد الحركة الوطنية ، وتجاه ذلك كله قرر الضباط الاحرار ان يأخذوا زمام المبادرة بيدهم . وفي صبيحة يوم ٢٣ تموز ١٩٥٢ استمع المصريون الى اول بيانات الثورة من الاذاعة المصرية . وقد جاء في البيان ان مصر « اجتازت فترة عصيبة في تاريخها من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش . وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين . واما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش . وتولى امره اما جاهل او فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير انفسنا ، وتولى امرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وخلقهم وفي وطنيتهم . ولا بد ان مصر كلها ستلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب ... ان الجيش اليوم كله اصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجردا من اية غاية » .

وفي ٢٦ تموز ١٩٥٢ انذر الضباط الاحرار الملك فاروق بضرورة التنازل عن العرش ومغادرة الاراضي المصرية . ولم يكد ينتصف نهار يوم ٢٦ تموز حتى وقع الملك وثيقة التنازل لابنه الامير احمد فؤاد ، وفي الساعة السادسة من اليوم ذاته غادر مصر الى ايطاليا . وفي ١٠ كانون الاول ١٩٥٢ اعلن محمد نجيب الغاء دستور ١٩٢٣ وتولي حكومة انتقالية للسلطة . وفي ٢٢ من الشهر ذاته صدر مرسوم ينص على محاكمة المسؤولين عن استغلال النفوذ وفساد الحكم . واجريت محاكمة عدد من المتهمين . وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٥٣ صدر قانون بحل الاحزاب السياسية . وفي العاشر من الشهر التالي اعلن الدستور المؤقت ، ونص على تولي مجلس الثورة بالاشتراك مع مجلس الوزراء مهمة الحكم . وفي الثالث والعشرين من الشهر ذاته ، اعلنت الثورة قيام « هيئة التحرير » لتحل محل الاحزاب المنحلة وكان من اهداف هذه المنظمة اجلاء القوات البريطانية واقامة نظام اجتماعي يكفل حماية المواطن من البطالة والمرض والشيخوخة . ونظام اقتصادي يكفل توزيع الثروات بشكل عادل ونظام سياسي يكفل المساواة امام القانون . وفي ٢٧ نيسان ١٩٥٤ بدأت المفاوضات المصرية – البريطانية التي انتهت حين وقع الطرفان يوم ٩ تشرين الاول ١٩٥٤ معاهدة نصت على جلاء القوات البريطانية عن الاراضي المصرية خلال عشرين شهرا من توقيع الاتفاق . وقد اقرت الحكومتان في هذه المعاهدة ان قناة السويس طريق يأتي له اهميته الدولية ولذلك فانهما يعربان عن تصميمهما على احترام الاتفاقية التي تكفل حرية الملاحة فيها والموقعة في استانبول سنة ١٨٨١ . كما احتفظت بريطانيا . بحق الحصول على بعض التسهيلات العسكرية من مصر في حالة

وقـوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على اي بلد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفا في معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية الموقع عليها في القاهرة في الثالث عشر من شهر نيسان ١٩٥٠ او على تركيا . وقد تم جلاء آخر فوج من القوات البريطانية عن مصر في ١٣ حزيران ١٩٥٦ .

اخذت حكومة الثورة بعد توقيع المعاهدة مع بريطانيا تستعد لمواجهة معركة البناء الداخلي فمنذ اعلان الجمهورية في ١٨ حزيران ١٩٥٣ واسناد رئاستها الى اللواء محمد نجيب ، جرت سلسلة من التطورات والازمات ، كان من ابرزها تنحية اللواء محمد نجيب عن رئاسة الجمهورية في ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٤ وتولي جمال عبد الناصر رئاسة مجلس الثورة ورئاسة مجلس الوزراء . وكان محمد نجيب يدرك منذ البداية حقيقة الدور الذي اراد رجال الثورة أن يسندوه اليه وهو أن يكون « واجهة » لهم. وقد أتضح ذلك منذ نجاحه في انتخابات مجلس ادارة نادي الضباط قبل الثورة ودعم الضباط الأحرار له ازاء منافسه الذي كان يحظى بتأييد الملك .

اتجه الرئيس جمال عبد الناصر لتعزيز الأستقلال الوطني لمصر وأخذ يركز على العمل في مجال الأنعتاق من دائرة النفوذ الغربي ، وتحرير مصر منه تحريراً تاماً خاصة بعد أن أتضح له بأن الغرب لن يتقدم الى مساعدة مصر الا بشروط وقيود . فأستطاع في مـدى حوالي سنتين أن يتحرر من التزاماته نحو بريطانيا بموجب معاهدة الجلاء ١٩٥٤ وأن يستولي على المؤسسات والشركات الأجنبية في مصر. وقد لعبت مصر في عهده دوراً كبيراً في ارساء سياسة عدم الأنحياز في العالم الثالث . ونجحت مصر في كسر أحتكار السلاح حين عقدت صفقات أسلحة مع الدول الأشتراكية ، وهكذا أصبح في وسع مصر بناء جيش قوي تعتمد عليه في الذود عن أستقلالها وتحقيق الأهداف القومية .

لقد أثارت السياسة العربية القومية لمصر ووقوفها الى جانب الحركات التحررية الوطنية في العالم وتبنيها سياسة الحياد وعدم الأنحياز ومقاومة الأحلاف والتكتلات العسكرية الغربية ردود فعل عنيفة لدى الأوساط الأستعمارية وخاصة بريطانيا وفرنسا اللتين أشتركتا في شن العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ بالتعاون مع الكيان الصهيوني في أعقاب قيام الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم شركة قناة السويس بعد أن أتخذت القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية قراراً بسحب موافقتها على تمويل بناء السد العالـي في مصر والضغط على البنك الدولي للأنشاء والتعمير بعدم المشاركة في هـذا المشروع الحيوي لمصر.

قاوم الشعب العربي في مصر العدوان الثلاثي وأحبطه . وقد فشلت المحاولات التي أستهدفت القضاء على نهج ثورة ٢٣ تموز القومي التقدمي وقد ألهب العدوان على مصر مشاعر الشعب العربي في كل مكان وكان الى جانب مصر في معركته تلك.. ومنذ ذلك الوقت بدأت المشاورات بين مصر وسوريا لأقامة الوحدة بينهما . وقد أنتهت تلك المشاورات في اول شباط ١٩٥٨ بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

ثورة ١٩٥٤ في الجزائر :

فشل المستعمرون الفرنسيون في التوغل داخل الاراضي الجزائرية بسبب تنامي قـوة حركة المقاومة . وكانت عناصر المقاومة تتخذ من الواحات المراكشية امثال توكلية وفجيج قواعد لها ، وكثيراً ما حاول المستعمرون التوغل عسكرياً داخل الصحراء ومقاومة القبائل العربية ، الا انهم كانوا يضطرون الى التراجع ، وكانت منطقة الجنوب الغربي الصحراوية من اكثر المناطق مقاومة للغزاة .

لم يتوقف الجزائريون عن النضال ، وفي مطلع القرن العشرين ، بدأ الوعي القومي العربي يتنامى بين الجزائريين وخاصة قبيل الحرب العالمية الاولى واثنائها . كما تعمقت روح النضال بين الشعب العربـي هناك فصمم على الاستقلال وتحرير الارض . وترجع اول محاولة سياسية قام بها الجزائريون للمطالبة . بحقوقهم المشروعة الى سنة ١٩١٢ حين قدم اربعة من الشبان المثقفين عريضة الى الحكومة الفرنسية يطالبون فيها برفع القوانين الاستثنائية واعطاء الجزائريين حقوقهم . كما تزعم احد احفاد الامير عبد القادر الجزائري وهو الامير خالد محي الدين ، وكان ضابطا في الجيش تنظيما سياسيا عرف باسم (وحدة النـواب الجزائريين) . واصدر جريدة ناطقة بلسان هذا التنظيم ، وهي جريدة (الاقلام) . وكان برنامج الامير خالد تتضمن المناداة بتحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين ، وان يمثل الجزائريون في المجلس الوطن الفرنسي ، وتأسيس جامعة في الجزائر وتطبيق التعليـم الالزامي . وبالرغم من الطابع الاصلاحي الذي تميز به البرنامج ، فان السلطات الفرنسية في الجزائر اتخذت اجراءات شديدة ضده ، منها ابعاد الامير خالد عن الجزائر فتلاشى اثر ذلك نشاط حركته تدريجياً منذ سنة ١٩٢٥ .

حاول بعض قادة الحركة الوطنية نقل نشاطهم الى داخل فرنسا فاسسوا فيها بعـض التنظيمات السياسية كما اصدروا صحفاً وطنية . ولعل من ابرز هذه التنظيمات منظمة اطلق

عليها اسم نجم الشمال الافريقي التي تأسست سنة ١٩٢٦ وغايتها العمل في سبيل استقلال المغرب العربي كله لذلك ضمت اعضاء جزائريين ومغاربة ولم يصرح مؤسسوها بغايتهم هذه بل قالوا ان هدفهم هو العمل على النهوض بسكان المغرب العربي والدفاع عن مصالحهم الوطنية . وحين انكشف امرها قررت السلطات الفرنسية مطاردة اعضاءها : فلجأ قادتها الى العمل السري فاصدروا سنة ١٩٣٠ جريدة (الامة) واخذوا يحرضون الجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي على التمرد . وقد نجح مصالي الحاج ، وهو احد قادة المنظمة في الاستفادة من وصول حكومة الجبهة الشعبية الى الحكم في فرنسا سنة ١٩٣٦ . فعاد الى الجزائر ليستأنف نشاطه الوطني فيها . وقد شهدت مدن الجزائر في هذه الفترة مظاهرات عارمة اتسمت بطابع العنف واسفرت عن وقوع العديد من الشهداء برصاص المستعمرين الفرنسيين . لذلك اسرعت الحكومة الفرنسية في ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٧ الى حل منظمة نجم شمال افريقيا . الا ان مصالي الحاج استطاع ان يؤسس في ١١ آذار ١٩٣٧ حزباً جديداً باسم حزب الشعب الجزائري الذي حظي بتأييد واسع من الشعب العربي في الجزائر. وقد نظم الحزب مهرجانات شعبية في الجزائر العاصمة في ١٤ تموز ١٩٣٧ اكدت عروبة الجزائر . وقد اعتقلت السلطات الفرنسية مصالي الحاج وحكمت عليه بالسجن لمدة عامين . كما اعتقلت عدداً من رفاقه . وقد استفادت السلطات الفرنسية من فرصة الحرب العالمية الثانية للقضاء على الحركة الوطنية في الجزائر وقمع كل شكل من اشكالها وعندما هزمت فرنسا سنة ١٩٤٠ خضعت الجزائر لحكومة فيشي ، التي اتخذت موقفاً عدائياً من نضال الشعب العربي في الجزائر . وبعد ان أعاد الحلفاء سيطرتهم على الجزائر منذ الثامن من تشرين الثاني ١٩٤٢ لم يطلقوا سراح قادة الحركة الوطنية الجزائرية رغماً عن ادعائهم بالوقوف الى جانب الشعوب في نضالها من اجل التحرر .

عمدت الحركة الوطنية الجزائرية الى تشكيل تنظيم سياسي باسم ، جمعية اصدقاء البيان والحرية ، في ١٤ آذار ١٩٤٤ . وقد ضم هذا التنظيم عناصر من حزب الشعب وجمعية العلماء الجزائريين التي يرجع تأسيسها الى سنة ١٩٣١ وكانت تستهدف الحفاظ على الشخصية العربية في الجزائر ازاء محاولة طمسها وتشويهها . وقد اهتمت الجمعية باللغة العربية وتاريخ الجزائر وتعرضت من جراء نضالها الثقافي الى اضطهاد شديد من لدن السلطات الفرنسية .

لقد نص برنامج جمعية اصدقاء البيان والحرية على الدعوة الى ، اقامة جمهورية جزائرية ذات استقلال ذاتي متحدة بجمهورية فرنسية متجددة ، . وحين ادركت السلطات الفرنسية خطورة الدعم الذي حصلت عليه الجمعية اسرعت الى حلها . وفي اعقاب القرار الذي صدر في فرنسا سنة ١٩٤٦ والمتعلق باجراء انتخابات جديدة والتمهيد لوضع دستور جديد . تأسس في الجزائر حزبان اولهما باسم : حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وزعامة فرحات عباس وهو من الزعماء الجزائريين الذين برزوا في العمل السياسي خلال الحرب . اما الحزب الثاني فكان باسم حزب انتصار الحريات الديمقراطية الذي اسسه مصالي الحاج والذي كان بمثابة واجهة لحزب الشعب الجزائري .

بدأت القيادات الوطنية الجزائرية تبحث عن اسلوب جديد في مواجهة الاستعمار الفرنسي خاصة بعد صدور دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة في ١٠ تشرين الاول ١٩٤٦ وهو ينص على ان الجزائر جزء من فرنسا . لذلك تشكلت جبهة الدفاع عن الحرية من القوى الوطنية المتمثلة آنذاك بحزب انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، وجمعية العلماء الجزائريين وغيرهم . وفي الاجتماع الذي عقدته الجبهة في الجزائر العاصمة في آب ١٩٥١ تم الاتفاق على تأسيس جمهورية جزائرية مستقلة . وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٥٤ اعلنت الثورة . وكانت الهجمات التي وجهت ضد القواعد العسكرية الفرنسية المنتشرة في معظم انحاء البلاد بمثابة البيان الاول . ولم يمض وقت طويل حتى ازداد عدد الثوار وتشكل جيش التحرير الوطني وجبهة التحرير الجزائرية وهي التنظيم السياسي الذي اصبح يتولى الاشراف على العمل العسكري . وقد تضمن برنامج الجبهة العمل على ايجاد دولة جزائرية ذات سيادة ونظام ديمقراطي اشتراكي مع احترام جميع الحريات الاساسية . ولم يغفل البرنامج استعداد الجزائر للدخول في مفاوضات مع فرنسا كتعبير عن رغبة الثوار في حقن الدماء وكسب الدول التي تساند القضية الجزائرية . وكان لتعاظم الثورة وانتشارها وقدرتها على كسب الشعب وجذب اهتمام الرأي العام العربي والدولي ، اثر كبير في العرض الذي تقدم به الجنرال ديغول في ٢٣ تشرين الاول ١٩٥٨ والذي سماه ، سلام الشجعان ، . وقد كرر ديغول في خطابه الذي القاه في ايلول ١٩٥٩ عرضه الذي يقوم على طرح ثلاثة حلول هي الاندماج مع فرنسا او الاستقلال التام او الاستقلال الذاتي مع الارتباط مع فرنسا . وفي حزيران ١٩٦٠ جرت مفاوضات غير رسمية بين حكومة ديغول وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية . وانتهت المفاوضات بالتوقيع على معاهدة ايفيان التي اتفق بموجبها على ايقاف اطلاق النار في الجزائر اعتباراً من ١٨ آذار ١٩٦٢ وباجراء استفتاء فيها . وفي الاول من تموز ١٩٦٢ جرى الاستفتاء واختار الجزائريون الاستقلال بـ ٥٩٧٥٥٨١ صوتاً بالموافقة في مقابل ١٦٥٣٤ بالرفض . وفي الثالث من تموز ولدت الجمهورية الجزائرية المستقلة بعد مائة واثنين وثلاثين سنة من الاحتلال .

ثورة ١٩٥٨ في العراق :

أشرنا فيما سبق الى ثورة مايس ١٩٤١ . وقلنا انها على الرغم من فشلها عسكرياً ، لعدم وجود التكافؤ بين القوات العراقية والقوات البريطانية في النواحي الفنية والعسكرية والتنظيمية الا انها تعد مرحلة مهمة من مراحل نضال الشعب العراقي من اجل التحرر والاستقلال . ولقد ابدت فصائل الجيش في هذه الثورة رغم امكاناتها المحدودة ضروباً في البسالة والتضحية وقدمت في سبيل الاستقلال الناجز العديد من الشهداء ، وصعد ابطال الجيش الى المشانق وهم يهتفون بحياة العراق والامة العربية .

لقد بذرت ثورة ١٩٤١ روح الثورة في الاقطار العربية الاخرى . فكانت حافزاً قوياً لثورة ٢٣ يوليو (تموز) في مصر سنة ١٩٥٢ . وبسبب اتجاهها القومي العربي عكست كذلك ، مدى الترابط النضالي الوثيق بين الشعب العربي في اقطاره المختلفة ومنها سوريا التي كون فيها « البعثيون الاوائل » « جمعية لنصرة العراق » مهمتها تجنيد الشباب وارسالهم الى العراق لمؤازرة الجيش والشعب اللذين كانا يخوضان معارك غير متكافئة ضد الانكليز واذنابهم . ومن خلال تلك الحركة استفادت تلك الطليعة المناضلة من مناسبة ثورة مايس ١٩٤١ في ابراز فكرة الوحدة العربية .

وفي كانون الثاني ١٩٤٨ عقدت بين العراق وبريطانيا معاهدة بورتسموث بدلا من معاهدة ١٩٣٠ . وقد تعهد العراق بموجب هذه المعاهدة بفتح حدوده ومطاراته وموانيه في أي وقت يشعر فيه بوجود ازمة دولية تهدد فيها سلامة بريطانيا . كما بقت القاعدتان الانكليزيتان في الشعيبة والحبانية على حالهما . ولكن الشعب العراقي ثار ضد معاهدة بورتسموث فسقط عشرات القتلى والجرحى . واجتاحت البلاد مظاهرات عنيفة ، كان من نتيجتها الغاء المعاهدة ، وهروب رئيس الوزراء صالح جبر الى لندن ، ثم جيء بمحمد الصدر الشخصية الدينية رئيساً للوزراء ، واجتاحت البلاد كلها بعد ذلك موجة ثورية وحصلت الحركة الوطنية على بعض المكاسب .

لقد ارتبط كفاح الحركة الوطنية بالقوات الوطنية العسكرية ارتباطاً وثيقاً . وكانت المظاهرات الشعبية تصفق لسيارات الجيش اذا مرت بها مما جعل رجاله ينظرون بعطف الى الجموع التي تقارع قوى الاستبداد المسلحة بقوة الايمان والعقيدة ، وبذلك اثبت الجيش مرة اخرى انه ليس غريبا عن قضية الشعب ، وليس اداة طيعة للاستعمار والرجعية

لقد ظهر فيما بعد ان مهمة الصدر ووزرائه كانت الالتفاف على الحركة الوطنية ، فالاستعمار الذي خسر في المعركة لم يكن ليسلم بهذه السرعة فكان لابد من اعادة الكرة من جديد ، فاستغلت الحرب الفلسطينية لفرض الاحكام العرفية ، ولتوجيه الضربات المتتالية للحركة الوطنية ، وباسم الاحكام العرفية فتحت السجون لتتلقف الوف جديدة من الوطنيين واغلقت النقابات والاحزاب وفرض جو أسود على الحياة العامة في البلاد .

ثم جاءت سنة ١٩٥٢ لتكون سنة حاسمة في بروز تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي على المستوى الجماهيري في اكثر من قطر . ففي العراق بدأت افكار الحزب تنتشر منذ سنة ١٩٤٧ بواسطة الطلاب المدرسين السوريين الذين كانوا يدرسون في العراق ، وكذلك من بعض الطلبة العراقيين الذين كانوا يدرسون في لبنان وسوريا . وقد تم تشكيل اول خلية في ١٩٤٧ ثم ازدادت الخلايا واصبحت تشكل فرقة وذلك سنة ١٩٤٩ واصبح التنظيم فرعاً في ١٩٥٢ . وقد اعترف بالتنظيم حزباً سياسياً من قبل القيادة القومية عندما اصبح فرعا ، وأخذ ممثله يجتمع مع القيادة القطرية في سوريا .

ولقد استهدفت أعمال الحزب الفتي في البداية ابراز أسمه لأشعار الجماهير ، وتدريب منتسبيه على المهمات والاعمال من خلال الممارسات . ولقد ساهم الحزب في الفعاليات السياسية . وحكمت عليه ظروف العمل السري العمل تحت اسماء مختلفة مثل الشباب العربي والاشتراكيين العرب . وقد اصدر الحزب بياناً بمناسبة اتفاقية النفط سنة ١٩٥٢ رفض فيه بشدة الاتفاقية ودعا الجماهير للنضال من أجل احباط كافة المشاريع الاستعمارية وقد لعبت بعض الكراريس امثال احاديث البعث العربي وذكرى الرسول العربي دوراً مهماً في نشر افكار الحزب . وفي ١٩٥٢ ونتيجة لتراجع الاحزاب الوطنية التقليدية عن أساليب المواجهة والتصدي ، برز الحزب قوة توزيع البيانات وتحرك الاضرابات وتنظم المظاهرات .

وفي انتفاضة تشرين الثاني الوطنية ١٩٥٢ لفت الحزب ، بدوره البارز ، أنظار السلطة الى وجوده ونشاطه فبدأت تراقب مناضليه وتحاول كشف تنظيماته . وعندما وقع الاعتداء على طلبة كلية الصيدلة يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٢ الذي كان الشرارة لانتفاضة تشرين أصدر الشباب العربي الجامعي بياناً أستنكر فيه الاعتداء ، ودعا الطلبة الى النضال وقاد الحزب مظاهرة في ٢٢ تشرين الثاني ابتدأت من دار المعلمين العالية . ومرت بكلية التجارة والاقتصاد ، فكلية الاداب والعلوم ثم الكلية الطبية حيث تفرقت هناك وكانت هذه المظاهرة اول ممارسة عملية للحزب .

كما حلل الحزب انتفاضة تشرين وعوامل فشلها في تحقيق أهدافها القريبة ، فكتبت جريدة الاشتراكي جريدة الحزب السرية مقالاً بعنوان « انتفاضة تشرين الشعبية » أوضحت فيه ان أسباب فشل الانتفاضة ترجع الى عدم تكتيل الشعب في طليعة نضالية مهيئة للعمل الثوري .

كلف الوصي عبد الاله الفريق نورالدين محمود رئيس اركان الجيش بتأليف الوزارة . وقد باشرت الوزارة عملها بحل الاحزاب ، كما عطلت الصحف الوطنية واعتقلت بعض القادة الوطنيين وانزلت الجيش الى شوارع بغداد بغية الحيلولة دون تفاقم الانتفاضة الشعبية . وحيث حاولت اجراء انتخابات جديدة . واجهت معارضة شديدة من لدن الاحزاب الوطنية وخاصة حزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي . اما وزارة جميل المدفعي التي تولت الحكم في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٣ ، فقد فشلت كذلك في حل مشاكل البلاد ، فواجهت سلسلة من الاضرابات . وفي عهدها تم تتويج فيصل الثاني ملكاً على العراق في ٢ مايس ١٩٥٣ بعد بلوغه السن القانونية ، فانتهى بذلك عهد الوصاية ، الا ان عبد الاله اصبح ولياً للعهد وظل قوة مؤثرة ومتنفذة داخل البلاط الملكي .

اخذ نضال حزب البعث العربي الأشتراكي في سنة ١٩٥٣ يكتسب ابعاداً شعبية جديدة ، فقد ازداد انتشاره بين صفوف العمال والفلاحين وأصدر جريدته السرية الأولى (العربي الجديد) التي أصبح اسمها بعد عددين (الاشتراكي) ، وأصدر البيانات المساندة لنضال الشعب في الأقطار العربية ، وخاصة أقطار المغرب العربي . وتبنى قضية عمال شركة الدخان الاهلية في تشرين الأول ١٩٥٣ ودعا في ١٤ كانون الأول ١٩٥٣ الى اضراب طلابي ناجح في المدارس والكليات تضامناً مع عمال شركة نفط البصرة الذين قمعتهم السلطات الحكومية بقسوة شديدة .

وعلى الصعيد السياسي انفجرت التناقضات والخلافات الكامنة بين عبد الاله ونوري السعيد حول سبل الارتباط بالاستعمار . وراقب الشعب نوري السعيد المرتبط بالسياسة البريطانية وهو يعلن انه لم يستشر في تأليف وزارة فاضل الجمالي الثانية في ٨ آذار ١٩٥٤ المعروف بولائه لعبد الاله وميله للسياسة الامريكية ففجر السعيد خلافاته مع عبد الاله وسافر الى لندن ثم الى باريس بعد ان اقلقه النجاح النسبي الذي حققته الجبهة الوطنية في الانتخابات النيابية التي أجرتها وزارة ارشد العمري في ٩ حزيران ١٩٥٤ فنجح عشرة من اعضائها في دخول المجلس النيابي .

تمكن عبد الاله من استرضاء نوري السعيد . فتم حل المجلس النيابي في ٣ آب ١٩٥٤ . واستعد لضرب الحركة الوطنية وكبح جماح المعارضة . فراح يصدر المراسيم الارهابية فيما يتعلق الحد من حرية الفكر وحرية الاحزاب وحرية النقابات واسقاط الجنسية عن المعارضين والسيطرة على المطبوعات . ومراسيم اخرى تحظر التظاهر وتعطل الحقوق الدستورية للمواطنين . وقد اعترضت الاحزاب الوطنية والقومية بصورة عامة على سياسة المراسيم ومضامينها الرجعية . وصفت مذكرة الحزب الوطني الديمقراطي تلك المراسيم بأنها ، أفظع ما قامت به [illegible] ليس في العراق فحسب بل في العالم اجمع . وبدا أن نوري السعيد مهد ب[illegible] القبض على ناصية السياسة الداخلية ليتفرغ للارتباط بمشاريع الاحلاف العسكرية الغربية وخاصة ماسمي بحلف بغداد الذي ضم العراق والباكستان وايران وتركيا . وقد بدأت اجراءات عقد الحلف في نيسان ١٩٥٤ حين تم عقد اتفاق بين تركيا والباكستان وتلا ذلك عقد اتفاقية مساعدات عسكرية بين العراق والولايات المتحدة ، واتفاقية مشابهة بين الولايات المتحدة والباكستان . وفي ٢٤ شباط ١٩٥٥ وقع العراق وتركيا ميثاق التعاون والدفاع المتبادل بينهما وفي ٤ نيسان ١٩٥٥ وقعت بريطانيا مع العراق اتفاقاً خاصاً تضمن أنهاء معاهدة ١٩٣٠ وقد احتفظت بريطانيا بموجب هذا الاتفاق ببعض التسهيلات العسكرية في العراق . وعد الاتفاق نافذاً منذ ٥ نيسان ١٩٥٥ وهو يوم انضمام بريطانيا للميثاق العراقي – التركي . ثم مالبثت كل من ايران والباكستان ان انضمت اليه . اضافة الى مشاركة الولايات المتحدة في بعض لجان الحلف . وقد عدت بغداد مركزاً دائماً لهذا الحلف .

وبعد عقد حلف بغداد ، ووقوع العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ أنتفض الشعب العراقي عن بكرة أبيه يتظاهر نصرة مصر وهي تحرر القناة . وطغت قوى الرجعية وانطلق الارهاب اعنف وابشع من ذي قبل . وحاولت السلطات زج الجيش لقمع التظاهرات . لكن الجيش خيب آمالهم فلم يطلق رصاصة واحدة على جماهير المتظاهرين بل كان التعاطف بين الشعب والجيش ابرز مظاهر تلك الانتفاضة . وقد استغلت الحكومة حوادث العدوان على مصر . فاعتقلت زعماء المعارضة . فزاد ذلك القوى الوطنية والقومية التقدمية ووحدت جهودها في تحقيق جبهة الاتحاد الوطني التي ساهمت مساهمة فعالة في تهيئة الرأي العام لاستقبال ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

ضمت جبهة الاتحاد الوطني الاحزاب الوطنية والقومية التقدمية في العراق وتم في شباط ١٩٥٧ تأليف اللجنة الوطنية العليا للجبهة والتي اصدرت بيانها الاول في ٩ اذار ١٩٥٧ بشكل كراسة من اثنتي عشرة صفحة جاء فيها مايلي : « يتميز الوضع

الدولي العام بين الدول الاستعمارية من جهة وبين القوى الوطنية والتحررية من جهة اخرى ، واتخذ الكفاح المذكور اشكالاً جديدة بعد ان تغير ميزان القوى داخل الجبهة الاستعمارية وبينها وبين القوى الوطنية والتحررية . تغيرا حاسماً بعد فشل العدوان الجنوني الغادر على الشقيقة مصر ، وتصدع البناء الاستعماري تصدعا خطراً وانكشاف المواثيق والاحلاف الاستعمارية ... فقد اجتمع الوطنيون وتدارسوا الاوضاع الداخلية والخارجية وتبنوا الاهداف التي تعتبر في هذه المرحلة نقطة ابتداء لتحقيق الحرية والاستقلال للشعب العراقي والسير به في موكب الامة العربية التحرري ... »

١ – تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي

٢ – الخروج من حلف بغداد . وتوحيد سياسة العراق مع سياسة شقيقاته الاقطار العربية المتحررة .

٣ – مقاومة التدخل الاستعماري بشتى اشكاله ومصادره ، وانتهاج سياسة عربية مستقلة اساسها الحياد الايجابي

٤ – اطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية .

٥ – الغاء الادارة العرفية واطلاق سراح السجناء والمعتقلين والموقوفين السياسين واعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب المفصولين لاسباب سياسية .

اعلن عدد من الضباط ، اطلقوا على انفسهم اسم الضباط الاحرار تأييدهم للجبهة ببيان اصدروه سنة ١٩٥٧ . ومنذ ذلك الحين اخذ النضال الوطني في العراق يسير وفق الخطط التي يرسمها قطبا الحركة الوطنية : جبهة الاتحاد الوطني وحركة الضباط الاحرار .

لقد كانت هناك اسباب ودوافع عديدة ، جعلت بعض الضباط يفكرون في تأسيس تنظيم عسكري لاسقاط النظام الملكي ، يمكن تلخيصها بما يلي :

١ – اعتناق هؤلاء الضباط فكرة الاصلاح والنهوض بالبلاد والقضاء على الاوضاع المتردية ، اي تحقيق ذلك بعمل عسكري .

٢ – تشبع اكثر الضباط بالروح القومية ، وقد ارادوا تحقيق الوحدة العربية ، وغضبوا من موقف حكومة العراق من حوادث السويس سنة ١٩٥٦ ورأوا فيه مساً بكرامتهم وكرامة العراقيين .

٣ – سخط الضباط من موقف الحكومة العراقية من حرب فلسطين وشعروا ان الاوامر التي صدرت منعتهم من المساهمة الفعالة فيها .

٤ – حلف بغداد الذي حول العراق كله الى قاعدة جوية بريطانية وكبل استقلال العراق بالقيود الاستعمارية .

٥ – اعدام العقداء الاربعة صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب ، وقد أطلقوا على انفسهم اسم « الضباط الاحرار » وقصدوا بذلك انهم عارضوا الاستبداد والظلم والتخلف والتبعية للاجنبي . وطمحوا الى الاستقلال التام وتوحيد العرب وتحقيق الحريات . وقد قدم الضباط الاحرار ولائهم للوطن والشعب على ولائهم للملك وجعلوا انفسهم في حل من ذلك الالتزام اي ثاروا على القيد الادبي .

ركز الضباط الاحرار خلال اجتماعاتهم قبل الثورة على نقاط عديدة اهمها : ان يعملوا على اسقاط النظام الملكي ، واقامة النظام الجمهوري . وان تصبح الهيئة العليا للضباط الاحرار بعد نجاح الثورة « مجلس قيادة الثورة » ، وتدعيم الجيش والقوات المسلحة ، واتفقوا على اجراء تغيير في اوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، واتفقوا على تصفية القواعد الاجنبية ، والخروج من حلف بغداد . وتحقيق الوحدة الوطنية القومية واتفقوا على التمسك بسياسة الحياد الايجابي .

في صباح الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ قام الجيش العراقي بزعامة الضباط الاحرار بتفجير الثورة التي دكت صرح الحكم الملكي الفاسد . واذيع البيان الأول الذي جاء فيه : « ايها الشعب العراقي الكريم . . بعد الاتكال على الله ، وبمؤازرة المخلصين من ابناء الشعب والقوات الوطنية المسلحة أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار لحكم الشعب والتلاعب بمقدراته لمصلحتهم وفي سبيل المنافع الشخصية .

ايها الاخوان : ان الجيش هو منكم واليكم . وقد قام بما تريدون . وأزال الطبقة الباغية التي استهترت بحقوق الشعب ، فما عليكم الا أن تؤازروه ، وأعلموا أن الظفر لا يتم الا بترصينه والمحافظة عليه من مؤامرات الاستعمار واذنابه . . . ولقد أقسمنا ان نبذل دماءنا ، وكل عزيز في سبيلكم فكونوا على ثقة واطمئنان باننا سنواصل العمل من اجلكم وان الحكم يجب أن يعهد الى حكومة تنبثق من الشعب وتعمل بوحي منه . وهذا لا يتم ..

الا بتأليف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة وترتبط برباط الاخوة مع الدول العربية والاسلامية . وتعمل بمبادىء الأمم المتحدة . وتلتزم بالعهود والمواثيق وفق مصلحة الوطن وبقرارات مؤتمر باندونغ .

لم تكد تمضي اسابيع قليلة على تنفيذ الثورة حتى ظهر الخلاف بين الزعيم الركن عبد الكريم قاسم الذي نصب نفسه رئيساً للوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة ووزيراً للدفاع والعقيد الركن عبد السلام محمد عارف الذي أصبح نائبه ووزيراً للداخلية . وقد اراد كل منهما الانفراد بزعامة البلاد خاصة وانهما لم ينفذا مقررات اللجنة العليا للضباط الأحرار . ومنها ما يتعلق بمجلس قيادة الثورة الذي لم يشكل بعد تنفيذ الثورة .

كان عبدالكريم قاسم يخطط للانفراد بالسلطة عن طريق ضرب القوى الوطنية والقومية التقدمية بعضها بالبعض الأخر . وقد عارضه القوميون واعتبروا اتجاهه انحرافا عن مبادىء ثورة ١٤ تموز واحتج الوزراء القوميون وقدموا استقالاتهم في ٨ شباط ١٩٥٩ . كما حاول الضباط الاحرار القوميون تقويم انحراف قاسم فاعدوا انتفاضة الموصل في ٨ آذار ١٩٥٩ بقيادة العقيد الركن عبد الوهاب الشواف ، ولكن الانتفاضة فشلت واتجه الحكم اتجاها دكتاتوريا . وأعدم عشرات من الضباط منهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري في ساحة أم الطبول ببغداد .

لقد شهدت سنوات ١٩٥٩-١٩٦٣ فصلا رائعاً من فصول نضال حزب البعث العربي الاشتراكي . فمنذ ظهور بوادر انحراف عبد الكريم قاسم ، حاول الحزب اعتماد اسلوب المناشدة والحرص على تكاتف الصف التقدمي ، واستمر حريصاً على هذا الموقف رغم حملات الاعتقال والتنكيل بالفئات الوطنية والقومية التقدمية .

وبعد اشتداد حملة الاضطهاد ضد البعثيين وسائر العناصر القومية ، وعلى أثر تنامي قوة الحزب الجماهيرية . جرت محاولة لاغتيال عبد الكريم قاسم في تشرين الأول ١٩٥٩ . تلك المحاولة التي انتقدتها مؤتمرات الحزب القطرية والقومية لاعتبارها قراراً فردياً . وبسبب عدم ارتباطها بخطة متكاملة ودقيقة لتغيير نظام الحكم ككل الا ان تلك المحاولة قد كشفت بالمقابل عن شجاعة المناضلين البعثيين وصلابتهم وارادتهم التي لا تلين . والتي برزت جوانب منها في المحاكمات التي جرت بعد ذلك .

اصبح الحزب في سنة ١٩٦٠ منتشراً بشكل واسع في كافة الأوساط الشعبية . وفي اوائل تشرين الأول ١٩٦١ رفع الحزب شعار اسقاط الحكم الدكتاتوري . وكان الحزب قد قاد في آذار ١٩٦٠ ، اضراب البنزين ، الشهير الذي ادى الى اصطدام المصريين مع السلطة فسقط ثمانية شهداء من مناضلي الحزب . وتعتبر سنة ١٩٦٢ سنة التحضير الجدي لثورة شباط المجيدة . ففي ٨ شباط ١٩٦٣ استطاع حزب البعث العربي الاشتراكي ان يتسلم السلطة في محاولة لاعادة ثورة تموز لمسيرتها القومية التقدمية . فقد أسهمت الفصائل العسكرية الثورية اسهاماً باسلاً وبقيادة حزبها الطليعي حزب البعث العربي الاشتراكي في اسقاط السلطة الدكتاتورية المنحرفة ،

لقد عبر البيان الاول للمجلس الوطني لقيادة الثورة عن هوية الثورة وطبيعتها القومية التقدمية الشعبية وعن سعيها لمواصلة مسيرة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتعميق اتجاهها القومي وتحقيق الوحدة الوطنية . كما اكد البيان سعي الثورة وعملها على تحقيق الوحدة العربية . وعلى تسلم الحزب للسلطة في العراق علقت اكبر الآمال بسبب الطبيعة الشعبية البارزة للثورة ونتيجة بروز حزب سياسي عقائدي منظم كقوة قائدة لهذه الثورة على نحو لم يشهد مثيلاً له في تاريخ المنطقة .

واستطاعت هذه التجربة ان تقود العراق وبشكل واضح وصريح نحو الوحدة . سواء من خلال ميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣ للوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا . ام نحو الوحدة بين العراق وسوريا . كما لعبت هذه الثورة دوراً كبيراً في انهاء حكم الانفصال وجاءت « ثأراً للوحدة من مؤامرة الانفصال » .

الا ان هذه التجربة شهدت العديد من الاخطاء ، كما واجهت منذ أيامها الاولى تآمراً أستعمارياً يمينياً شرساً . أستغل الأخطاء التي رافقت بعض ممارسات الثورة وقطاعاتها المختلفة . وعدم قدرتها على تحقيق التوازن بين الواقع والطموح . ولعدم تمكنها من حساب المراحل والأمكانيات بدقة ووضع برنامج متدرج ومتصاعد لتحقيق أهدافها الأساسية . وقد سهلت هذه الأخطاء للعناصر الرجعية اليمينية المتآمرة أن توجه للحزب ضربة قاسية فكانت ردة ١٨ تشرين الثاني السوداء سنة ١٩٦٣ والتي أقصت الحركة الثورية عن السلطة .

غير أن مناضلي الحزب . على الرغم من أجواء الأنقسام وأشتداد حملات التشكيك بحقهم . وعلى الرغم من حملات الاعتقال والتنكيل التي مارستها السلطة آنذاك واصلوا النضال ضد النظام وتحدوه بشجاعة نادرة . ولم يتوقف الحزب عن النضال. حتى وجد نفسه مرة أخرى امام ضرورة تاريخية لأجراء التغيير الثوري ، فكانت ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨ القومية الأشتراكية .

ثورة لبنان ١٩٥٨ :

أشرنا فيما سبق الى أن مؤتمرسان ريموالمنعقد سنة ١٩٢٠ وضع لبنان تحت الانتداب الفرنسي . وقد أعلن الجنرال غورو المفوض السامي الفرنسي في بيروت دولة لبنان الكبير وكانت تشمل متصرفية جبل لبنان وولاية صيدا في الجنوب وولاية طرابلس في الشمال وولاية بيروت التي أصبحت العاصمة في الوسط . كما ضم اليها اربعة أقضية هي بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا . الا أن اللبنانيين أنتفضوا سنة ١٩٢٠ لكن الأنتفاضة سرعان ماأخمدت وظل لبنان يحكم حتى سنة ١٩٢٦ من قبل حكام فرنسيين عينهم المفوض السامي وهم الكابتن جورج ترابو (١٩٢٠ – ١٩٢٣) والكابتن بريفا اوبوار (١٩٢٣ – ١٩٢٤) والجنرال فاندنبرغ (١٩٢٤ – ١٩٢٥) وليون كايلا (١٩٢٥ – ١٩٢٦). وكان يساعد ترابو في الحكم حتى سنة ١٩٢٢ مجلس أستشاري من سبعة عشر عضواً عينهم الجنرال غورو لتمثيل مختلف طوائف البلاد وفي آذار ١٩٢٢ أنشأ غورو مجلساً تمثيلياً للبنان الكبير . وقد أجتمع المجلس للمرة الأولى في ٢٥ أيار وأنتخب حبيب باشا السعد رئيساً له. وفي السنتين التاليتين تعاقب على رئاسة المجلس نعوم لبكي في ١٩٢٣ واميل اده في ١٩٢٤ وفي كانون الثاني ١٩٢٥ . حل المفوض السامي الجنرال موريس ساراي (كانون الثاني – تشرين الثاني ١٩٢٥) المجلس التمثيلي ، ودعا الى انتخابات جديدة في تموز ، وكان من حظ المجلس الجديد ان يشهد ولادة الجمهورية اللبنانية في ١٩٢٦ وان يتحول الى اول مجلس للنواب فيها. وقد نجح الفرنسيون في السنوات الأولى من الانتداب من وضع الأسس والقواعد التي قامت عليها الادارة اللبنانية الجديدة . وفي ٢٣ ايار ١٩٢٦ وافقت الجمعية التأسيسية التي كانت بالاصل المجلس التمثيلي المنتخب على الدستور التي جاءت نصوصه تعكس المصالح الفرنسية في لبنان ورغبتها في توزيع المناصب الرئيسة على اساس طائفي . كما وضع الدستور العلاقات الخارجية للبنان في يد فرنسا ، واعطى المفوض السامي الفرنسي الحق في نقض جميع القوانين التشريعية الاساسية التي لايوافق عليها ، الى جانب حقه في حل المجلس النيابي وتعليق العمل بالدستور . وكانت للمفوض السامي في الواقع ، سلطات اوسع بكثير من تلك التي حددها له الدستور ، اذ كان ، بتعيينه مستشارين فرنسيين في مختلف دوائر الحكومة يمارس رقابة فعلية على جميع المستويات الادارية .

كلف شارل دباس اوغيست باشا أديب بتأليف الوزارة اللبنانية الاولى . وكان اوغيست باشا اديب معروفاً باهتماماته الادارية والمالية وقد دامت وزارته أقل من سنة ، ثم استدعى جته في آذار ١٩٣٠ فتشكل وزارتين متعاقبتين دامتا حتى أيار ١٩٣٢ . وبعد ١٩٣٢ علق المفوض السامي العمل بالدستور وحل مجلس النواب . ويعود ذلك ، كما يقول المؤرخ اللبناني الدكتور كمال سليمان الصليبي في كتابه « تاريخ لبنان الحديث » ، الى عدم اطمئنان السلطات الفرنسية الى سلوك السياسيين اللبنانيين ، اذ كانت براعة هؤلاء في المناورات الحزبية واستغلال النفوذ السياسي تفوق وعيهم للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعانيها البلاد واهتمامهم بمعالجتها . وكان مجلس النواب. منذ قيامه في ١٩٢٦ قد أقلق السلطات المنتدبة بالتشديد على صلاحياته الدستورية تحدياً لها . لقد أحدث اجراء المفوض السامي الفرنسي بحل المجلس وتعليق العمل بالدستور ، استياءً عاماً في لبنان . وفي سنة ١٩٣٤ اجريت انتخابات نيابية جديدة كانت بداية عودة الحياة السياسية الى البلاد . وفي كانون الثاني ١٩٣٥ دعا المفوض السامي مجلس النواب لانتخابات رئيس للجمهورية خلفا لحبيب باشا السعد الذي عين رئيساً بقرار من المفوض السامي في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٣ . وتعين ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ موعدا للانتخاب . وقد تدخل المفوض السامي . الكونت داميان دي مارتيل (١٩٣٣ – ١٩٣٩) في الانتخاب بحيث ضمن نجاح اميل اده فتحول بشارة الخوري المرشح الثاني ليصبح زعيما للمعارضة . ويذكر الصليبي أن اميل اده عكس في تفكيره وجهة النظر المارونية التقليدية ، القائمة على ضرورة ايجاد الضمانة الخارجية الكافية لاستقلال لبنان ، وكان اده يظهر باستمرار تخوفا من الحركة القومية العربية ودعوتها الى الوحدة بين اقطار المنطقة. ولم يكن بشارة الخوري اقل تمسكا باستقلال لبنان من اده ، لكنه كان اكثر واقعية منه فوعى اهمية الحركة القومية ، بالرغم من انه لم يكن قوميا عربياً .

دعا بشارة الخوري الى اعادة العمل بالدستور وطالب بضرورة عقد معاهدة بين فرنسا ولبنان تحل محل نظام الانتداب . كما عقد مؤتمر الساحل الثاني في ١٠ آذار ١٩٣٦ . وصدرت عن المؤتمر مقررات عديدة اكدت اهمية ضم المناطق اللبنانية الاسلامية وكان من بين الذين حضروا المؤتمر اعضاء من منظمة سرية تأسست في لبنان سنة ١٩٣٢ باسم « الحزب السوري القومي » وكان مؤسس هذا الحزب « انطون سعادة » يشدد على وحدة سوريا الكبرى. كما انه كان من انصار ضم العراق الى سوريا . وقد اعتقلت السلطات الفرنسية زعيم هذا الحزب سنة ١٩٣٦ بعد ان قاد حركة معارضة شديدة في لبنان ضد الانتداب الفرنسي .

وللرد على نشاط دعاة الوحدة مع سوريا . اسس فريق من الشباب الماروني منظمة باسم « الكتائب اللبنانية » في تشرين الثاني ١٩٣٦ . وقد رفعت هذه المنظمة شعار

لبنان اولا وقبل كل شيء » . وكان زعيم هذه المنظمة الشيخ بيار الجميل بحذو حذو المنظمات شبه العسكرية التي ظهرت انذاك في ايطاليا واسبانيا . وكان اللبنانيون المسلمون في هذه الفترة قد اسسوا مجلسا استشاريا اسلاميا لرعاية مطالب المسلمين في لبنان ، فقام هذا المجلس بتأسيس منظمة « النجادة » وشعارها « وحدة العرب » في اوائل ١٩٣٧ للوقوف في وجه منظمة الكتائب .

وفي ٩ ايلول ١٩٣٦ تم توقيع المعاهدة الفرنسية - السورية وبدأت اثر ذلك مفاوضات في بيروت لعقد معاهدة مماثلة بين فرنسا ولبنان . وقد قضت المعاهدة ان ينضم لبنان الى عضوية عصبة الامم كدولة مستقلة قبل نهاية ١٩٣٩ لكن نشوب الحرب العالمية الثانية ادى الى تأجيل اعلان الاستقلال . وفي حزيران ١٩٤٠ واجهت فرنسا غزو اراضيها من قبل الالمان . وفي ١٤ حزيران احتل الالمان باريس وتسلم المارشال فيليب بيتان الحكم كرئيس للدولة الفرنسية في فيشي . وكان ان نادى الجنرال شارل ديكول من لندن بمتابعة النضال ضد المانيا واعترفت بريطانيا بحكومة فرنسا الحرة التي الفها في ٢٨ حزيران ١٩٤٠ في المنفى . وفي ٨ حزيران ١٩٤١ شرعت قوات بريطانيا وفرنسا الحرة بغزو سوريا ولبنان من جهة فلسطين . وقد نجح الجنرال جورج كاترو ممثل الجنرال ديكول في اعلان استقلال سوريا رسمياً في ٢٧ ايلول ١٩٤١ . ثم اعلن استقلال لبنان في ٢٦ تشرين الثاني ، وقد عين المندوب السامي الفرد نقاش رئيساً للجمهورية اللبنانية . ثم سرعان ما استبدله بأيوب ثابت الذي اقيل في ٢١ تموز ١٩٤٣ وجرت الانتخابات اللبنانية لتسفر عن فوز الكتلة الدستورية بزعامة بشارة الخوري وكانت على صلة وثيقة بالسلطات البريطانية في المنطقة وذلك بواسطة احد اقطابها وهو المحامي الماروني والنائب السابق كميل شمعون .

عقد مجلس النواب الجديد جلسته الاولى في ٢١ ايلول ١٩٤٣ وانتخب بشارة الخوري رئيسا للجمهورية . وعلى الفور كلف الرئيس الجديد رياض الصلح بتشكيل حكومة تتمثل فيها فئات المجتمع اللبناني الرئيسة ولقد وضع كل من بشارة الخوري ورياض الصلح « الميثاق الوطني » الذي أكد ان لبنان يمت الى العروبة باوثق الصلات والمظاهر وانه لا يريد ان يكون مقراً للاستعمار ولا ممراً له وفي ٣١ كانون الأول ١٩٤٦ تم جلاء آخر جندي فرنسي عن أرض لبنان وتسلمت الحكومة الفرق اللبنانية المسلحة التابعة للجيش الفرنسي وعهدت بقيادتها الى العقيد فؤاد شهاب .

لقد حرص بشارة الخوري على تقوية علاقات لبنان مع الاقطار العربية . ووقع في ٧ تشرين الاول ١٩٤٤ اتفاق الاسكندرية الذي مهد الطريق الى قيام جامعة الدول العربية . واعربت الاقطار الموقعة على الاتفاق عن ثقتها بسياسة لبنان العامة وتعهدت باحترام كيانه ضمن حدوده القائمة .

شهدت لبنان خلال الفترة التي اعقبت صدور الميثاق الوطني سنة ١٩٤٣ ظهور احزاب عديدة ، منها حزب النداء القومي الذي تأسس سنة ١٩٤٥ وعبر من اتجاهات وطنية وقومية عربية في مرحلة الاستقلال الاولى . كما تأسس سنة ١٩٤٩ الحزب القومي الاشتراكي بزعامة كمال جنبلاط وقد طرح هذا الحزب فكرة الاشتراكية التعاونية ضمن اطار لبنان يدعو الى التضامن مع الاقطار العربية . وبعد الحرب العربية الصهيونية الاولى سنة ١٩٤٨ ظهرت طلائع حركة القوميين العرب كما نشأ في لبنان فرع لحزب البعث العربي الاشتراكي والذي اخذت باكورة تنظيماته بالتأسيس منذ اواخر الاربعينات . وتأسس سنة ١٩٥٧ حزب الوطنيين الاحرار وضم عناصر سياسية برجوازية . وكان الحزب الشيوعي اللبناني من اقدم الاحزاب الشيوعية العربية . اذ أنه تأسس في العشرينات .

واجه بشارة الخوري - رئيس الجمهورية وخاصة بعد تجديد فترة رئاسته سنة ١٩٤٩ مشاكل داخلية عديدة لعل في مقدمتها قيام الزعماء الموارنة الطامحين الى خلافته في رئاسة الجمهورية بالتنديد بفكرة تجديد رئاسته . وحاول الحزب السوري القومي القيام بانقلاب عسكري مماثل للانقلاب الذي قاده حسني الزعيم في سوريا في ٣٠ آذار ١٩٤٩ الا انه فشل . واصدرت الحكومة اللبنانية قرارها بحل الحزب واعدام سبعة من اعضائه . بمن فيهم زعيمه انطون سعادة . الامر الذي ادى الى اكتساب عداوة السوريين القوميين ومؤيديهم للعهد القائم . كما حلت الحكومة تنظيمات الكتائب والنجادة وغيرهما من المنظمات العسكرية . فدفعتها الى الوقوف في صف المعارضة .

وما ان جاء صيف ١٩٥٢ حتى كانت المعارضة الشمعونية - الجنبلاطية تضم تحت لوائها معظم القوى النافذة في البلاد ، مما اضعف مركز بشارة الخوري خاصة بعد اغتيال رياض الصلح رئيس الوزراء في عمان . وقد قيل انه اغتيل من قبل احد عناصر الحزب القومي السوري . وحين نجح المعارضون في تنظيم اضراب عام في ١٦ ايلول ١٩٥٢ لم يستطع الخوري الوقوف في وجههم فاضطر الى الاستقالة . وانتخب كميل شمعون في ٢٣ ايلول خلفاً له .

واجه الرئيس الجديد معارضة من قبل حليفه السابق كمال جنبلاط الذي اراد الاشتراك في وضع سياسة العهد الجديد واصر على وجوب فتح التحقيق في مساويء العهد السابق. اما شمعون فقد وجد ان اوضاع لبنان والعلاقات بين العائلات والطوائف لاتسمح بذلك . لكنه وعد باعادة النظر في تنظيم الادارة الحكومية والانظمة القضائية . وقد تشكلت في سنة ١٩٥٤ وزارة جديدة برئاسة سامي الصلح ، لكي تتوجه نحو أحداث الاصلاح المنشود الا انها لم تنجح كثيراً في هذا المجال لان المشاكل الاجتماعية وخاصة الفساد الاداري كان عميق الجذور في بنية لبنان الحديث . على ان الرئيس شمعون أفلح كثيراً في تحقيق نوع من الازدهار الاقتصادي للبنان وخاصة خلال السنوات ١٩٥٢-١٩٥٨ وكان من ابرز مظاهر هذا الازدهار ان اصبح لبنان مجالا واسعاً للاستثمارات العربية والعالمية.

انتهج كميل شمعون في بداية رئاسته سياسة عربية واضحة . فاعلن انه مستعد لان يوطد علاقات لبنان بالاقطار العربية كافة ، فزار مصر والعراق وسوريا والاردن والسعودية . كما تضامن مع الاقطار العربية في الاجراءات التي اتخذتها ضد العدو الصهيوني . واشترك لبنان في اقرار مواثيق الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين الاقطار العربية . ولكن كميل شمعون سرعان ما ابتعد عن هذا الخط العربي في السياسة اللبنانية الخارجية وخاصة بعد ان بدأ يوطد علاقات لبنان بتركيا أثر زيارته لها في نيسان ١٩٥٥ وبدا للعرب كأنما لبنان يعد العدة للانضمام مع العراق الى حلف بغداد ، وعلى ذلك توترت العلاقات بين لبنان من جهة وبين مصر والسعودية وسورية من جهة أخرى . وكان اختيار شارل مالك لوزارة الخارجية بحد ذاته . اعلاناً عن المنحى الجديد في السياسة الخارجية . اذ ان شارل مالك كان معروفاً بميله للسياسة الغربية وارتباطه مع الاميركان بصداقة متينة . ويشير الدكتور الصليبي الى ان الرئيس شمعون بات يرى ان المد القومي العربي الذي ازداد في لبنان بتأثير مؤيدي سياسة الرئيس عبد الناصر الوحدوية يشكل خطراً على استقلال البلاد فعمد الى الحصول على ضمان الدول الغربية ، وخاصة الولايات المتحدة الاميريكية . لهذا الاستقلال . وقد وجد شمعون في مبدأ ايزنهاور الذي اذيع في اذار ١٩٥٧ وتعهدت بموجبه الولايات المتحدة على حماية استقلال بلدان الشرق الادنى وسلامة اراضيها الضمانة المنشودة لاستقلال لبنان.

اما مصر فقد وجدت في ذلك المبدأ تدخلاً سافراً في تقرير السياسة الخارجية للاقطار العربية وتهديداً لاستقلالها وقد تمكن زعماء المعارضة في لبنان من تشكيل جبهة معادية للرئيس شمعون في حزيران ١٩٥٧ . وقد سميت تلك الجبهة بجبهة الاتحاد الوطني

وتألفت من صائب سلام وعبدالله اليافي ورشيد كرامي وكمال جنبلاط واقطاب الكتلة الدستورية ، وكل الزعماء المعادين لشمعون وسياسته . وقد تميز صيف ١٩٥٧ بظهور اعمال عنف اتسعت لتشمل مختلف انحاء لبنان ، وتمثلت بنسف الجسور وسد الطرق والقاء القنابل . وحين اقترب موعد انتهاء رياسة شمعون وضرورة انتخاب رئيس بدله في صيف ١٩٥٨ تفاقم الخلاف بين الحكومة والجبهة الوطنية وحدث ان اغتيل في ٨ أيار ١٩٥٨ الصحفي اللبناني التقدمي المعارض نسيب المتني ، فسارعت جبهة الاتحاد الوطني الى القاء تبعة هذه الحادثة على الحكومة ، ودعت الى اضراب شامل ، ولم يمض يومان حتى تحول الاضراب الى ثورة مسلحة شملت طرابلس ، وصيدا ، والشوف . ورأت الحكومة ان تستنجد بالجيش للقضاء على الثورة ، ولكن القائد العام الجنرال فؤاد شهاب رفض التدخل والتمس الاعذار وأصر على ان لاشأن له في دعم موقف الرئيس شمعون ضد المعارضة وان مهمة الجيش تقتصر على الدفاع عن البلاد ضد العدوان الخارجي . ولما اشتدت قوة المعارضة وكثر انصارها لجأت الحكومة الى مجلس الامن في صيف ١٩٥٨ ، لتشكو الجمهورية العربية المتحدة وتتهمها باثارة الاضطرابات في لبنان وتقديم العون للثوار عبر الحدود السورية ، وبعد سقوط النظام الملكي في العراق صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ خشيت الحكومة اللبنانية من ان تفلت الامور من يدها ، فدعت الولايات المتحدة الى القيام بتعهدها فترسل قوة عسكرية تحمي الكيان اللبناني من الانهيار ، فلبت الولايات المتحدة الدعوة وانزلت في ١٥ تموز قوة من جنود البحرية قرب بيروت . اما بريطانيا فقد انزلت جنود مظلاتها بعمان في الاردن ، واعلنت الدولتان انهما ستسحبان قواتهما بمجرد استقرار الامور في المنطقة . ولم يضع نزول الجنود الاميركان في لبنان حداً للثورة . وقد طالب الثوار كميل شمعون بالاستقالة على الفور . وفي ١٦ تموز ، اي بعد نزول القوات الاميركية بيوم واحد وصل روبرت مورفي . وكيل وزير الخارجية الاميركية بيروت موفداً من الرئيس ايزنهاور « للقيام بكل جهد ممكن لاعادة السلام والهدوء الى الحكم ومساعدة الرئيس شمعون على ذلك » . وقد اتضح فيما بعد ان المعارضة مصرة على استقالة شمعون ، وان الحل الانسب هو انتخاب اللواء فؤاد شهاب خلفاً للرئيس شمعون . وفي ٣٠ تموز ١٩٥٨ تم انتخاب فؤاد شهاب الذي باشر مسؤولياته في ٢٤ أيلول ١٩٥٨ وفقاً للدستور . وفي اليوم ذاته تم تأليف وزارة جديدة من معارضي العهد السابق والمحايدين برئاسة رشيد كرامي احد كبار زعماء الثورة . لكن الوزارة الجديدة واجهت معارضة من الفئات المرتبطة بكميل شمعون ، هذا فضلاً عن عدم تمثيل حزب الكتائب ، فاضطرت الى الاستقالة لتتألف في ١٤ تشرين الاول وزارة ثانية برئاسة كرامي نفسه وقد تمثلت في

هذه الوزارة عناصر من الثورة وعناصر من حزب الكتائب والكتلة الوطنية التي برأسها ريمون اده نجل اميل اده . وسارعت الحكومة الجديدة الى انهاء الازمة واعادة الهدوء والاستقرار الى البلاد . أما القوات الاميركية فقد غادرت ارض لبنان ، وانصرف الرئيس شهاب الى دعم الوحدة الوطنية اللبنانية واجراء سلسلة من الاصلاحات في اجهزة الادارة والاقتصاد كما توطدت العلاقات مع مصر وجرى لقاء بين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس فؤاد شهاب في ٢٥ اذار ١٩٥٩ كان له ابلغ الاثر في دعم روابط الاخوة بين القطرين . وفي صيف ١٩٦٤ انتخب المجلس النيابي شارل حلو رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس شهاب وكان آخر عمل قام به الرئيس شهاب ، هو قمعه لمحاولة السوريين القوميين للاستيلاء على الحكم بالقوة . وقد قدم قادة المحاولة الى المحاكمة . وصدرت بحقهم احكام مختلفة واتخذت الاحتياطات العسكرية الشديدة للحيلولة دون قيام مثل هذه المحاولات .

الثورة الارتيرية ١٩٦١ :

يقع القطر العربي الارتيري على الساحل الغربي للبحر الاحمر المقابل لشبه الجزيرة العربية ، يحده من الغرب والشمال السودان ومن الجنوب اثيوبيا ومن الجنوب الشرقي جيبوتي ، ومساحته تقدر بحوالي ٥٠١٠٠٠ ميل مربع . اما عدد سكانه فيصل الى ثلاثة ملايين نسمة تقريبا ويتألف القطر اداريا من تسع محافظات اهمها حماسين وعاصمتها اسمرة وهي العاصمة ومحافظة كرن ومحافظة بركة وعاصمتها اوغردات ومحافظة البحر الاحمر وعاصمتها مصوع وهي ميناء ارتيريا الرئيس ومحافظة دنكاليا وعاصمتها عصب .

وكان لموقع ارتيريا الاستراتيجي على البحر الاحمر وفي القرن الافريقي اثر كبير في اشتداد الصراع الاستعماري للاستحواذ عليها منذ بداية العصور الحديثة . ويدعي الاثيوبيون ان صلتهم بارتيريا تستند الى عوامل تاريخية وعرقية واقتصادية منها ان ارتيريا كانت جزءا من الامبراطورية الاثيوبية القديمة . ويذكر السيد جميل مصعب محمود في كتابه « القضية الارتيرية » الذي نشر ببغداد سنة ١٩٨٠ ان الادعاءات الاثيوبية ليس لها أساس تاريخي فالقطر العربي الارتيري كان الاحتلال الايطالي له اواخر القرن التاسع عشر دولة مستقلة منذ ٧٠٠ سنة على الاقل ويستثنى من ذلك جزء من الساحل كان تابعا للدولة العثمانية منذ سنة ١٥٥٧ حتى الاحتلال الايطالي في سنة ١٨٨٥ والذي استمر حتى سنة ١٩٤١ حين خسرت ايطاليا الحرب ضد دول الحلفاء في هذه المنطقة وان بريطانيا تولت ادارة ارتيريا نيابة عن دول الحلفاء وخلال الفترة من ١٩٤١ حتى ١٩٥٢ اجرت محاولات عديدة بين الدول الكبرى لتقرير مصير المستعمرات الايطالية ومنها ارتيريا . وقد تبنت الادارة البريطانية وجهة نظر خاصة بشأن القضية الارتيرية تقوم على اساس تقسيم البلاد بين اثيوبيا والسودان على اساس ديني ، وذلك بضم المحافظات الثلاثة : اغوردات وكرن ونقفة الى السودان وضم الهضبة الارتيرية والسواحل بما فيها العاصمة اسمرة ومينائي عصب ومصوع الى اثيوبيا . ويبدو ان بريطانيا كانت متواطئة مع اثيوبيا في هذا المجال وذلك بدعم بعض التنظيمات السياسية الموالية لها في ارتيريا كحزب الاتحاد الذي تأسس سنة ١٩٤٦ بهدف تحقيق الاتحاد بين ارتيريا واثيوبيا .

قررت الدول الكبرى مناقشة قضية المستعمرات الايطالية في الامم المتحدة . وقد ارسلت لجنة تحقيق الى ارتيريا للفترة من ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٧ الى ٣ كانون الثاني ١٩٤٨ وخلال وجود اللجنة شجعت بريطانيا على تأسيس مجموعة من الاحزاب منها حزب الرابطة الاسلامية الذي تأسس في ٣ كانون الاول ١٩٤٦ والحزب الليبرالي التقدمي الذي تأسس في ١٨ شباط ١٩٤٧ والحزب الوطني الاسلامي الذي انشق عن حزب الرابطة الاسلامية . ولقد تلقت هذه الاحزاب الدعم المادي والمعنوي من الادارة البريطانية لانها طالبت باستقلال ارتريا مع وضعها تحت الانتداب البريطاني لفترة من الزمن .

فشلت الدول الكبرى في الوصول الى حل للقضية الارترية . وتكمن وراء ذلك عوامل عديدة منها ان هذه القضية تعد معقدة بسبب اختلاف مواقف هذه الدول فبريطانيا دعت الى وضع ارتريا تحت وصايتها لمدة عشر سنوات والولايات المتحدة اقترحت ضم جزء من القطاع الجنوبي من ارتريا الى اثيوبيا وجندت فرنسا فرض وصاية دولية على ارتريا وفي الوقت نفسه ايدت منح اثيوبيا منفذاً الى البحر الاحمر عن طريق عصب . اما الاتحاد السوفيتي فقد اشار الى ان السكان الذين استفتتهم اللجنة لا يمثلون الاكثرية .

قرر مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى الاربعة وهي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في ١ أيلول ١٩٤٨ احالة موضوع القضية الارترية على الامم المتحدة مع ضرورة الاهتمام ببحث حاجة اثيوبيا الى منفذ بحري . وخلال عرض القضية على الجمعية العمومية للامم المتحدة استعملت اثيوبيا سياسة الارهاب السياسي في ارتريا وذلك بتشجيع عصابات مسلحة عرفت باسم (الشيفتا) . وقد ظهرت هذه العصابات بعد ان اقدمت بريطانيا على تسريح الوحدات العسكرية الارترية وتخفيض قوات الشرطة . ويؤكد عدد من الباحثين ان هذه العصابات كانت تتلقى السلاح والعتاد من اثيوبيا وقد استهدفت العناصر المؤيدة لاستقلال ارتريا .

اصدرت الجمعية العمومية للامم المتحدة سلسلة من التوصيات بشأن القضية الارترية خلال السنوات ١٩٤٨ و١٩٤٩ و ١٩٥٠ . وفي ٣ كانون الاول ١٩٥٠ تبنت مشروعاً اميركياً يقضي بقيام اتحاد فدرالي بين اثيوبيا وارتريا . ويقوم هذا المشروع على مبدأين اساسيين اولهما سيادة الحكومة الارترية في جميع الامور الداخلية سيادة تامة مع تحديد صلاحياتها وصلاحيات الحكومة الاتحادية وثانيهما اقامة نظام ديمقراطي للحكم في ارتريا . وفي ايلول ١٩٥٢ دخل القرار الفيدرالي حيز التطبيق وتعهد الامبراطور الاثيوبي باحترام الفيدرالية والدستور الارتري الذي تضمن انشاء شكل ديمقراطي من الحكم يمكن وصفه بانه شبه رئاسي . ونص الدستور كذلك على تحديد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية واختصاص البرلمان وخاصة في الاشراف على السلطة التنفيذية المكونة من مجلس للوزراء . وتقرر ان تكون العربية والتجرينية لغتين رسميتين في ارتريا . وان يكون لها علم خاص بها .

لم تحترم اثيوبيا قرار الامم المتحدة . وعملت طوال السنوات من ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٢ على الغاء بنود مشروع القرار الفيدرالي والتمهيد لضم ارتريا اليها . وقد اتضح هذا من اقدام قواتها بعد انسحاب القوات البريطانية الى الدخول الى ارتريا واحتلال المعسكرات التي انسحب منها البريطانيون . وقد استولت كذلك على جميع الممتلكات الايطالية السابقة . كما اعطت اثيوبيا لنفسها الحق في منح بعض الاراضي الارترية للولايات المتحدة بموجب المعاهدة الموقعة بينهما في ٢٢ ايار ١٩٥٣ للاستفادة منها كقواعد عسكرية (كانيوستيشن) وبحرية في ديكامير كما مارست السلطات الاثيوبية اساليب تعسفية تجاه الشعب الارتري فعطلت صحفه الوطنية وانزلت العلم الوطني الارتيري ورفعت محله العلم الاثيوبي وسحبت الاختام الرسمية للحكومة الارترية وسميت الحكومة الارترية بالادارة الذاتية وحرمت الشعب من استعمال اللغة العربية واحلت محلها اللغة الامهرية وفي ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٠ اعلن الامبراطور الاثيوبي ان ارتريا ما هي الا محافظة تابعة للامبراطورية .

بدأ الشعب العربي الارتري ينظم نفسه لمقاومة الغزو الاثيوبي . وتأسست حركة تحرير ارتريا في السودان في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٨ لتدعو الى توحيد الشعب الارتري والنضال من اجل الاستقلال . وفي اذار ١٩٥٨ قاد الاتحاد العام لنقابات العمال الارتري ، الذي حلته السلطات الاثيوبية وحرمته من العمل وطاردت قادته ونفت بعضهم الى الخارج ، اضرابا عاما ادى الى تعطيل حركة العمل في البلاد . كما نظم الشعب مظاهرات كبيرة تصدت لها الحكومة الاثيوبية وقتلت فيها مئات من المتظاهرين وهكذا بدأت المقاومة تتصاعد لتصل الى اعلان الثورة المسلحة بقيادة جبهة التحرير الارترية سنة ١٩٦١ .

تأسست جبهة التحرير الارترية في القاهرة بعد لجوء بعض قادة الحركة الوطنية اليها امثال ادريس محمد ادم وابراهيم سلطان وولد اب وولد ماريام وغيرهم وقد وجد هؤلاء ان طبيعة الغزو الذي تتعرض له ارتريا يتطلب انتهاج اسلوب الثورة المسلحة طريقاً للتحرير والوحدة . وقد اهتمت قيادة الجبهة بالمناطق الريفية وقامت بحملات توعية خاصة في المناطق الغربية من ارتريا لابراز الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي المتدني الذي كانت تعيشه هذه المناطق . وفي الفاتح من ايلول ١٩٦١ اطلق حامد ادريس عواتي الرصاصة الاولى معلناً بداية الثورة في المنطقة الغربية . ويبدو ان اختيار هذه المنطقة جاء بسبب وعورتها وصلاحيتها لحرب الأنصار اولاً ولبعدها عن اماكن تجمع القوات العسكرية الاثيوبية . هذا فضلا عن وضعها المتدهور ورفضها المبكر للاستعمار الاثيوبي واستعدادها لمواجهته

انشأت الجبهة قيادة سياسية للتنظيم في منطقة كسلا السودانية القريبة من الحدود مع ارتريا سميت بالقيادة الثورية واختير ادريس محمد ادم رئيساً للجنة وفي كانون الاول ١٩٦٢ عقدت الجبهة اول مؤتمر لها في منطقة القاش ولم يكن عدد المقاتلين يتجاوز الـ (٤٢) مقاتلاً . وكان من ابرز قادة الجبهة عثمان صالح سبي ومحمد عمر عبدالله ابو طيارة الذي انتخب قائداً لقوات الثورة المسلحة .

حققت الثورة الارترية انتصارات عديدة داخل ارتريا وخارجها بحيث اصبح من الصعب على الحكومة الاثيوبية القضاء عليها بالرغم من استعانتها بالخبراء العسكريين الامبركان والصهاينة . وتعد سنة ١٩٦٥ نقطة تحول كبيرة في تاريخ الثورة الارترية . اذ اتسع نطاق الثورة واصبح يشمل ارتريا كلها . وقد قسمت القيادة الثورية ارتريا الى خمس مناطق عسكرية ويبدو ان قادة الثورة استفادوا من التجربة الجزائرية من هذا المجال ، حيث اصبح قادة المناطق العسكرية يتحركون بحرية تبعاً لظروف الزمان والمكان . وقد ادى ظهور بعض المشاكل الى اعادة النظر في هذا التقسيم ، والغاء بعض المناطق الا ان ذلك لم يتحقق لعدم قناعة بعض القادة بهذا التغيير . لذلك انعقد مؤتمر ادوبحا العسكري للفترة من ١٠-٢٥ آب ١٩٦٩ والذي حضره ممثلوا المناطق الخمس واصدر قرارات اكدت وحدة ادارة جيش التحرير وتكوين القيادة العامة لجيش التحرير في الميدان من ٣٨ عضواً

طبقت الثورة الارترية لتحقيق انتصاراتها المشار اليها المبدأ الستراتيجي المعروف في حروب الانصار بقاعدة (اضرب واهرب) ضد مواقع الحكومة الاثيوبية . وقد سيطر جيش التحرير على اجزاء كبيرة من الريف الارتري وسرعان ما بدأت المساعدات المالية والعسكرية

تتدفق على الثوار وخاصة من الاقطار العربية . الا انها لم تصل الى مستوى التحدي الكبير خلال هذه الفترة .

لقد وقف النظام الاثيوبي . بشدة ضد الثورة الارترية . ومنذ اعلان الثورة سنة ١٩٦١ واتساع نطاق تحركات الثوار . فان الحكومة الاثيوبية تنظر الى الثورة كنوع من الشغب المسلح . وهي تدعو الثوار باستمرار الى تسليم اسلحتهم . وكان (أسراتي كاسا) حاكم عام ارتريا منذ سنة ١٩٦٣ حتى نهاية ١٩٦٩ يزعم بان الحركة الارترية . حركة انفصالية وحلها يكمن في تطوير الارتريين اقتصادياً واجتماعياً . وبالرغم من ان الحكومة الاثيوبية لاتعترف بوجود ثورة في ارتريا الا انها تحشد ثلثي جيشها في ارتريا لمحاربة الثورة وتفرض حصاراً سياسياً واعلامياً حول حربها الوحشية ضد الشعب الارتري .

وقد ادت العمليات العسكرية الواسعة التي قام بها الجيش الاثيوبي ضد مواقع الثورة . والقصف العشوائي لجميع المناطق الاهلة بالسكان في ارتريا الى نجوء الآف المواطنين الى السودان . ويملك النظام الاثيوبي اليوم في ارتريا جيشاً بانواع الاسلحة الحديثة يبلغ تعداده قرابة مائة الف رجل . اضافة الى اسراب من الطائرات المقاتلة . ولم يتغير موقف النظام الاثيوبي في الثورة المسلحة الارتيرية حتى بعد سقوط حكم الامبراطور هيلا سيلاسي في أيلول ١٩٧٤ ومجيء القادة العسكريين باسم (المجلس الاداري العسكري المؤقت) وعلى راسهم الجنرال أمان عندوم . وبالرغم من ادعاء النظام العسكري) في ٢٠ كانون الاول ١٩٧٤ من ان القضية الارتيرية على رأس القضايا التي تتطلب حلا عاجلاً . فان هذا الادعاء لم يتحقق . وبعد معارك شباط ١٩٧٥ التي استطاعت فيها الثورة الارتيرية ان تنقل المعركة الى قلب العاصمة أسمرة اصدر النظام العسكري برنامجاً خاصاً في ٢٠ نيسان ١٩٧٦ لحل القضية . ويقوم البرنامج على ان حق تقرير المصير يمكن ضمانه عن طريق الحكم المحلي . كما ان الحكومة ستبذل جهودا خاصة لاعادة المهاجرين وستعمل على رفع الطوارىء وستفاوض مع من سمتهم بالتجمعات التقدمية . ولكن الحقائق اثبتت بان النظام الجديد لايزال يرى بان القوة العسكرية هي الاسلوب الامثل لحل المشكلة . والواقع ان صعود الجنرال منغستو هيلي ماريام على رأس السلطة في اثيوبيا ورفعه الشعارات الاشتراكية جعل السوفيتي يقدم الدعم المادي والعسكري له مما ادى الى تعقيد المشكلة الارتيرية وبالرغم من تحرير ٩٥٪ من الاراضي الارتيرية في السبعينات استطاع النظام الجديد من استعادة الكثير من المدن بفضل هذا الدعم . ومنذ شباط ١٩٧٥ يشن قادة النظام العسكري حرب ابادة للارتيريين ويمكن ملاحظة ذلك في التدمير والخراب الذي لحق المدن والقرى الارترية .

واجهت الحركة الوطنية الارترية مشاكل عديدة ابرزها ظاهرة الانقسامات التي نجم عنها ظهور فصائل جديدة لحركة الثورة الارتيرية ابرزها جبهة تحرير ارتيريا والجبهه الشعبيه لتحرير ارتيريا وجبهة التحرير الارترية (قوات المجلس الثوري) وتعد كل جبهة نفسها القيادة الشرعية الممثلة للتنظيم وجماهيره التحرير الشعبية) ويعمل كل فصيل على تعميق سلطته الثورية في الرقعة التي يسيطر عليها و يذكر السيد جميل مصعب محمود في كتابه ، القضية الارتيرية : دراسة نظرية وميدانية ، ان الذي يرجع الى وثائق ومنشورات الفصائل الثلاث لايلاحظ هناك اختلافاً جوهرياً فالجميع يحملون السلاح من اجل استقلال ارتيريا وبناءها وتحقيق وحدتها . ويعتقد السيد جميل ان هناك نقطة اساسية يجب معرفتها وقد استغلتها القوى الاستعمارية التي تعاقبت على احتلال ارتيريا . وعملت على تعميقها تلك هي ظاهرة عدم التجانس العرقي والديني والاجتماعي واللغوي . هذا فضلاً عن انتشار الجهل والامية وطغيان الولاء للقبيلة وارتباط بعض رؤساء القبائل بالنظام الاثيوبي . ولاشك فان لهذه الظواهر آثاراً سلبية بعيدة المدى على مستقبل الثورة وانتصارها . ويتطلب هذا من فصائل الثورة الاسراع الى معالجة الموقف والبدء بحوار ديمقراطي كأفضل صيغة لتحقيق الوحدة على الساحة الارتيرية .

ثورة اليمن ١٩٦٢ :

انصرف الامام يحيى حميد الدين (١٩٠٥ - ١٩٤٨) منذ اواخر الحرب العالمية الاولى الى فرض سيطرته المركزية على انحاء اليمن المختلفة . فاهتم بتقوية الجيش وارسل مجموعة من الشباب اليمني الى الكلية العسكرية العراقية اثر توقيعه معاهدة صداقة وتعاون مشترك مع العراق ، كما استعان بالخبرة العسكرية العراقية ، المتمثلة بالبعثات العسكرية العراقية التي اسهمت في تطوير الجيش اليمني .

وفيما يتعلق بالمناصب السياسية والادارية الرئيسة في اليمن ، فقد وضعها الامام يحيى بيد طبقة السادة والقضاة الموالين له . وظلت جماهير الشعب اليمني تعاني من الفقر والتخلف ، ولم تنل الخدمات التعليمية والصحية ماتستحقه من اهتمام . واعتمد الامام

في ربط العشائر اليمنية به على نظام الرهائن الذي يقوم على اساس بقاء ابناء او اقارب زعماء العشائر لدى الامام في صنعاء ضمانا لعدم قيام ذويهم بأية حركة للمعارضة . وبذل الامام جهودا كبيرة من اجل ابقاء اليمن بعيدا عن التفاعل مع العالم الخارجي والتأثر بالنظم والتيارات الفكرية المختلفة .

لقد تمثلت الحركة الوطنية في اليمن خلال هذه الفترة بتنظيم سري اطلق عليه ، هيئة النضال ، ويشير بعض المؤرخين الى انها تأسست سنة ١٩٣٦ بقيادة احمد المطاع وعدد من الشخصيات الاجتماعية البارزة امثال عبد السلام صبرة ومحي الدين العنسي وكان من ابرز ما اكدته الهيئة انها حرصت على التغلغل داخل اجهزة الحكم وضرب النظام من داخله . وذلك عن طريق الايقاع بين الامام ورجال حكمة المقربين من امثال رئيس وزرائه القاضي عبد الله العمري وعبد الله الوزير ، واذكاء المنافسة بين اولاد الامام يحيى . ولكن الامام يحيى سرعان ما انتبه لنشاط الهيئة فزج بعدد من اعضائها في السجن وفي الوقت نفسه اعتقلت سلطات الامام بعض اعضاء البعثة العسكرية والتعليمية من الشباب الذين تلقوا تدريباتهم في العراق بحجة تأثرهم بتيارات فكرية معارضة لنظام الحكم في اليمن .

وفي ١٩٤٤ اسس عدد من الشباب اليمني حركة سياسية سرية باسم ، حزب الاحرار ، وكان من ابرز قادتها احمد النعمان ومحمد محمود الزبيري واصدر هذا الحزب جريدة ، صوت اليمن ، كانت تطبع سرا في عدن . كذلك اصدرت منشورات سرية داخل اليمن ساهمت في كشف عيوب النظام والهاب مشاعر الشعب . حتى ان سيف الاسلام ابراهيم بن الامام يحيى نفسه انضم لهذا الحزب في سنة ١٩٤٦ . وقد دعا الحزب الى ضرورة اقامة مجلس دستوري مكون من القضاة والموظفين الكبار والشخصيات البارزة بهدف اعداد الدستور . كما طالب الحزب بتشكيل وزارات قانونية يرأسها اناس فنيون قادرون وكان لنشاط الحزب اثر كبير في دفع الامام يحيى لتبني بعض المطالب الوطنية وخاصة في مجال جلب بعثة تعليمية من مصر وارسال طلبة يمنيين الى الخارج لمتابعة الدراسة .

ومنذ اواخر سنة ١٩٤٥ وبداية سنة ١٩٤٦ ازداد نشاط حزب الاحرار اليمنيين . ونجح الحزب في قيادة ثورة ١٩٤٨ واغتيال الامام يحيى ومبايعة عبد الله الوزير بالامامة الشرعية الدستورية . غير ان هذه الثورة سرعان ما احبطت حين استطاع ولي العهد احمد احباطها باعتقال قادتها واعدام عدد منهم وسجن العدد الاخر . وفي ١٥ اذار ١٩٤٨ بويع الامام احمد بالامامة واصبح يلقب بالامام الناصر لدين الله احمد . ويذكر الدكتور

يحيى طاهر سويحل في بحثه الموسوم ، الحركة الوطنية واثرها على حركة ٢٦ من سبتمبر ١٩٦٢ ، ان الثورة قامت قبل اوانها لان وعي التشكيلات الاجتماعية التقليدية في المدن وبخاصة صنعاء ، لم يكن بالمستوى المطلوب ، فالكثيرون لم يحسوا بحاجتهم للثورة . وبهذا لم يتجاوبوا معها . هذا فضلا عن ان الحركة لم تكن تمتلك برنامجا واضحاً للعمل ولم يكن لها اتجاه خاص ذو ملامح عقائدية وسياسية واقتصادية محددة . ولا يمكن ان ننسى تردد عبد الله الوزير الذي اختارته الحركة اماما جديدا لليمن وتحالف الحركة مع الاسر الكبيرة وعدم قدرة قادتها على تجاوز الطابع القبلي .

حاولت عناصر المعارضة اعادة تنظيم نفسها . فتأسس في عدن في ٣ أيار ١٩٥٢ تنظيم جديد باسم ، الاتحاد اليمني ، . وقد أصدر هذا التنظيم جريدة الفصول لتكون لسان حاله . ولقد حظيت حركة المعارضة بدعم مصر وخاصة بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ والتي كان لها اثر كبير في زيادة ايمان الشعب اليمني في قدرته على التخلص من النظام . ولعل في مقدمة العناصر التي بدأت بالعمل ، عدد من الضباط الاحرار وعلى رأسهم المقدم احمد الثلايا الذي قاد حركة مسلحة سنة ١٩٥٥ بهدف الاطاحة بالامام احمد ، لكن هذه الحركة فشلت حين استطاع الامام احمد في ٤ نيسان ١٩٥٥ من استعادة السيطرة على الوضع واعدام عدد من قادة المحاولة الانقلابية كان من بينهم شقيقاه سيف الاسلام عبد الله وسيف الاسلام العباس والمقدم أحمد الثلايا . وكان لموقف سيف الاسلام محمد البدر بن الامام احمد واستعانته ببعض القبائل في حاشد وبكيل اثر كبير في قمع الانتفاضة .

وخلال الستينات ظهرت في اليمن احزاب وقوى سياسية نشيطة . اخذت تعمل من اجل التخلص من النظام الملكي واقامة النظام الجمهوري . كما ان افكار حزب البعث العربي الاشتراكي سرعان ما اصبحت تترك اثرها في الساحة اليمنية فانخرط في صفوف الحزب الكثير من المثقفين والضباط . ولعل منظمة الضباط الاحرار التي تأسست في كانون الاول ١٩٦١ في صنعاء من ابرز التنظيمات التي بدأت بالعمل خلال هذه الفترة . وقد اجرت منظمة الضباط الاحرار بعض الاتصالات مع العناصر الوطنية وخاصة في حركة الاحرار اليمنيين لكن هؤلاء لم يعرفوا عن تنظيم الضباط الاحرار شيئا وان كانوا قد ابدوا استعدادهم للتضحية في سبيل القضية الوطنية والتزامهم بخط الضباط الاحرار الذين يمتلكون مقومات الثورة .

لقد شهدت الاسابيع الأخيرة من حكم الأمام أحمد معارضة شديدة
في آب ١٩٦٢ سلسلة من المظاهرات والمسيرات الطلابية التي كانت تهتف بسقوط النظام رغم مواجهتها الرصاص . وخلال هذه الفترة توفى الامام أحمد في ١٨ ايلول ١٩٦٢ وتولى الحكم ابنه محمد البدر . وبعد بضعة أيام فقط من ذلك ، اسرع الضباط الاحرار الى التحرك لاسقاط النظام وعقد اجتماع عاجل في بيت القاضي عبد السلام صبرة حضرته اللجنة القيادية للضباط الاحرار واختير الزعيم عبد الله السلال قائداً للثورة . وفي الساعة الحادية عشرة من مساء الخامس والعشرين من ايلول توجهت قطعات عسكرية الى دار البشائر (مقر الامام البدر) لمحاصرتها وتسليم الانذار الموجه الى البدر بضرورة الاستسلام وتوجيه نداء الى افراد الحرس الملكي بان يقفوا مع الثورة ضد حكم الائمة . وفي صبيحة ٢٦ ايلول ١٩٦٢ انطلقت نيران من القصر الملكي بغزارة مما اضطر الضباط الاحرار لقصف دار البشائر واسقاط النظام . واذاعة البيان الأول الذي أعلن عن قيام « الجمهورية العربية اليمنية » . وقد نص البيان على اهداف الثورة وهي « القضاء على الحكم الفردي المطلق والقضاء على النفوذ الاجنبي ، وانهاء الحكم الملكي واقامة حكم جمهوري ديمقراطي اسلامي اساسه العدالة الاجتماعية لدولة تمثل الشعب وتحقق مطالبه السياسية العامة » . وأكد البيان ضرورة « تنظيم جماهير الشعب في تنظيم شعبي موحد يشارك في عملية البناء الثوري . ورعاية وتنظيم الجيش على اساس حديث وأحداث ثورة وتعليمية وتحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق نظام اجتماعي يتلاءم مع واقع الشعب اليمني وروح الشريعة الاسلامية والتقاليد الوطنية الصالحة . وتشجيع الرأسمال الوطني على الا يتحول الى احتكارات واستغلال . وفي مجال السياسة العربية أكد البيان الايمان بالقومية العربية والعمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة وانشاء علاقات اقتصادية مع جميع الاقطار العربية . أما في المجال الدولي فقد أكد البيان الالتزام بسياسة عدم الانحياز ومقاومة الاستعمار والتدخل الاجنبي بجميع اشكاله » .

كما أعلن عن قيام مجلس قيادة الثورة برئاسة المشير عبد الله السلال وعضوية سبعة من الضباط منهم عبد الله جزيلان وعلي عبد المغنى وعبد اللطيف ضيف الله . وفي ٢٨ ايلول ١٩٦٢ تشكلت وزارة جديدة . وفي ٣١ تشرين الأول ١٩٦٢ أعلن مجلس قيادة الثورة دستوراً مؤقتاً من (١١) مادة أكدت ان اليمن جمهورية عربية مستقلة ذات سيادة وان الشعب اليمني جزء من الأمة العربية . وان الشعب اليمني يحكم نفسه بنفسه وهو مصدر السلطات في الدولة وان الاسلام دين الدولة الرسمي وأن الاقتصاد القومي ينظم وفقاً لخطط مرسومة تراعى فيها مبادىء العدالة الاجتماعية وتهدف الى تنمية

الانتاج ورفع مستوى المعيشة . كما أكد الدستور ان الحركات العامة مكفولة في حدود القانون ومنع الدستور ابعاد أي يمني عن الاراضي اليمنية أو منعه من العودة اليها . وأكد حق اليمنيين في التعليم .

بالرغم من المحاولات التي بذلها الامام البدر ، الذي هرب خارج اليمن وتلقى دعماً من بعض القبائل والقوى الخارجية . للعودة الى اليمن والقضاء على الثورة ، الا أنه فشل . وكان لتوفر الدعم المصري العسكري والسياسي لثورة اليمن أثر كبير في استمرار النظام الجمهوري حتى الوقت الحاضر .

ثورة اليمن الجنوبي ١٩٦٣ :

أحتل البريطانيون عدن منذ ١٩ كانون الثاني ١٨٣٩ وأضطروا سلطان لحج وعدن على التنازل عن الحكم . ولم يتمكن العدنيون من صد الهجوم البريطاني بالرغم من المقاومة الباسلة التي أبدوها . وقد فقدوا (١٣٩) شهيداً . وخلال فترة الأحتلال التي سبقت الحرب العالمية الأولى قضى البريطانيون على كل محاولة من قبل القبائل العربية لأخراجهم من عدن . ويتطرق الدكتور أبراهيم خلف العبيدي في كتابه القيم الذي كرسه لدراسة « الحركة الوطنية في الجنوب اليمني المحتل ١٩٤٥–١٩٦٧ » ونشر ببغداد سنة ١٩٧٩ الى بعض حركات المقاومة ومنها حركة محسن فضل العبدلي سلطان لحج بالتعاون مع أحمد بن عبدالله الفضلي سلطان أبين في تشرين الثاني ١٨٣٩ . ويقول ان أهمية عدن ازدادت بعد أفتتاح قناة السويس ذلك أنها أصبحت قاعدة عسكرية وبحرية لبريطانيا في منطقة البحر الأحمر ، ونقطة مهمة لمواصلات الأمبراطورية البريطانية وخلال الحرب العالمية الأولى واجهت بريطانيا مشكلة مطالبة الأمام يحيى بن حميد الدين سنة ١٩١٨ أمام اليمن بأعادة عدن ومحميتها بأعتبارها جزءاً من اليمن . ومن اجل الضغط على الأمام للأعتراف بشرعية وجودهم في الجنوب قاموا في السنة نفسها بضرب موانيء الحديدة واللحية والصليف في الشمال . وبعد انتهاء الحرب اضطر الأمام يحيى الى تعيين القاضي عبدالله العرشي معتمداً له في عدن سنة ١٩١٩ لأستئناف المفاوضات مع البريطانيين حول مستقبل عدن . وفي ١٩٣٤ أضطر الأمام الى توقيع معاهدة صنعاء التي أنهت الخلاف بين الطرفين في الزمن ، حيث ترك موضوع الحدود دون حل .

لقد جعل البريطانيون من عدن منذ أحتلالهم أياها سنة ١٨٣٩ ادارة بريطانية ملحقة بحكومة بومباي يدير شؤونها مقيم سياسي . وفي الأول من نيسان ١٩٣٧ أصبحت عدن

تدار من قبل حكومة المستعمرات مباشرة ويتولى شؤونها حاكم يعين من قبل لندن. وقد قسمت المنطقة المحيطة بعدن في سنة ١٩٣٧ الى قسمين أطلق على الأولى المحمية الغربية وعلى الثانية المحمية الشرقية . وقد عقد البريطانيون خلال السنوات ١٩٣٨ - ١٩٥١ سلسلة من المعاهدات مع السلاطين والأمراء بدلاً عن تلك التي عدت سنة ١٨٧٢ . ومن المعاهدات الجديدة تلك التي وقعها كل من سلطان القعيطي سنة ١٩٣٨ وسلطان لحج سنة ١٩٥١ ولم تلغ هذه المعاهدات ، المعاهدات القديمة بل أكدتها وأضافت اليها مواد تقضي بأن يكون لكل سلطان مستشار بريطاني .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، شكل البريطانيون المجلس التشريعي الذي أفتتح في كانون الثاني ١٩٤٧ . وتكون المجلس من ستة عشر عضواً جميعهم معينون وأعطيت الجاليات الاجنبية عدة مقاعد في هذا المجلس . كما أسس البريطانيون مجلساً بلدياً في مستعمرة عدن ، الى جانب بعض المجالس المحلية التي تشرف على شؤون الصحة والأسواق والمراعي وتوزيع المياه .

كما شجع البريطانيون الهجرة الاجنبية الى عدن : خاصة بعد التطور الملحوظ الذي طرأ على الأوضاع الاقتصادية في عدن في الخمسينات . وقد ادى هذا التشجيع الى بروز عدة جاليات اجنبية في عدن . وتعد الجالية الهندية والباكستانية من اكبرها عدداً كما فتح البريطانيون الباب على مصراعيه امام هجرة الايرانيين الذين انصرفوا للعمل في التجارة وارتبطت مصالح الجالية اليهودية في عدن بمصالح البريطانيين وخاصة في مجال تأسيس الشركات والمتاجر التي لعبت دوراً سيئاً في الاقتصاد العدني . لذلك ارتفعت اصوات الوطنيين لتطالب بانهاء السيطرة البريطانية وايقاف الهجرة الاجنبية .

لقد تشكلت في اوائل العشرينات بضعة احزاب وجمعيات وطنية دعت الى الاستقلال وتحقيق وحدة التراب اليمني . ومن هذه الاحزاب : حزب الوحدة الحضرمي والرابطة الحضرمية وهيئة وحدة حضرموت . وفي سنة ١٩٢٧ عقد مؤتمر في مدينة شحر بحضرموت وكان الهدف من هذا المؤتمر تحقيق وحدتي سلطنتي القيعطي والكثيري . لكن قرارات هذا المؤتمر لم تنفذ واستمر الخلاف بين السلطنتين بحيث تشكلت احزاب موالية لهما في كل سلطنة . وقد قامت السلطات البريطانية بدور ملحوظ في الحيلولة دون قيام عملية الوحدة .

كما شهدت عدن خلال الاربعينات والخمسينات سلسلة من الانتفاضات القبائلية ضد السلطات البريطانية منها انتفاضة قبائل العوالق السفلى وقبائل ردفان وقبائل الواحدي وقبائل الشعيب والضالع والفضلي وقد استخدم البريطانيون القوة لقمع هذه الانتفاضات .

وبعد الحرب العالمية الثانية . ونتيجة للتطورات الاقتصادية ونهضة التعليم وتنامي الوعي القومي ، اصبحت عدن مركزاً لنشاط سياسي واسع النطاق . ولقد تمثل هذا النشاط في اضرابات الطلبة سنه ١٩٥٦ ودعمهم للقضايا العربية القومية . وقامت الصحافة العدنية بدور مهم في نشر الوعي الوطني . ففي بداية الخمسينات ظهرت صحف عديدة في عدن عكست الاتجاه الوطني وهاجمت الاستعمار البريطاني وكثيراً ما تعرضت هذه الصحف الى الغلق نتيجة لمواقفها الوطنية وفي منتصف الخمسينات ، اقدمت الصحف الوطنية ، «كالبعث» و«العامل» على انتقاد الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عدن . كما نشرت سلسلة من المقالات التي تدافع فيها عن قضايا الشعب وتساند الثورة العربية في مصر والجزائر وفلسطين .

كما كان لليمن الشمالي اثر كبير في بلورة واتساع الوعي الوطني في عدن وقد اتضح ذلك اثر لجوء عدد من المثقفين والوطنيين اليمنيين اليها واتخاذهم منها قاعدة لممارسة النضال ضد النظام الملكي في الشمال . وقد شكل اليمنيون في عدن حزب الاحرار منذ سنة ١٩٤٤ والجمعية اليمانية الكبرى . واصدروا جريدة «صوت اليمن» ، هذا فضلاً عن اصدارهم سلسلة من النشرات والكراريس التي تندد بحكم امام اليمن . ويبدو ان السلطات البريطانية غضت النظر عن نشاط اليمنيين كوسيلة للضغط على الامام لكن ذلك لم يخدم البريطانيين . بل بالعكس لعب دوراً رائداً في التحريض ضد المستعمرين في عدن كذلك .

لقد تأسست خلال فترة الاحتلال البريطاني لعدن بضعة نواد وجمعيات واحزاب سياسية قامت بدور بارز في الدعوة الى التحرر والاستقلال . ومن اقدم هذه التنظيمات نادي الاصلاح العربي الذي تأسس في عدن سنة ١٩٢٩ الذي رفع شعار توظيف الوطنيين في الادارة الحكومية . وفي ١٩٥٦ تأسست في مدينة تريم جمعية سرية باسم الجمعية السرية بتريم اصدرت عددا من المنشورات هاجمت فيها المستشار البريطاني ودعت الى توحيد الصفوف لمقاومة المستعمرين . ومن الاحزاب السياسية المهمة التي ظهرت في عدن ، رابطة ابناء الجنوب العربي التي تأسست سنة ١٩٥٠ برئاسة محمد علي الجفري التي دعت الى اقامة دولة موحدة لكافة ابناء الجنوب اليمني (عدن والمحميات) . ونتيجة لضغط السلطات البريطانية على قيادة الرابطة اضطرت الرابطة سنة ١٩٥٦ الى نقل نشاطها الى القاهرة .

بدأت افكار حزب البعث العربي الاشتراكي تتسرب الى الجنوب اليمني عن طريق الطلبة الذين كانوا يدرسون خارج اليمن وخاصة في القاهرة ودمشق وبغداد . ومنذ مطلع ١٩٥٩ مارس الحزب نشاطه الفعلي كتنظيم سري في عدن وحضرموت .

وقد وجه الحزب اهتمامه الى الحركة العمالية . ومع مطلع سنة ١٩٦٢ كان الحزب يمثل تياراً بارزاً حيث سيطر على عدد من المنظمات الطلابية والعمالية واتسعت قواعده داخل عدن . وكان الحزب يؤكد في نشراته واجتماعاته على وحدة القوة الوطنية لمواجهة المحتلين كما وجدت حركة القوميين العرب طريقها الى الجنوب اليمني كذلك منذ سنة ١٩٥٩ . وتمكنت الحركة من تكوين مجموعة كبيرة من الخلايا المنظمة في عدن والامارات المجاورة لها وخاصة بعد انضماد قحطان الشعبي وسالم ربيع علي وعبد الفتاح اسماعيل اليها.

اعلنت بريطانيا مشروع اتحاد الجنوب العربي سنة ١٩٥٤ . ويقوم المشروع على اساس تكوين اتحادين احدهما في المحمية الغربية والاخر في المحمية الشرقية ويكون حاكم عدن رئيساً لكلا الاتحادين على ان يشكل مجلس مستقل للامراء في كل اتحاد ولكن هذا المشروع لم يصادف نجاحاً بسبب المعارضة الشديدة التي واجهها من الامراء . وبعد انضمام اليمن في اتحاد الدول العربية مع الجمهورية العربية المتحدة في آذار ١٩٥٨ وانتشار الانتفاضات القبلية وازدياد نفوذ الحركة الوطنية اعلن رسمياً في ١١ شباط ١٩٥٩ عن قيام اتحاد امارات الجنوب العربي من ست امارات هي : بيحان ، الضالع ، الفضلي العوذلي ، يافع السفلى ، العوالق العليا . وقد وقعت حكومة الاتحاد مع الحكومة البريطانية على معاهدة نصت على تعهد بريطانيا بتقديم لمساعدات للدولة الجديدة حتى توصلها الى الاستقلال . لكن الحركة الوطنية في عدن رفضت المشروع . ولم يمنع

ذلك بريطانيا من ضم عدن للاتحاد سنة ١٩٦٣ . وعارضت الاحزاب الوطنية دمج عدن بالاتحاد وطالبت بالاستقلال الكامل لعدن والمحميات . وفي ٢٤ شباط ١٩٦٣ عقد في دار السعادة بصنعاء اجتماع عام حضرته القوى الوطنية في الجنوب وتم تشكيل لجنة تحضيرية من قحطان شعبي وناصر السقاف وعبدالله المجعلي ومحمد علي الصوماني وثابت علي المنصوري ومحمد احمد الدقم وبخيت مليط واحمد عبد الله العولقي وعيدروس حسين قاضي وعلي محمد الكاظمي وعبدالله محمد الصلاحي لتقوم باعداد مشروع ميثاق وطني في صيغة نداء الى الفئات الوطنية لتكوين جبهة باسم جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل وتوصلت اللجنة الى اعداد الميثاق وتمت الموافقة عليه في ٨ اذار ١٩٦٣ . لكن الجبهة سرعان ماواجهت مشاكل حالت دون ممارستها للنشاط الفعلي .

واثر ذلك تأسست الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل في آب ١٩٦٣ من ممثلين عن حركة القوميين العرب والقبائل اليمنية الجنوبية . واثر اندلاع الثورة المسلحة في ردفان في ١٤ تشرين الاول ١٩٦٣ ؛ فقد بادرت الجبهة الى الاستفادة منها واستقطاب التنظيمات السياسية الاخرى حولها . وقد التحق اعضاء منظمة طلائع حرب التحرير التابعة لحزب البعث العربي الاشتراكي بالثورة المسلحة التي اتسع ميدانها في سنة ١٩٦٥ بحيث اصبح لديها احدى عشرة جبهة قتال بعد امتداد الثورة الى معظم انحاء الجنوب اليمني . وقد استطاعت الثورة من خلال التركيز على حزب الانصار تحقيق انتصارات سريعة . وحتى بداية سنة ١٩٦٦ كانت الجبهة القومية هي الجبهة المقاتلة الوحيدة في الجنوب لكنها دخلت بعد ذلك في صراع مع قوى وطنية اخرى منها منظمة تحرير جنوب اليمن المحتل التي ترجع جذور تشكيلها الى سنة ١٩٦٤ وضمت المنظمة ممثلين عن حزب الشعب الاشتراكي ورابطة الجنوب العربي وهيئة تحرير الجنوب وعدد من المستقلين كالسلطان علي الكريم سلطان لحج واحمد عبد الله الفضلي وفي آذار ١٩٦٧ جرت محاولة لتوحيد اطراف القوى الثورية في الجنوب اليمني . ولكن المحاولة لم تنجح بل بالعكس فقد حدث الاصطدام بين هذه القوى الامر الذي ادى الى تدخل الجيش ، الذي اعيد تنظيمه بعد اعلان انسحاب بريطانيا من الجنوب اليمني في آذار ١٩٦٦ ، ووقف الاشتباكات . وفي ٧ تشرين الاول ١٩٦٧ اعلن قادة الجيش تأيدهم للجبهة القومية باعتبارها ، في نظرهم ، اكثر تنظيماً .

اعلنت وزارة الخارجية البريطانية فى اوائل ١٩٦٧ ان سياسة بريطانيا الجديدة ترتكز على منح المنطقة الاستقلال وانسحاب القوات البريطانية في سنة ١٩٦٨ . وعدم توقيع أية معاهدة دفاعية مع حكومة الاتحاد . ويبدو ان فشل سياسة الارهاب والقوة التي استخدمتها في القضاء على الثورة كانت وراء هذا القرار . ويذكر الدكتور ابراهيم خلف العبيدي في كتابه آنف الذكر انه بعد احتلال الثوار حي كريتر في عدن في ٢٠ حزيران ١٩٦٧ وانضمام الجيش الاتحادي اليهم ، اصيبت حكومة الاتحاد بالاضطراب ، وبدأت تفقد سيطرتها على الاوضاع خاصة بعد انسحاب القوات البريطانية من الريف . وفي تموز ١٩٦٧ قام البريطانيون بترحيل عوائل العسكريين والرعايا المدنيين من الجنوب اليمني وبدأت بريطانيا تفكر في تسوية سلمية مع القوى الوطنية .

اعلنت الجبهة القومية في ١٣ ايلول ١٩٦٧ على لسان امينها العام قحطان الشعبي استعدادها للتفاوض مع بريطانيا . وبعد شهرين تقريبا قال الشعبي أن شروط الجبهة في المفاوضات تحقيق الاستقلال الناجز لكل اراضي الجنوب وجزره . وان الجبهة

... بعقد معاهدات عسكرية او الدخول في احلاف ، وستطلب من بريطانيا مساعدات مالية وعينية ، على ان تكون هذه المساعدات غير مشروطة . وفي ... الثاني ١٩٦٧ بدأت المفاوضات في جنيف بين وفد الجبهة برئاسة قحطان الشعبي وعضوية ... اسماعيل والعقيد عبدالله صالح الضالعي الى جانب عدد من الخبراء والمستشارين ، ووفد بريطاني برئاسة اللورد شاكلتون الوزير بلا وزارة في الحكومة البريطانية . وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٧ أذاع القصر الملكي مرسوماً من الملكة اليزابيث تعلن فيه « انهاء الحماية التي كانت تمارسها على محميات الجنوب العربي » وفي اليوم الثاني تم توقيع وثيقة تسليم السلطة ونقل السيادة الى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية اعتباراً من ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

الثورة الفلسطينية ١٩٦٥ :

نجحت الحركة الصهيونية العالمية في الأستفادة من ظروف الحرب العالمية الثانية في اقامة كيانها في فلسطين وذلك في ١٥ أيار ١٩٤٨ . وفي اليوم التالي لأعلان الكيان الصهيوني دخلت جيوش سبع دول عربية الى فلسطين للمحافظة على حقوق سكانها العرب من القوات الصهيونية ومنظماتها الأرهابية . ولم يتجاوز عدد هذه الجيوش (٢٠,٠٠٠) مقاتل. وقد بدأت المعارك العسكرية بين القوات العربية والقوات الصهيونية . الا أن مجلس الأمن تدخل في ٢٢ أيار ١٩٤٨ وأصدر قرارا بوقف أطلاق النار في غضون ست وثلاثين ساعة ، وبعد أسبوع دعا مجلس الأمن الى هدنة لمدة شهر تبدأ في ١١ حزيران ١٩٤٨ . وبعد أنتهاء الهدنة في ٧ تموز ١٩٤٨ أستؤنف القتال، وأحتلت القوات الصهيونية أجزاء كبيرة من فلسطين ودام القتال عشرة أيام فقط ، اذ سرعان ما دعا مجلس الأمن القوى المتحاربة في ١٥ تموز ١٩٤٨ الى وقف أطلاق النار وانتهت حرب فلسطين بتوقيع اربع أتفاقات هدنة ، واحدة مع مصر في ٢٤ شباط ١٩٤٩ وواحدة مع لبنان في ٢٣ آذار ١٩٤٩ وواحدة مع شرقي الأردن في ٣ نيسان ١٩٤٩ وواحدة مع سوريا في ٢٠ تموز ١٩٤٩ . أما العراق فقد رفض توقيع هدنة مع الكيان الصهيوني . ... هذه الاتفاقيات مغنماً للكيان الصهيوني ومغرماً للاقطار العربية . حيث سيطر الصهاينة . على الأراضي التي منحت لهم بموجب قرار التقسيم في الأجزاء الشمالية والوسطى من فلسطين وسائر منطقة غرب الجليل واللد والرملة وجزء كبير من وسط فلسطين . وفي ٢٥ كانون الاول ١٩٤٩ أعلن شرق الأردن ضم الضفة الغربية والقدس القديمة . كما ... منطقة حرام في القدس لتفصل بين الأردن والكيان الصهيوني . وكذلك

مناطق منزوعة السلاح في العوجة على الحدود المصرية وكذلك في بعض الاراضي على الحدود السورية تسمى منطقة التوافيق .

عمد الكيان الصهيوني الى فتح أبواب فلسطين على مصراعيها . وأستند في عدوانه المستمر على الارض العربية الى دعم الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا وبريطانيا التي اصدرت في ٢٥ أيار ١٩٥٠ ما سمي بالبيان الثلاثي الذي أرسى ضمانات جديدة للكيان الصهيوني وخاصة من حيث تشجيعه على الأحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة بحجة « حماية أمنه الداخلي ودفاعه الشرعي وليتمكن من الأضطلاع بالدور الملقى على عاتقه في الدفاع عن المنطقة جمعاء » وأكدت هذه الدول أن طلبات الكيان الصهيوني من السلاح والمواد الحربية « سينظر فيها على ضوء هذه المبادىء » .

شن الكيان الصهيوني سلسلة من الأعتداءات على الأراضي العربية في فلسطين والأردن وسيناء ومصر وسوريا . ومنذ ١٩٤٩ أدين الكيان الصهيوني بأكثر من اربعين عدواناً مسلحاً على الأقطار العربية . ونذكر من هذه الأدانات ماصدر بسبب هجمات القوات الصهيونية على الحولة (١٩٥١) قبية (١٩٥٣) ونحالين (١٩٥٤) وغزة (١٩٥٥) والمخفر السوري وعلى بحيرة طبريا (١٩٥٥) وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء (١٩٥٦) والقوى السورية في منطقة بحيرة طبريا (١٩٦٠ و١٩٦٢) وكان أخطر عدوان شنه الكيان الصهيوني ، ذلك الذي حدث سنة ١٩٥٦ على مصر وبالتعاون مع بريطانيا وفرنسا وأستهدف أسقاط نظام عبد الناصر وأبادة القوات المسلحة المصرية وأغتصاب قناة السويس وأرغام مصر على نبذ سياستها المستقلة ودعمها لحركات التحرر في العالم الثالث .

حاولت الأقطار العربية أنتهاج سياسة موحدة ازاء فلسطين . وقد تم عقد العديد من المؤتمرات لوضع أسس هذه السياسة . وخلال مؤتمر القمة العربي الأول الذي عقد في في القاهرة بدعوة من الرئيس جمال عبدالناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة للفترة من ١٣ - ١٦ كانون الثاني ١٩٦٤ بحث بشكل جدي ، وعلى أعلى صعيد عربي مسألة « الكيان السياسي الفلسطيني » . وبعد تداول بين القيادات الفلسطينية والأقطار العربية أنبثقت منظمة التحرير الفلسطينية وهدفها تحرير فلسطين من المغتصبين الصهاينة وأعادة أبناء فلسطين الى وطنهم .

شكل أحمد الشقيري ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية لجاناً تحضيرية لعقد مؤتمر فلسطيني وفي ٢٨ أيار ١٩٦٤ عقد المؤتمر في القدس وحضره ٣٨٨ ممثلاً منهم ٢٤٢ من الأردن و١٤٦ من أقطار عربية أخرى . وفي المؤتمر أعلن ولادة منظمة التحرير الفلسطينية وتحول المؤتمر الى مجلس وطني للمنظمة . وفي ٢ حزيران ١٩٦٤ أقر المؤتمر الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الأساسي للمنظمة والنظام الأساسي للصندوق القومي الفلسطيني . وقد نصت المادة الرابعة من النظام الأساسي للمنظمة على أن الفلسطينيين جميعاً أعضاء طبيعيون في المنظمة يؤدون واجبهم في تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة .

تمثلت السلطة التشريعية بالمجلس الوطني الذي هو السلطة العليا لمنظمة التحرير ، وهو الذي يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجها . أما اللجنة التنفيذية فهي أعلى سلطة تنفيذية للمنظمة وتتولى تمثيل الشعب الفلسطيني ، والاشراف على تشكيلات المنظمة ، واصدار اللوائح والتعليمات واتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم اعمال المنظمة . كما عمدت المنظمة الى اقامة تشكيلات عسكرية وسياسية واعلامية . وظهر أول وجود علني للجيش الفلسطيني في مصر سنة ١٩٦٤ خلال احتفالات ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ .

وفي اليوم الاول من شهر كانون الثاني ١٩٦٥ اعلنت القيادة العامة لقوات العاصفة عن عمليات عسكرية داخل عدة مناطق في فلسطين المحتلة . وكانت تلك هي الشرارة الاولى التي قالت للعالم بان شعب فلسطين وان شرد ، فانه لم يمُت ولم يقبل واقع الهزيمة . وقوات العاصفة هي الجناح العسكري لمنظمة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) التي شقت طريق الكفاح المسلح وتبعتها منظمات فدائية أخرى ، صارت ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية . وقد بذلت خلال الفترة من ٢٠ – ٢٤ ايار ١٩٦٦ محاولات لتوحيد المنظمات الفدائية ، ولكنها لم تنجح .

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ وانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الرابع في القاهرة ما بين ١٠–١٧ تموز ١٩٦٨ جرت تعديلات مناسبة على الميثاق الوطني والنظام الأساسي . وبموجب هذه التعديلات أصبحت تشكيلة منظمة التحرير تقوم على اساس قيادة المنظمات الفدائية لها بقيادة حركة فتح . وقد شكلت هذه العملية خطوة متقدمة من أجل تحقيق الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني وتطوير الكفاح المسلح والتفاف الشعب حول الثورة الفلسطينية .

كان المجلس الوطني الفلسطيني الرابع حدثاً مهماً في تاريخ فلسطين المعاصر . فقد شارك في اعماله جميع المنظمات الفلسطينية منها حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) وجبهة تحرير فلسطين والهيئة العاملة لدعم الثورة ، وجبهة ثوار فلسطين وجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية ومنظمة طلائع الفداء والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وممثلين عن جيش التحرير والاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد العام لعمال فلسطين .

انعقد المجلس الوطني الخامس في القاهرة في شباط ١٩٦٩ وانتخب ياسر عرفات (أبو عمار) رئيساً للجنة التنفيذية .

أما المجلس الوطني السادس فقد انعقد للفترة من ٧ – ٩ ايلول ١٩٦٩ في القاهرة وضم المجلس (١١٢) عضواً يمثلون جميع المنظمات الفلسطينية تقريباً . وفي هذا المجلس اعلن لاول مرة ان هدف الكفاح الفلسطيني هو التحرير الشامل والكامل لفلسطين وانهاء الكيان الصهيوني فيها واعادة الشعب الفلسطيني اليها واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية بعد التحرير بعيدة عن كل انواع التمييز العنصري والتعصب الديني .

وبعد تلك الدورة اشتدت التحركات وزادت المخططات المعادية للمقاومة الفلسطينية ونتيجة لذلك كثفت مختلف فصائل المقاومة الاتصالات فيما بينها بهدف تحقيق الوحدة الوطنية وأصدرت بياناً في ٦ ايار ١٩٧٠ أكد على ضرورة مساهمة جميع فصائل المقاومة في المجلس الوطني القادم . وقد تشكلت لجنة مركزية تشترك فيها جميع منظمات المقاومة . وخلال الفترة من ٣٠ ايار الى ٤ حزيران ١٩٧٠ انعقد المجلس الوطني السابع واتخذ قرارات أبرزها انشاء قيادة عسكرية موحدة للثورة وقد جاء هذا القرار عقب احداث ١٠ شباط ١٩٧٠ بين المقاومة والسلطات الاردنية .

عملت منظمة التحرير الفلسطينية ولا تزال تعمل في سبيل تحقيق اهداف الثورة وتنفيذ سياستها والقرارات الصادرة عن قيادة الثورة بوساطة عدة هيئات وأجهزة ومؤسسات اهمها الدائرة السياسية والدائرة العسكرية ، والدائرة الاعلامية والصندوق القومي الفلسطيني ، ودائرة الشؤون التربوية والثقافية . ويتراوح عدد اعضاء الهيئة التنفيذية التي تتولى تنفيذ السياسة والبرامج التي يقرها المجلس الوطني الفلسطيني وتكون امامه ، بين ٩ – ١٥ عضواً .

الفصل الثامن

تنامي حركة تصفية الاستعمار في الوطن العربي

مقدمة

برزت في الوطن العربي في اعقاب الحرب العالمية الثانية ظاهرة جديدة تمثلت بحركة تصفية الاستعمار واعلان استقلال الكثير من الاقطار العربية . وكان وراء ذلك فضلا عن نضال الشعب العربي في هذه الاقطار ، عوامل كثيرة منها اشتداد الوعي الوطني والقومي . وعجز القوى الاستعمارية عن مواجهة متطلبات التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في هذه الاقطار . ومن ابرز الحركات الاستقلالية . استقلال ليبيا ١٩٥١ واستقلال السودان ١٩٥٦ واستقلال المغرب ١٩٥٦ وتونس ١٩٥٦ والصومال ١٩٦٠ وموريتانيا ١٩٦٠ والكويت ١٩٦١ والبحرين ١٩٧١ وقطر ١٩٧١ ودولة الامارات ١٩٧١ وسلطنة عمان ١٩٧١ .

استقلال ليبيا ١٩٥١ :

عمل المستعمرون الايطاليون على ابعاد المواطنين الليبيين الى الجنوب حيث الصحراء وحيث تكون الزراعة فقيرة بسبب قلة المياه واحلال الايطاليين محلهم على الشريط الساحلي لليبيا فبعد ان تم احتلال اهم المدن الرئيسية مثل طرابلس وبنغازي ودرنة وطبرق والخمس وغيرها ، صدر مرسوم يقضي بتقسيم منطقتي طرابلس وبرقة اداريا الى حكومتين منفصلتين تحت اشراف حاكم ايطالي في كل منها تعينة وزارة افريقيا الايطالية وذلك للتفرغ في كل منطقة والقضاء على حركات المقاومة حسبما تقتضيه الظروف خاصة ان المسافة بين الولايتين كبيرة ويصعب الاتصال السريع وتنفيذ القرارات .

كما فرضت السلطات المحتلة ضرائب ورسوم كثيرة منها رسوم الدفعة وعوائد احتكار التبغ والكبريت والملح . وكان الهدف الاساس للسياسة المالية للحكم الايطالي

العسكري هو الاعتماد على ايرادات ليبيا الذاتية لتمويل مشاريع الاستيطان الزراعي للايطاليين ولمواجهة النفقات الادارية والعسكرية . الا ان ضعف الاقتصاد الليبي انذاك من جهة ، واستمرار الكفاح الوطني المسلح من جهة اخرى لم يكن الحكم العسكري من تحقيق ذلك الهدف الامر الذي تطلب تغطية جزء كبير من الموازنة من المساعدات المستلمة من الحكومة الاستعمارية المركزية .

ورغم ان كثيرا من الايطاليين يعتبرون ان حكومتهم قد وجهت اموالا كبيرة للتنمية الاساسية في ليبيا ، الا انهم كما يقول المؤرخ الليبي الدكتور محمد مصطفى الشركسي : غير مطلعين على الحقائق لان تلك الاموال قد قصد منها تسهيل الاستيلاء على ليبيا واستغلالها اقتصاديا . هذا فضلا عن توطين الفلاحين الايطاليين وتعبيد الطرق الزراعية لهم لتنمية زراعتهم خاصة بعد صدور المرسوم الملكي في تموز سنة ١٩١٤ والذي يسمح للسلطات بمنح الاراضي الاميرية في ليبيا للايطاليين الذين يرغبون في الحصول على اراضي زراعية . وقد قدرت مساحة الاراضي التي تم منحها حتى سنة ١٩٢٢ بنحو ٣٦١٢ هكتار. وتقع في جهات مختلفة من ضواحي مدينة طرابلس وجرى التركيز فيها على زراعة اشجار الزيتون واللوز والفواكه . وقد قام مصرف روما بدور كبير في تسهيل عمليات التسليف الزراعي للمستوطنين وبهدف تنمية الاراضي الزراعية وتشجيع العائلات الايطالية على الاستقرار في ليبيا . ولتنفيذ سياسة الاحتلال لم يقتصر مصرف دي روما في اعماله على القطاع المصرفي ، بل قام بنشاطات تشمل مجالات صناعية وزراعية . كما فتحت مصارف ايطالية اخرى ابوابها في ليبيا ومنها مصرف نابولي الذي افتتح في كانون الاول ١٩١٣ . وقد ساهمت هذه المصارف في منح القروض الزراعية واستثمار الاموال لتنمية التجارة والبناء والصناعة . وطبقت ليبيا النظم النقدية الايطالية وقواعد تداول العملة الايطالية وجرت كذلك عدة مسوحات للتأكد من طبيعة الاراضي الزراعية ومعرفة مدى استيعابها للمهاجرين الايطاليين . ومع ان الايطاليين انشأوا بضعة مراكز صناعية الا انها اعتمدت بشكل رئيس على استغلال الزراعة ومنتوجات البحر. فقد تم انشاء مؤسسات لصيد سمك التون في برقة وطرابلس واقيمت مصانع صغيرة لاستغلال ملح البحر وبذلت مجهودات كبيرة للتوسع في انتاج الزيتون والتبغ والجلود . وتم انشاء اول مصنع للمكرونة في طرابلس وكان من اهم صناعات النسيج العاملة في ليبيا في عهد الاحتلال الايطالي هو مصنع برقة للنسيج . كما وجدت في ليبيا بضعة شركات استعمارية ايطالية منها شركة الاشغال للمستعمرات بافريقيا والشركة الايطالية للطرق والشركة الايطالية للمقاولات في طرابلس وبنغازي .

ومهما يكن من امر ، فان السياسة الاستعمارية الايطالية ... نهب ثروات ليبيا وتسخيرها في خدمة المصالح الايطالية والحيلولة دون رفع مستوى ... من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

تزعم حركة المقاومة السيد محمد ادريس بن المهدي السنوسي . وحاول خلال الحرب العالمية الاولى التفاوض مع الايطاليين للحصول على بعض المكاسب السياسية . وفي ١٩٢٠ تم الاتفاق مع الايطاليين على ان تكون له السلطة داخل اقليم برقة بشرط ان يعترف لهم بحق السيادة . وفي ١٩٢٢ طلب الطرابلسيون ان يكون زعيمهم كذلك لكن السلطات الايطالية رفضت ذلك ، واخذت تشدد الخناق على الحركة الوطنية واضطرت السيد السنوسي الى مغادرة ليبيا الى مصر . وفي الوقت نفسه اتفق الانكليز في مصر والايطاليين في ليبيا سنة ١٩٢٥ على تعديل حدود ليبيا شرقا وادخال واحة الجغبوب قرب سيوه ضمن المنطقة الايطالية . وقد احتل الايطاليون واحة الجغبوب وكانت من ابرز قواعد السنوسيين وقطعوا بذلك طريق مصر امام رجال المقاومة بوضع اسلاك شائكة على امتداد نحو ٣٠٠ كيلومتر من البردية على الساحل الى الجغبوب .

قام القائد الايطالي كراتزياني Graziani الحاكم العام على برقة وطرابلس بملاحقة رجال المقاومة وضرب مراكزهم بالطائرات . ووجه حملة كبيرة اخترقت صحراء برقة واشتبكت مع رجال المقاومة في معركة استمرت بضع ساعات تمكنت في اثنائها من دفع رجال المقاومة نحو حدود مصر والسودان ومعهم نساؤهم واطفالهم وقد تساقط العديد منهم في الصحراء نتيجة الغارات الجوية الايطالية ، وقد احتل كراتزياني واحة الكفرة ، وهي من اكبر معاقل السنوسيين ووقع السيد عمر المختار قائد المقاومة في ربيع سنة ١٩٣٢ اسيرا بيد الايطاليين فسجنوه وحاكموه عسكرياً ونفذوا فيه حكم الاعدام .

حاول ادريس السنوسي الاستفادة من ظروف الحرب العالمية الثانية فاعرب عن استعداده للوقوف الى جانب الحلفاء ، فتألفت قوة عربية ليبية من متطوعي برقة وطرابلس وقدمت لهم بريطانيا المؤونة والسلاح والخبراء وقد بلغ عددهم قرابة خمسة عشر الفاً . وكان لهذه القوة دورها الفعال في مقاومة الايطاليين والالمان . وفي كانون الاول ١٩٤٢ خرج الحلفاء من معركة العلمين منتصرين فاخذوا يطاردون قوات المحور غربا . وثبت الانكليز اقدامهم في ليبيا وشرعوا في تشكيل حكومة مدنية . وخلال هذه المرحلة تزعم حركة المقاومة في ليبيا ادريس السنوسي بعد ان بايعتهم قبائل برقة وطرابلس اثر عودته الى مصر في تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ . وفي ٢٤ كانون الاول ١٩٥١ اعلن ادريس

٢٤ كانون الأول ١٩٥١ استقلال ليبيا / ١٩٥٣ انضمام ليبيا الى جامعة الدول العربية

مهم

السنوسي استقلال ليبيا باقاليمها الثلاثة برقة وطرابلس وفزان باسم المملكة الليبية المتحدة وفي شباط في السنة التالية جرت انتخابات اعضاء مجلس النواب وافتتح البرلمان الليبي في ٢٥ اذار ١٩٥٢ وفي ١٩٥٣ انضمت ليبيا الى جامعة الدول العربية وفي السنة ذاتها عقدت ليبيا معاهدة تحالف مع بريطانيا نصت على ان تقدم بريطانيا الى ليبيا مساعدة مالية سنويا لمدة عشرين سنة مقابل بعض التسهيلات لقواتها برا وبحرا . كما ارتبطت ليبيا مع الولايات المتحدة الاميركية باتفاقية مالية وعسكرية احتفظت بموجبها الولايات المتحدة بقاعدة هويلس الجوية Wheelus وتقع على مسافة بضعة اميال من طرابلس . وتعهدت الولايات المتحدة ان تدفع الى ليبيا نحو اربعة ملايين دولار سنويا لمدة سبع سنوات . وبعد قبول ليبيا لمبدأ ايزنهاور تلقت ليبيا مساعدات اقتصادية كبيرة من الولايات المتحدة . وفي ١٩٥٥ تعهدت فرنسا بان تدفع نحو ٣٥٠,٠٠٠ جنيه مقابل احتفاظها بقاعدة جوية في فزان . وفي السنة نفسها دخلت ليبيا الامم المتحدة . وحين حدث العدوان الثلاثي على مصر رفضت ليبيا استخدام الانكليز والفرنسيين لقواعدها في ليبيا .

تحسن الاقتصاد الليبي بعد العثور على النفط قرب خليج سيرت جنوبي بنغازي . الا ان النظام الملكي لم يستطع ان يستثمر الاموال التي تدفقت على البلاد في وضع خطط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية هذا فضلاً عن سياسة القمع التي انتهجها النظام ازاء الحركة الوطنية الليبية . وفي الاول من ايلول ١٩٦٩ تحركت مجموعة من الضباط واعلنت خلع الملك وسقوط النظام الملكي واقامة نظام جمهوري اقدم على رفع حصة ليبيا من عائدات النفط واجلاء القوات الاجنبية عن الاراضي الليبية .

استقلال السودان ١٩٥٦ :

أشرنا فيما سبق الى بروز اتجاهين متميزين في الحركة الوطنية السودانية بعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية . وذهب الأتجاه الاول الى تأييد الأتحاد مع مصر بينما يسعى الأتجاه الثاني الى تحقيق الأستقلال التام . ومن أبرز ممثلي الأتجاه الأول (حزب الأتحاديين) الذي تأسس في تشرين الأول ١٩٤٤ ويتضمن برنامج الحزب الدعوة الى قيام حكومة سودانية حرة متحدة مع مصر تحت التاج المصري . والواقع أن تأثير هذا الحزب في الواقع السوداني كان ضئيلاً جداً كما أن حجمه كان متواضعاً . وقد ظل يعمل حتى سنة ١٩٥٢ . كما نشأ (الحزب الوطني الأتحادي) بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ وكان رئيسه أسماعيل الأزهري ومن مباديء الحزب ، جلاء الأستعمار الأجنبي وقيام حكومة سودانية ديمقراطية متحدة مع مصر على أن تحدد قواعد هذا الأتحاد بعد تقرير المصير، وتطوير السودان أقتصادياً وأجتماعياً وثقافياً مع بذل عناية خاصة بالجنوب . وقد حظى هذا الحزب بدعم ومساندة العمال والموظفين والشباب .

أما الأتجاه الثاني فكان ممثلاً في عدد من الأحزاب الأستقلالية وأبرزها (حزب الأمة) الذي تأسس في سنة ١٩٤٥ وقد رفع هذا الحزب شعار (السودان للسودانيين) ويهدف الحزب الى تحقيق أستقلال السودان . بمعزل عن مصر . ويمثل حزب الأمة طائفة الأنصار التي تشكل حوالي ٢٠٪ من مجموع السكان وهم أتباع المهدي قائد الثورة المهدية من السودان وقد أعترف بالقيادة الروحية فيما بعد لعبد الرحمن المهدي الذي أكسب قوة سياسية وأقتصادية كبيرة ويبدو أن بريطانيا شجعت هذا الحزب في محاولة منها لفصل الحركة الوطنية في السودان عن شقيقتها الحركة الوطنية في مصر . لذلك فقد ساهم حزب الامة في جميع المؤسسات التمثيلية التي اسستها الادارة البريطانية في السودان كالمجلس الأستشاري والجمعية التشريعية والمجلس التنفيذي . وفي كانون الاول ١٩٥٠ تقدم ممثلو حزب الأمة في الجبهة التشريعية باقتراح يطلبون فيه ايجاد حكومة سودانية باشراف بريطاني . ورغم أن السلطات البريطانية لم ترحب بالأقتراح الا أنه فاز عند أجراء التصويت عليه في الجمعية . لذلك عملت على تشجيع أنصارها في ١٨ كانون الثاني ١٩٥٠ على تأسيس حزب أستقلالي جديد هو الحزب الجمهوري الأشتراكي ليكون عقبة أمام الأنصار . وقد تزعم هذا الحزب أبراهيم بدري ومبادؤه لاتختلف عن مباديء حزب الأمة .

وتأسس في السودان عدد من الأحزاب الأيدلوجية منها حزب البعث العربي الأشتراكي والحزب الشيوعي وحركة الأخوان المسلمين . فلقد انتشرت أفكار حزب البعث العربي الأشتراكي في السودان عن طريق الطلبة الذين درسوا في الخارج ، وتكونت الخلايا الأولى في جامعة القاهرة بالخرطوم في الخمسينات . وقد عمل الحزب بأسماء واجهية كالأشتراكيين العرب او الطليعة التقدمية العربية ، وشارك في نشاط الحركة الوطنية السودانية كالتظاهرات وماشاكلها . أما الحزب الشيوعي فقد تاسس في ١٩٤٦ وأرتبط في البداية بالحزب الشيوعي المصري الذي ظهر اوائل الأربعينات بأسم ، الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) وقد عمل الحزب الشيوعي في السودان بواجهات عديدة منها حزب الجبهة المعادية للأستعمار التي أسسها الشيوعيون سنة ١٩٥٣ وأمينها العام عبد الخالق محجوب .

وفي اواخر الأربعينات نشأت حركة الأخوان المسلمين . وكان الصادق عبد الله الماجد من أبرز قادتها وقد تنظم على يد مؤسس الحركة في مصر حسن البنا . وتهدف الحركة الى انشاء دولة دينية في السودان وكان توجه الاخوان نحو وحدة وادي النيل .

حاولت الادارة البريطانية في السودان كسب الرأي العام . فعمدت الى انشاء بعض المؤسسات الدستورية وابرزها المجلس الاستشاري لشمال السودان والجمعية التشريعية والمجلس التنفيذي . ومع ان بعض السودانيين شاركوا في اعمال هذه المجالس الا ان السلطة الفعلية بقيت في ايدي البريطانيين ومندوبهم السامي الذي كان له الحق في نقض قرارات هذه المجالس .

وبعد اعلان بدء المفاوضات المصرية – البريطانية سنة ١٩٤٥ لتعديل معاهدة ١٩٣٦ ، سافر وفد ممثل جميع الاحزاب السودانية الى القاهرة في ٢٢ آذار ١٩٤٦ لمعرفة مستقبل السودان السياسي . وقد جرت المفاوضات بين اسماعيل صدقي رئيس وزراء مصر وبيفن وزير خارجية بريطانيا واستمرت من اول نيسان الى اواخر تشرين الثاني ١٩٤٦ وانتهت الى ما سمي بمشروع صدقي – بيفن حيث جاء فيه : « بان السياسة التي تعهد الطرفان الساميان المتعاقدان اتباعها في السودان هي ضمن نطاق وحدة مصر والسودان وتحت تاج مصر المشترك ، ومن اهدافها الاساسية تحقيق رفاهية السودانيين وتنمية مصالحهم واعدادهم للحكم الذاتي واختيار النظام المستقل بالسودان » . ولم يكن هذا المشروع يختلف كثيراً عن معاهدة ١٩٣٦ لذلك واجه معارضة شديدة اضطرت صدقي الى الاستقالة في ٨ كانون الاول ١٩٤٦ . وفي ٨ تموز ١٩٤٧ رفعت الحكومة المصرية النزاع القائم بينها وبين بريطانيا الى مجلس الامن طالبة جلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان وانهاء النظام الاداري القائم في السودان . لكن مصر فشلت في حمل المجلس على اصدار قرار لصالحها .

وفي سنة ١٩٥٠ استؤنفت المباحثات بين مصر وبريطانيا . ولكن حكومة الوفد وعلى رأسها مصطفى النحاس وجدت ان المفاوضات لاتودي الى نتيجة فاصدرت في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٥١ عدة مراسيم بقوانين تقرر الغاء معاهدة ١٩٣٦ وانتهاء العمل بها . وتعديل الدستور وجعل لقب ملك مصر والسودان ، بعد ان كان ملك مصر . كما تقرر ان يكون للسودان دستور خاص تضعه جمعية تأسيسية تمثل اهالي السودان .

قابلت الاحزاب السودانية الغاء معاهدة ١٩٣٦ بالتهليل والترحيب . بيد ان الدستور الذي اقترح من جانب مصر لم يكن مقبولاً من لدن السودانيين بمن فيهم الاحزاب الاتحادية نفسها . وترتب على ذلك الالغاء خلق فراغ سياسي مما دفع اعضاء لجنة الدستور

اقتراح تعيين لجنة دولية بواسطة هيئة الامم المتحدة لاعداد السودانيين لتقرير المصير في نهاية سنة ١٩٥٣ . وحين بدأت مصر في التفاوض مع الاحزاب السودانية في ايار ١٩٥٢ بهدف الحصول على تأييدها لمقترحات مصر . اندلعت خلال المفاوضات ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ وكان من اولى اعمال قادة الثورة المصرية اعلانهم بانهم على استعداد لفصل السودان عن مسألة جلاء القوات البريطانية من منطقة قناة السويس وذلك في اية مفاوضات قادمة مع بريطانيا . ويذكر الاستاذ محمد عمر بشير في كتابه « تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠–١٩٦٩ » ان هذا الامر مهد لفهم افضل لاتجاهات السياسة السودانية . مما ادى الى الوصول الى اتفاق نهائي مع بريطانيا .

لقد هجرت قيادة الثورة في مصر السياسة التقليدية السابقة للحكومات المصرية المتعاقبة واختطت طريقاً جديداً . اذ بادرت باستئناف المفاوضة مع حزب الامة واعلنت صراحة في ١٢ تشرين الاول ١٩٥٢ سعيها لان يكون للسودانيين حق تقرير مصيرهم بانفسهم . وفي ١٠ شباط ١٩٥٣ توصلت الى اتفاق مماثل مع الاحزاب الاتحادية . وفي ١٢ شباط ١٩٥٣ وقعت في القاهرة اتفاقية بين الحكومتين المصرية والبريطانية بشأن الحكم الذاتي وتقرر المصير للسودان . وخلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥٣ اجريت الانتخابات لاول برلمان سوداني وفي اول كانون الثاني ١٩٥٤ حصل الحزب الوطني الاتحادي على اغلبية واضحة في البرلمان وانتخب اسماعيل الازهري رئيسا لاول وزارة سودانية . وقد عملت هذه الوزارة التي تشكلت في ٩ كانون الثاني ١٩٥٤ على تحقيق الحكم الذاتي وتصفية الحكم الثنائي وسودنة معظم الوظائف . وفي ١٦ اب ١٩٥٥ اصدر البرلمان السوداني قراراً يطلب فيه اتخاذ التدابير اللازمة لتقرير المصير وقد بلغ هذا القرار لدولتي الحكم الثنائي مصر وبريطانيا ، وعلى اثر ذلك بدأت القوات العسكرية البريطانية والمصرية بالانسحاب من السودان . وفي ٢٩ آب ١٩٥٥ قدم اقتراح في مجلس النواب يقوم على اعتبار الاستفتاء الشعبي الوسيلة الفعالة لتقرير مصير السودان . ولكن هذا القرار مالبث ان عدل عنه لما ايقنت الاحزاب السودانية ان اجراء استفتاء في بلد واسع الارجاء ، معظم سكانه من غير المتعلمين قد يثير مشاكل عديدة ولايحقق الهدف المنشود . هذا فضلاً عن استحالة اجراء استفتاء شعبي في الجنوب حيث سبب التمرد انهياراً واضحاً في حالتي الامن والادارة . وفي ١٩ كانون الاول اعلن قراراً بالعدول عن الاستفتاء واصدر البرلمان اعلاناً بان السودان اصبح دولة مستقلة ذات سيادة اعتباراً من اول كانون الثاني سنة ١٩٥٦ .

وبعد الاستقلال دخل السودان مرحلة جديدة من تاريخه تميزت بظهور الخلافات والخصومات بين اطراف الحركة الوطنية ، وما لبث ان بدا ظاهراً للعيان ان الاحزاب السياسية التقليدية كانت مهتمة بالوصول الى السلطة اكثر من السعي للتغلب على مصاعب بناء دولة حديثة او مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية لذلك شهدت البلاد فترة حكم برلماني منذ ١٩٥٦ حتى ١٩٥٨ تلاها حكم عسكري منذ تشرين الثاني ١٩٥٨ حتى تشرين الاول ١٩٦٤ ثم اعقب ذلك فترة ثانية للحكم البرلماني منذ ١٩٦٤ حتى ايار ١٩٦٩ حين سيطر الجيش ثانية على السلطة بقيادة اللواء جعفر نميري الذي استمر في الحكم حتى انفاضة الشعب والجيش في نيسان ١٩٨٥ وقد مهدت الانتفاضة الاوضاع لاجراء انتخابات جديدة والاتيان بحكومة مدنية وقد حصل حزب الامة بقيادة الصادق المهدي على اغلبية الاصوات وشكل وزارة جديدة لينسحب بعدها الجيش ويعود الى ثكناته .

استقلال المغرب ١٩٥٦ :

اشرنا في الفصل الثاني الى أن المغرب أصبح قبيل الحرب العالمية الأولى مقسماً الى ثلاث مناطق ، الأولى منطقة نفوذ فرنسا وتشمل مراكش والثانية منطقة نفوذ اسباني ومركزها تطوان والثالثة طنجة التي بقيت تحت الادارة الدولية . وقد تصدى الشعب العربي في المغرب للغزو الاجنبي وتحدى قرارات التقسيم وأعلن رفضه لها وتمسكه بمبدأ الحفاظ على الوحدة والاستقلال . فبعد اعلان الحماية في اذار ١٩١٢ حدثت في المغرب ثورة عارمة في ١٧ نيسان ١٩١٢ وامتدت هذه الثورة الى مختلف انحاء البلاد ووقعت معارك لا تزال تعرف بالايام الدامية .

لقد توزع النضال العسكري المسلح في المغرب بعد اعلان الحماية الفرنسية على أربع جبهات حتى منتصف العقد الثالث من القرن العشرين . وهذه الجبهات هي :

الجبهة الشمالية ، حيث استبسل المراكشيون في مقاومة الاحتلال الاسباني . وهو استمرار لكفاحهم منذ سنة ١٩٠٩ وسادت هدنة بين الطرفين خلال الحرب العالمية الأولى ثم اندلعت في اعنف صورها في عهد الامير محمد عبد الكريم الخطابي الذي نجح في قيادة حركة المقاومة المسلحة وتعبئة الجماهير للكفاح حتى تحقيق الانتصار الحاسم على القوات الاسبانية في معركة أنوال سنة ١٩٢١ . وقد بدأت ثورة الريف تأخذ ابعاداً سياسية وتنظيمية في داخل البلاد بحيث تجاوزت المقاومة العسكرية الى محاولة بناء دولة حديثة تمثلت بجمهورية الريف التي سقطت سنة ١٩٢٦ بعد التحالف الفرنسي الاسباني الذي تم ما بين ١٩٢٥ - ١٩٢٦ وادى الى ترجيح كفة المستعمرين واستسلام الامير الخطابي سنة ١٩٢٦ .

- جبهة الأطلس الكبير . حيث دارت معارك طاحنة بين المراكشيين بقيادة الشيخ ماء العينين وابنه هبة الدين . وبين الفرنسيين بقيادة المارشال ليوتي Lyauty واستمر الكفاح في هذه المنطقة حتى سنة ١٩٣٥ .
- جبهة الأطلس المتوسط . حيث ابتدأت المقاومة فيها للنفوذ الفرنسي منذ سنة ١٩١١ واستمرت حتى سنة ١٩٣٣ .
- جبهة تافيلالت واية عطا في جنوب مراكش . حيث قاد الكفاح الشريف السملالي وقد كبد الفرنسيين سنة ١٩١٧ خسائر كبيرة . وعندما اغتيل قاد النضال بعده ابو القاسم القادي حتى اعتقاله سنة ١٩٣٥ .

لم تقف المقاومة المغربية عند حدود النضال العسكري وحسب . بل رافق ذلك نضال سياسي . فمنذ سنة ١٩٢٦ اسس علال الفارسي جمعية سياسية في فاس باسم اتحاد الطلاب . كما اسس أحمد بلافريج جمعية أخرى في مدينة الرباط باسم جمعية حماة الصدق . وقد توحدت هاتان الجمعيتان في جمعية واحدة سنة ١٩٢٧ عرفت بالعصبة المغربية ثم أصبح اسمها بعد سنتين كتلة العمل الوطني . وخلال الثلاثينات تأسست بضعة منظمات منها منظمة الكشافة المغربية (١٩٣٣) التي قامت بدور كبير في نشر الوعي الوطني . وفي نيسان ١٩٣٥ جرت محاولة لتوحيد برامج الكفاح ضد المستعمرين في المغرب ، فانعقد مؤتمر في الرباط حضره اعضاء من كتلة العمل الوطني واللجنة القومية التي انشقت عن الكتلة في مطلع سنة ١٩٣٧ . وقد خرج المؤتمر بقرارات مهمة ابرزها تأسيس حزب جديد باسم الحزب الوطني . وقد اتسع هذا الحزب بحيث اصبحت له فروع عديدة في مختلف المدن المغربية . كما نجح الحزب في استقطاب ابناء القبائل وخاصة حين تصدى لمحاولات المستعمرين الفرنسيين الذين حاولوا الاستيلاء على بعض اراضي القبائل . وقاد الحزب مظاهرات احتجاجية في مطلع سنة ١٩٣٧ خارج مكاتب الادارة الفرنسية في مكناس وذلك لنصرة المزارعين المغاربة الذين تعرضت اراضيهم للدمار بعد تحويل مياه وادي بوفكرن التي كانت تزود مكناس بالمياه وتوجيهها نحو مزارع المستوطنين الفرنسيين . وقد لجات السلطات الفرنسية الى حل الحزب ونفي زعيمه . كما اعتقل عدد من قادته .

حاولت، الحركة الوطنية المغربية الاستفادة من ظروف الحرب العالمية الثانية ، فقررت تأسيس حزب جديد في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ باسم حزب الاستقلال وقد انضمت الى هذا الحزب عناصر من الحزب الوطني المنحل وشخصيات وطنية اخرى وقد قدر لهذا الحزب ان يقود الحركة الوطنية في المغرب لسنوات طويلة كما حظي هذا الحزب بدعم السلطان محمد بن يوسف ، سلطان مراكش الذي كان يعده ، كما يقول روم لاندو في كتابه : تاريخ المغرب في القرن العشرين « الناطق بصوت الامة الحق » .

لقد كانت مطالب حزب الاستقلال في السنوات الاولى محدودة ، وكل ماتم التأكيد عليه هو المطالبة بتطبيق معاهدة الحماية لسنة ١٩١٢ تطبيقاً دقيقاً ، وادخال اصلاحات معينة كانت الادارة الفرنسية تعد بادخالها لسنوات عديدة . ولكنهم اقتنعوا في سنة ١٩٤٥ بان « حقوق المغرب لايمكن ان تضمن الا عن طريق الاستقلال التام » . لذلك نظم سلسلة من التظاهرات وقدم العديد من المذكرات الاحتجاجية ضد السلطات الفرنسية وكان رد فعل هذه السلطات عنيفاً ، حيث هددت السلطان محمد بن يوسف واعتقلت احمد بلا فريج الامين العام للحزب وقدمته الى المحاكمة بحجة اتصاله بقوات المحور . وقد احتج الشعب على هذه الاجراءات وجرت اصطدامات بين المتظاهرين وقوات الاحتلال ادت الى استشهاد عدد من المتظاهرين وتجاه صمود الحركة الوطنية ، حاولت سلطات الاحتلال أصدار مشروع اصلاحي لكن حزب الاستقلال رفض قبول اي مشروع لايعترف صراحة باستقلال المغرب .

عينت الحكومة الفرنسية مقيماً عاماً جديداً هو اريك لابون سنة ١٩٤٦ والذي سمح لعدد من الزعماء الوطنيين المنفيين بالعودة ، ورفع الخطر الذي كان مفروضاً على نشاط الصحف الوطنية ، وقدم مشروعاً للاصلاح يقوم على تأسيس مجالس بلدية منتخبة كمقدمة لتأسيس مجالس تمثيلية نيابية ، يشترك فيها المستوطنون الفرنسيون مع المغاربة ، لكن حزب الاستقلال رفض المشروع ، وفي ١٩٤٧ عينت فرنسا مقيماً جديداً هو الجنرال جوان ، الذي اكد سياسة فرنسا التعسفية تجاه مطالب الحركة الوطنية المغربية . وقد اشتد الخلاف بين السلطان محمد بن يوسف والمقيم الجديد الذي طلب من السلطان اصدار بيان يستنكر فيه نشاط حزب الاستقلال . وتحت وطأة التهديد اضطر السلطان ن اصدار البيان المطلوب في شباط ١٩٥١ ولكن دون الاشارة الصريحة الى حزب الاستقلال .

نظم حزب الاستقلال سلسلة من التظاهرات التي نددت بالاجراءات الفرنسية وأكدت تأييدها للسلطان . وكان لمحاولة اغتيال فرحات حشاد زعيم الحركة النقابية التونسية في كانون الاول سنة ١٩٥٢ اثرها في تفاقم السخط ضد المستعمرين الفرنسيين في المغرب . . وقد استشهد خلال المظاهرات التي قمعت بقسوة شديدة ، قرابة اربعة الاف مواطن مغربي . وقد لجأ المقيم الجديد جيوم الذي عين في اواخر آب ١٩٥٢ الى حظر نشاط حزب الاستقلال واعتقال قادته . . واجبار السلطان محمد بن يوسف على التنازل عن العرش ، لكن السلطان رفض فأعلن المقيم العام خلعه في ٢٠ آب ١٩٥٣ ونصب بدله محمد بن عرفة .

ظهرت خلال الفترة التي اعقبت عزل السلطان محمد بن يوسف تنظيمات حزبية جديدة قاومت حركة النضال بعد انحسار دور حزب الاستقلال وتفكك تنظيماته اثر اعتقال قادته . ومن ابرز هذه التنظيمات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي أسس جيشاً للتحرير . وقد تمكن هذا التنظيم من اغتيال محمد بن عرفة خريف ١٩٥٥ . كما تأسس الاتحاد العام المغربي للشغل .

اضطرت الحكومة الفرنسية ، ازاء تصاعد نضال المقاومة المغربية الى السماح للسلطان محمد بن يوسف بالعودة الى بلاده والدخول معه في مفاوضات انتهت بتصريح عرف باسم تصريح سيل – سان كلود في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥ ضم نقاطاً عديدة ابرزها تشكيل مجلس وصاية ومنحه السلطة الكاملة في ادارة المغرب . وتشكيل حكومة تضم كافة الاتجاهات السياسية واستئناف المفاوضات مع فرنسا بهدف استكمال اجراءات الاستقلال . واقامة نظام ملكي دستوري . وفي ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٥ وصل السلطان الى مراكش واستقبله الشعب استقبالاً منقطع النظير . وفي ٢ اذار ١٩٥٦ صدر بيان مشترك تم فيه الاعلان عن استقلال المغرب ومما جاء في البيان : ان حكومة الجمهورية الفرنسية ، وصاحب الجلالة محمد الخامس سلطان المغرب ، يؤكدان عزمهما على تنفيذ تصريح سيل – سان – كلود الصادر بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٩٥٥ . انهما يلاحظان ، بالنظر للتقدم الذي احرزه المغرب في طريق التطور ، ان معاهدة فاس الموقعة بتاريخ ٣٠ اذار ١٩١٢ لم تعد ملائمة لضرورات الحياة العصرية وغير كافية لتحديد العلاقات الفرنسية المغربية . ومن ثم فأن حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد علناً اعترافها باستقلال المغرب الذي يقتضي ايجاد جيش وسلك دبلوماسي كما تؤكد عزمها على احترام والسعي لجعل الغير يحترم ، سلامة الاراضي المغربية التي تضمنها الاتفاقات الدولية . . » .

استقلال تونس ١٩٥٦ :

أحتلت جيوش الحلفاء تونس في ٨ أيار سنة ١٩٤٣ . ودخلت الجيوش الفرنسية تونس تحت حماية جيوش الحلفاء ، وقد أستغلت السلطات الفرنسية فرصة الحرب لخلع الباي محمد المنصف بحجة ميله الى قوات المحور يوم ١٤ أيار ١٩٤٣ ونفيه الى بلدة الاغواط جنوبي الجزائر . ثم انصرفت السلطات الفرنسية بعد ذلك لقمع الحركة الوطنية فأصدرت اوامرها بأعدام المئات دون محاكمة . كما نسفت القرى الآمنة بسكانها وألقت بالمئات من الوطنيين في السجون . وقد أضطرت هذه الظروف الحزب الدستوري الجديد الى العمل السري ، وعقد مؤتمراً في شباط ١٩٤٥ أصدر بعده قرارات تطالب بضرورة منح تونس استقلالاً ذاتياً . كما اوفد الحزب الحبيب بورقيبة الى مصر . فغادر تونس في ٢٦ آذار ١٩٤٥ واجتاز حدودها سراً ، وبعد سفرة طويلة مملوءة بالمخاطر والمتاعب وصل القاهرة يوم ٢٦ نيسان ١٩٤٥ . وقد أنصرف بورقيبة في القاهرة الى الأتصال بممثلي الأقطار العربية لدى جامعة الدول العربية والحصول على دعم لقضية أستقلال تونس .

وقد تولى صالح بن يوسف أمين الحزب العام قيادة الحركة الوطنية في تونس أثناء غياب الحبيب بورقيبة في القاهرة. وقد شهدت تونس في تموز ١٩٤٦ انتفاضات عارمة وخاصة في زرمدين ، وهي قرية تقع على الساحل . وقد واجهت السلطات الفرنسية هذه الأنتفاضة بقسوة شديدة . وكان لذلك أثره في سعي أطراف الحركة الوطنية التونسية لرص صفوفها ، فعقدت مؤتمراً سرياً في تونس في ٢٣ أيار ١٩٤٦ حضره ممثلون عن الحزب الدستوري الجديد وآخرون عن الحزب الحر الدستوري . هذا فضلاً عن ممثلين عن الأتحادات والجمعيات النقابية . وقد طالب المؤتمر بالاستقلال التام والأنضمام الى جامعة الدول العربية . وسرعان ماكشفت السلطات الفرنسية مكان المؤتمر فأعتقلت معظم أعضائه وقادتهم الى السجن . وأدى ذلك الى نشوب سلسلة من التظاهرات والاضرابات، كما أحتجبت جميع الصحف التي تصدر باللغة العربية . وتردد صدى هذه الحوادث في العالم ، وخشيت السلطات الفرنسية اندلاع الثورة في البلاد، فأطلقت سراح المعتقلين بعد ان قضوا شهراً في السجن .

حاولت السلطات الفرنسية ارضاء الحركة الوطنية التونسية، فأصدرت برنامج أصلاحات يوم ٢٣ أيلول ١٩٤٦ وكان أهم ماتضمنه البرنامج أحداث مجلس وزراء يتكون من ست وزراء تونسيين وست وزراء فرنسيين . ورفع عدد المجالس البلدية المنتخبة رفض الشعب هذا البرنامج وأحتج عليه . لكن هذا لم يمنع من اجراء تفاهم بين المقيم العام الفرنسي الجنرال ماست وقادة الشعب الذين أكدوا أن مطلبهم الأساس هو الأستقلال التام لتونس . وفي آب ١٩٤٧ أعلنت فرنسان مشروعاً آخر للأصلاح وقد رفضته الحركة الوطنية كذلك وحدث في السنة ذاتها اضراب عام نظمه الأتحاد العام التونسي للشغل في مدينة صفاقس في ١٥ آب ضد شركة صفاقس – قفصة ، وهاجم الجنود الفرنسيون العمال المضربين وقتلوا وجرحوا عدداً كبيراً منهم .

عاد بورقيبة الى تونس في أيلول سنة ١٩٤٩ وأستلم من جديد زعامة الحزب الدستوري الجديد وقيادة الحركة الوطنية . وفي حزيران ١٩٥٠ أصدرت الحكومة الفرنسية بياناً أعربت فيه عن نيتها بمنح تونس أستقلالاً ذاتياً . ثم أصدرت مراسيم اصلاحية جديدة في ٨ شباط ١٩٥١ وقد اضطر بورقيبة الى القبول بها انسجاماً مع سياسته القائمة على أساس « خذ وطالب » خاصة وأنها أبرزت للمرة الأولى ومنذ اعلان الحماية شخصية السلطة التنفيذية التونسية المتمثلة بالوزير الأكبر التونسي الذي يعد بمثابة رئيس الأدارة العامة في تونس .

تشكلت في آب ١٩٥٠ وزارة تونسية برئاسة بن محمد شنيق وكان من اعضائها صالح بن يوسف الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد . وكان من المقرر ان تسعى هذه الوزارة لبدء المفاوضات التي « ينبغي ان تقود البلاد التونسية على مراحل نحو الاستقلال الذاتي » . ولكن تحالف بعض اصحاب المصالح في فرنسا وتونس ، ضد مجرى السياسة الفرنسية الجديدة كان قوياً جداً . وفي تونس نفسها كان الجو العام مشحوناً بالتوتر بسبب سوء نية كبار الموظفين الفرنسيين الذين رفضوا تقبل الوضع الجديد ولم يتردد هؤلاء في اراقة دماء التونسيين الذين اضربوا في النفيضة يوم ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٠ ولكن المفاوضات ظلت متواصلة حتى فشلت يوم تسلم الوزير شنيق مذكرة الخارجية الفرنسية المؤرخة في ١٥ كانون الاول ١٩٥١ والتي اكدت على ابقاء نوع من المراقبة الفرنسية على الحياة السياسية بتونس . وسرعان ما اعلن بورقيبة « ان صفحة في تاريخ تونس قد طويت واخرى قد بدأت » فاعطى بذلك الاشارة لكفاح انتهى باعلان الاستقلال وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٥٢ اندلعت في تونس ثورة عارمة ضد السلطات الفرنسية . وكانت الشرارة التي أشعلت الثورة ، اعتقال بورقيبة وعدد من قادة الحزب الدستوري الجديد . وقد بدأت الثورة باعلان اضراب عام في تونس ، سرعان ماتتسع نطاقه ليتحول الى ثورة شعبية . وقد لجأت السلطات الفرنسية في تونس بعد وصول المقيم الجديد جان دو هوتكلوك S. De Hautecloque الى تشكيل منظمة ارهابية

باسم « اليد الحمراء» معظم اعضائها من رجال البوليس وكانت مهمتها « اختطاف الزعماء الوطنيين واعتقالهم » . وكان من ضحاياها فرحات حشاد مؤسس الاتحاد العام التونسي للشغل يوم ٥ كانون الاول ١٩٥٢ .

نظم الشعب التونسي نفسه داخل تنظيمات مسلحة . وكان المنخرطون في هذه التنظيمات خليطاً من اعضاء حركة الفلاقة التي ترجع في نشأتها الى ايام الحرب العالمية الثانية . وضمت هذه الحركة التي ظهرت لاول مرة في الجنوب والساحل عناصر متعددة النزعات وغير منضوية الى حزب سياسي . وقد التحق اعضاؤها بالاحراش وقادوا من هناك حركة كفاح مسلح ضد المستعمرين . وقد لاقت هذه المنظمة الكثير من القمع على ايدي السلطات الفرنسية التي قضت على نشاطها في الجنوب سنة ١٩٤٤ وفي الساحل سنة ١٩٤٨ . كما أنضمت الى حركة الكفاح المسلح عناصر من شباب الحزب الدستوري الجديد ومن الاهالي الذين قاسوا الكثير من الويلات والقمع . وتمكن الحزب الدستوري الجديد عبر سلسلة من العراقيل والمصاعب الجمة من ان يمد المقاومة بالعون والتوجيهات وذلك بصفة مستمرة . ورغم بساطة الاسلحة المتوفرة ونقص الكوادر الفنية المتدربة فان المقاومة المسلحة استمرت حتى تشرين الثاني ١٩٥٤ .

اضطرت الحكومة الفرنسية ازاء اشتداد الثورة وبفعل هزيمتها المنكرة التي منيت بها في موقعة ديان بيان فو Dien Bien ph u في ربيع ١٩٥٤ الى تغيير سياستها . ففي ٣١ تموز ١٩٥٤ وصل منديس فرانس Mendes – France رئيس وزراء فرنسا الى قرطاج واعلن استقلال تونس الداخلي . وفي ٤ ايلول ١٩٥٤ بدأت المفاوضات بين الجانبين التونسي والفرنسي واستمرت حتى ٣ حزيران سنة ١٩٥٥ . وخلال فترة المفاوضات ، وجه المقيم الفرنسي العام نداء الى الثوار ، طالبهم فيه تسليم اسلحتهم الى السلطات الفرنسية ، واعداً اياهم بالعفو .

وفي ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٤ تعهدت الحكومة التونسية والمقيمية العامة بضمان سلامة الثوار واستطاع الحزب الدستوري الجديد اقناع اعداد كبيرة من الثوار بتسلم اسلحتهم . وسرعان ما تشكلت وزارة المفاوضات فكانت تضم ثلاثة من اعضاء الحزب الدستوري الجديد منهم المنجي سليم ومن شخصيات مستقلة اخرى . وبدأت المفاوضات عسيرة وزاد في تعقيدها اندلاع الثورة الجزائرية يوم ١ تشرين الثاني ١٩٥٤ وتدهور الحالة في المغرب ، فظهرت حكومة منديس فرانس بمظهر المفاوض المتصلب وخاصة فيما يتعلق بحقوق الفرنسيين المقيمين في تونس . وخلال المفاوضات سقطت وزارة فرانس في ٥ شباط ١٩٥٥ وخلفتها وزارة ادقار فور Edgar Faure الذي انهى المفاوضات ووقع على الاتفاقيات التونسية – الفرنسية في ٣ حزيران ١٩٥٥ .

اثارت اتفاقيات ١٩٥٥ انقسامات حادة داخل صفوف الحزب الدستوري الجديد . ذلك ان امينه العام صالح بن يوسف رفض الاتفاقيات التي لم تعطِ تونس سوى الاستقلال الداخلي ودعا الى مواصلة النضال جنباً الى جنب مع اقطار المغرب العربي الاخرى . ورغم ان مؤتمر الحزب الدستوري الجديد المنعقد بصفاقس يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٥ قد ايد بورقيبة وسياسته الواقعية تاييدا مطلقا . فقد قامت معركة عنيفة لاهوادة فيها بين انصار بورقيبة وانصار صالح بن يوسف . وقد دفعت هذه المعركة بالحزب الدستوري الجديد ، بدون شك ، الى ان يصلب من مواقفه ازاء فرنسا ، وان يصعود الى مطالبه وكانت هذه كما يقول محمد الهادي الشريف في كتابه « تاريخ تونس » ، ثابتة من الثوابت في سياسة بورقيبة وتتمثل في انه يعتمد على تنازلات الخصم ليطالب بمزيد منها .

عاد صالح بن يوسف الى تونس في ١٣ ايلول ١٩٥٥ فحاول بورقيبة اقناعه بالعدول عن معارضته للاتفاقيات ، وعرض عليه رئاسة الحكومة لكن بن يوسف رفض ، فقرر بورقيبة فصله من الحزب ورد صالح بن يوسف على بورقيبة باجراء مماثل ، وانقسم بذلك الحزب الدستوري الجديد على نفسه . فكان المكتب السياسي برئاسة بورقيبة والامانة العامة برئاسة بن يوسف وقد اصدرت الحكومة الفرنسية امراً باعتقال صالح بن يوسف الذي فر الى ليبيا فاصدر بورقيبة قراراً بحل الامانة العامة . وكان لهذه التطورات والعوامل تتعلق بتعاظم المد القومي في الجزائر والمغرب اثر في استجابة الحكومة الفرنسية لنداء بورقيبة باستئناف المفاوضات بعد ان ادركت ان معارضتها له قد تدفع بالتونسيين الى معارضة بورقيبة نفسه . وفي ٢٠ آذار ١٩٥٦ اعلنت حكومة غي مولية الفرنسية الغاء معاهدة ١٢ ايار ١٨٨١ واستقلال تونس استقلالا تاما . وقد احتفظت فرنسا بقاعدة بنزرت البحرية حتى تشرين الاول ١٩٦٣ . وكانت اول خطوة اقدمت عليها تونس عقب حصولها على الاستقلال ابعاد البايات واعلان قيام النظام الجمهوري يوم ٢٥ تموز ١٩٥٧ . وقد تسلم بورقيبة ورفقاؤه من قادة الحزب الدستوري الجديد الذي يطلق عليه الان الحزب الاشتراكي الدستوري مقاليد الحكم حتى يومنا هذا .

استقلال موريتانيا ١٩٦٠ :

ترجع جذور المصالح الفرنسية في موريتانيا الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين نجح الفرنسيون في اقامة سلسلة من المراكز التجارية على طول نهر السنغال. كما اصبحت موريتانيا . مركزاً لنشاط الضباط الفرنسيين الذين حاولوا التوغل في مناطقها الداخلية رغبة في توسيع نفوذهم . وقد نجحوا في اواخر القرن التاسع عشر في عقد اتفاقات تجارية وسياسية مع عدد من زعماء القبائل الموريتانيين . وفي مطلع القرن العشرين احتلت فرنسا موريتانيا والحقتها منذ سنة ١٩٠٤ بالسنغال وكان لدخول المغرب تحت الحماية الفرنسية سنة ١٩١٢ اثر كبير في تسهيل عملية السيطرة على موريتانيا . وفي ١٩٢٠ اصبحت موريتانيا مستعمرة فرنسية يديرها مقيم عام .

كان للسيطرة الفرنسية على موريتانيا دور كبير في تردي اوضاع السكان الموريتانيين الصحية والثقافية والاجتماعية . كما عمدت السلطات الفرنسية الى طمس معالم الشخصية العربية في موريتانيا بتأكيد اللغة الفرنسية واهمال اللغة العربية . وقد ادت هذه الاوضاع المتردية الى تنامي الوعي القومي في موريتانيا ، فظهرت منذ الثلاثينات حركات معارضة نادت بتحقيق بعض المطالب ومنها الدعوة الى الاستقلال الذاتي والاهتمام بالتعليم . وخلال الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية تأسست في موريتانيا بعض الاحزاب السياسية التي طالبت بالاستقلال . ومن هذه الاحزاب حزب الاتحاد الوطني وحزب الشباب وحزب التفاهم الموريتاني وحزب الاتحاد التقدمي الموريتاني .. وقد عانت الحركة الوطنية الموريتانية من خطر الانقسام مما سهل للسلطات الفرنسية مهمة ضرب الاحزاب الوطنية بعضها بالبعض الاخر . وجرت في مطلع سنة ١٩٥٨ محاولة لتوحيد الاحزاب الموريتانية فظهر حزب التجمع الموريتاني من اندماج حزبي الاتحاد التقدمي والتفاهم .

كان لموريتانيا نائب يمثلها في الجمعية الوطنية الفرنسية منذ سنة ١٩٢٠ . وفي أيار ١٩٥٨ أصدر الجنرال ديكول دستوراً نص على حرية المستعمرات الفرنسية في اقامة حكومات محلية ذات استقلال ذاتي على ان تتولى الحكومة المركزية الفرنسية قضايا الدفاع والاقتصاد والخارجية . وقد ظهرت في موريتانيا استناداً الى هذا الدستور وزارة موريتانية ، والغي منصب الحاكم الفرنسي العام لكن هذا الاجراء لم يقنع قادة الحركة الوطنية الذين انقسموا على انفسهم وظهر من بينهم اتجاهان ، دعا اولهما الى الاستقلال التام . اما الاتجاه الثاني . فقد دعا الى الانضمام الى المغرب . وقد حاولت المملكة المغربية على هذا الاساس الحيلولة دون حصول موريتانيا على الاستقلال . بحجة انها جزء من

اراضيها . وكان لتنامي الوعي الوطني وظروف تصاعد المد القومي الدور الكبير في اشتداد المقاومة المسلحة ضد السلطات الفرنسية الامر الذي اضطر هذه السلطات الى استخدام اساليب القمع والقسوة . كما حدث في مواجهة انتفاضة نواكشوط العاصمة في تشرين الاول ١٩٦٠ التي حدثت اثر احتفال الموريتانيون بالتضامن مع الثورة الجزائرية ..

لقد اخفقت السياسة الفرنسية في اخماد جذوة الحركة الوطنية في موريتانيا . فعلى الرغم من اعتقال قادة الحركة والتنكيل بهم واستخدام القوة في مواجهة المتظاهرين . الا ان مطالب الشعب العربي في موريتانيا بالاستقلال زادت قوة . لذلك اضطرت الحكومة الفرنسية الى الاعلان في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٠ عن استقلال موريتانيا ، فظهرت اثر ذلك الجمهورية الموريتانية الاسلامية .

استقلال الصومال ١٩٦٠ :

تعرضت الاراضي المطلة على البحر الاحمر من جهة الغرب اي الصومال وارتيريا للغزو الاستعماري الاوربي منذ بدء حركة الاستكشافات الجغرافية ، فكان الصراع قوياً بين العثمانيين المسيطرين على مصر والسودان في الساحل الغربي للبحر الاحمر وعلى الساحل الشرقي للبحر نفسه والبرتغاليين ومن تلاهم من الايطاليين . غير ان هذه المنطقة تم اقتسامها في اواخر القرن التاسع عشر بين فرنسا وايطاليا وبريطانيا واثيوبيا . وأقر هذا التقسيم في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ .

بدأ التغلغل الايطالي في ساحل البحر الاحمر والسودان الشرقي منذ سنة ١٨١٩ . وفي سنة ١٨٨١ عينت ايطاليا مقيماً لها في منطقة عصب عند مضيق باب المندب . وبعد أربع سنوات ارسلت الحكومة الايطالية قوات عسكرية لاحتلال عصب . وقد راقب المستعمرون الايطاليون عن كتب استفحال الثورة المهدية . ففي اول كانون الثاني سنة ١٨٩٠ صدر مرسوم ملكي في ايطاليا بانشاء مستعمرة ارتريا . وبعد هزيمة المهديين احتل الايطاليون مدينتي اغوردات وكسلا . وقد سعى الايطاليون لتثبيت نفوذهم في ارتيريا بعقد بضع اتفاقات مع بريطانيا وحكومتي السودان واثيوبيا تتعلق بحدود المستعمرة .

أما فرنسا فقد احتلت جيبوتي . وكان لايطاليا موضع قدم كذلك في الساحل الأبطالي . وقد احتلت بريطانيا بقية اراضي الصومال وعلى هذا النحو اقتسمت الدول

الاستعمارية الصومال فيما بينها فظهر ماسمي فيما بعد بالصومال الأيطالي والصومال الفرنسي . كما أحتلت أثيوبيا الصومال الغربي المعروف بمنطقة اوغادين .

رفض الصوماليون الأحتلال الأجنبي وقاوموا المستعمرين فحدثت انتفاضات عديدة ابرزها تلك التي قادها محمد بن عبد الله حسن ضد المستعمرين الأنكليز سنة ١٨٩٩ . وقد أتخذ هذا من الجزء الجنوبي الشرقي من الصومال الأنكليزي قاعدة لنشاطه و كانت هذه المنطقة تجاور حدود الصومال الأيطالي . وقد لجأت السلطات البريطانية الى أستخدام الطائرات في قمع الثورة التي أستمرت زهاء عشرين عاماً. في الصومال الفرنسي ، وقفت السلطات ضد أي نشاط سياسي وأستخدمت أسلوب القمع والأضطهاد أما في الصومال الأيطالي ، فقد واجه الشعب هناك محاولات السلطات الأيطالية لأخضاع السكان وحرمانهم من ممارسة دورهم السياسي وتسخيرهم لخدمة المصالح الأستعمارية ولعل من أبرز الأنتفاضات التي جرت هناك. تلك التي قادها أحد الزعماء الصوماليين وهو لامير قبيل الحرب العالمية الثانية . وقد نجح لامير في ضرب القواعد العسكرية الايطالية على طول جبهة تمتد من جوهر حتى جنالي ، ولم يتمكن الايطاليون من إخماد الانتفاضة . وظل الأمر على هذه الصورة حتى استطاعت القوات البريطانية من الدخول في منطقة الصومال الايطالي وابرام اتفاقية مع اثيوبيا في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٢ والتي بموجبها وضعت منطقة اوغادين تحت الادارة العسكرية البريطانية . وفي ١٩ كانون الاول ١٩٤٤ جددت الاتفاقية ونصت على ان يستمر الاحتلال العسكري البريطاني لمنطقة اوغادين لمدة عشر سنوات ثم تتخلى بريطانيا عنها بعد ذلك لاثيوبيا .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اتسع نشاط الحركة الوطنية الصومالية ، وظهرت احزاب ومنظمات سياسية عديدة قادت الكفاح الوطني باتجاه التحرير والوحدة ففي الصومال الفرنسي تأسس فرع لنادي الشباب الصومالي في جيبوتي سنة ١٩٤٥ وترجع جذور هذا النادي الى سنة ١٩٤٣ ، حين قام ثلاثة عشر شاباً صومالياً بتأسيسه في مقديشو سنة ١٩٤٣ . وكان من ابرز اهداف هذا النادي محاربة النعرات القبلية والاقليمية والنهوض بالمستوى الثقافي للشباب . وفي سنة ١٩٤٧ استطاع قادة النادي من تحويله الى حزب سياسي باسم حزب وحدة الشباب الصومالي واصبحت الدعوة الى وحدة التراب الصومالي وتحريره من اهم اهداف الحزب . كما اظهرت احزاب اخرى في الصومال الايطالي منها حزب الاتحاد القومي الذي تأسس سنة ١٩٤٦ وحزب الشباب الاحرار الصومالي الذي تأسس سنة ١٩٥٦ وحزب عصبة الصومال الكبير الذي تأسس سنة ١٩٥٨ ونص برنامجه على العمل من أجل وحدة الوطن الصومالي الكبير .

اما في الصومال البريطاني فقد كان حزب الرابطة الصومالية من اهم التنظيمات السياسية التي دعت الى الاستقلال التام ووحدة اجزاء الصومال . وقد كانت صحيفة قرن افريقيا لسان حال هذا الحزب . وكان من ابرز مايلحظ على بعض هذه التنظيمات انها كانت ذات اسس قبلية ، وقد حرص المستعمرون الفرنسيون والايطاليون والانكليز على تمزيق وحدة الشعب الصومالي عن طريق دعم بعض هذه التنظيمات وابعادها عن هدفها الاساس .

اقدمت بريطانيا في ايلول سنة ١٩٤٨ على التنازل لاثيوبيا عن مسؤولية الاشراف الاداري على منطقة اوغادين . وفي ١٩٤٩ قررت الامم المتحدة في دورتها الرابعة جعل الصومال دولة مستقلة ذات سيادة بعد مضي عشرسنوات . وان تتولى ايطاليا ادارة المنطقة خلال هذه الفترة . وفي شباط ١٩٥٠ اصبحت ايطاليا مسؤولة عن ادارة الصومال الايطالي ريثما تنتهي فترة الانتداب المحددة . وقد سعت ايطاليا خلال هذه الفترة الى طمس معالم الشخصية العربية في الصومال ، فجعلت الايطالية لغة رسمية هناك . كما رفعت علماً يوحي بان الصومال اصبح جزءاً من ايطاليا واضطهدت قادة حزب وحدة الشباب الصومالي واغلقت فروعه ومارست اساليب القمع تجاه الانتفاضة الشعبية التي حدثت سنة ١٩٥٥ وازاء تدخل الامم المتحدة ، فقد اضطرت الى تأسيس حكومة محلية وجمعية تشريعية في الصومال الايطالي سنة ١٩٥٩ وشرعت في اسناد المناصب الادارية والعسكرية الى بعض الصوماليين الموالين لسياستها .

قدمت الجمعية التشريعية في الصومال الايطالي اقتراحاً ينص على تقديم موعد الاستقلال الذي كان مقرراً له في الاصل في ٢ كانون الاول ١٩٦٠ . وكلفت الجمعية التشريعية ايطاليا بوصفها الدولة المنتدبة ان تعرض اقتراحها هذا على الامم المتحدة . وفي الاول من تموز ١٩٦٠ حصل الصومال الايطالي على استقلاله .

لقد سعت الحكومة المحلية والجمعية التشريعية التي تأسست في الصومال الايطالي الى الاتصال بقادة المنظمات السياسية الوطنية في الصومال البريطاني منذ سنة ١٩٥٦ بهدف الوصول الى صيغة للتعاون والتشاور حول مستقبل الصومال . وفي ٦ كانون الثاني ١٩٦٠ تم التوصل بين وفد من الصومال الايطالي وآخر من الصومال البريطاني على اتفاق لاعلان الوحدة . وقد تأجل ذلك لحين اعلان الاستقلال . وفي ٢٦ حزيران ١٩٦٠

تم الاعلان عن استقلال الصومال البريطاني . وقد غدا الاول من تموز ١٩٦٠ عيداً للوحدة بين الصومالين الايطالي والبريطاني . واعلن عن تأسيس جمهورية الصومال الديمقراطية . وصدر دستور جديد اكد على وحدة الاراضي الصومالية الاخرى كما قبلت الصومال عضواً في جامعة الدول العربية وهيئة الامم المتحدة . وفي ١٢ حزيران ١٩٦٥ طلبت الحكومة الصومالية من الامم المتحدة ضم الصومـــال الفرنسي اليها . واقترحت ان تناط بها ادارة الصومال الفرنسي نيابة عن فرنسا لمدة سنتين قبل اجراء استفتاء لتقرير المصير واكدت الحكومة الصومالية ان الصومال الفرنسي ماهوالا جزء من الارض الصومالية . وان الحقائق التاريخية والجغرافية تؤكد اهمية عودته .. وفي ٢٠ كانون الاول ١٩٦٦ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار يؤيد حق شعب الصومال الفرنسي في تقرير مصيره . وفي ٦ اذار ١٩٦٧ جرى الاستفتاء واعلنت نتائجه في ١٧ اذار من العام نفسه . وكان عدد الاصوات التي ابدت استمرار الوجود الفرنسي (٢٢٫٥٥٥) صوتاً . في حين عارض هذا الوجود (١٤٫٦٦٦) صوتا . وفي ٢٢ آذار ١٩٦٧ اعلن الرئيس الفرنسي ديكول قانون الجمعية الوطنية الفرنسية بمنح الصومال الفرنسي الاستقلال الذاتي وتشكلت حكومة برئاسة علي عارف في ١٥ نيسان ١٩٦٧ واصبح اسم الصومال الفرنسي « اقليم عفار وعيسى » لـكن الامم المتحدة رفضت نتائج الاستفتاء ودعت الى توفير الاجواء السليمة لاجراء عملية استفتاء جديدة ومنح الصومال الاستقلال الكامل في اقرب وقت ممكن وفي سنة ١٩٧٧ اعلن عن استقلال اقليم عفار وعيسى باسم جمهورية جيبوتي التي قبلت بعد اعلان الاستقلال عضوا في جامعة الدول العربيه وهيئة الامم المتحدة .

استقلال الـكويت ١٩٦١ :

اشرنا فيما سبق الى ان بريطانيا استطاعت منذ أواخر القرن التاسع عشر ضمان مصالحها في الكويت وذلك بعقدها معاهدة ٢٣ كانون الثاني ١٨٩٩ مع شيخ الكويت مبارك الصباح (١٨٩٦ - ١٩١٥) . كان لمشروع سكة حديد بغداد الذي حصل عليه الالمان من الدولة العثمانية من الاسباب التي دفعت بريطانيا الى الاهتمام بالكويت خوفا من امتداد السكة اليها . هذا فضلا عن اهمية موقعها ومرساها الجيد ووقوعها على خليج طبيعـي اعطاها ميزات جعلها من افضل الموانيء في منطقة الخليج العربي .

وبعد وفاة الشيخ مبارك في ٣٠ كانون الاول ١٩١٥ تولي الحكم من بعده ولـده الاكبر جابر الذي امتد حكمه من كانون الثاني ١٩١٦ الى شباط ١٩١٧ حيث تولى شقيقه سالم الحكم . وكان الشيخ سالم ضد سياسة الصداقة التي كانت يتبعها والده تجـاه بريطانيا لذلك اظهر بوضوح انه يميل الى العثمانيين ، وقيل انه كان يقدم لهم المساعدات خلال الحرب العالمية الاولى وقد تبين ان هذه المساعدات كانت تصل للقوات العثمانية في شبه الجزيرة العربية وسوريا عندما كان البريطانيون يحتلون فلسطين . وهكذا قامت القوة البحرية الملكية البريطانية بمحاصرة الكويت في شباط ١٩١٨ وتحذير الشيخ سالم بالا يستمر في العمل ضد المصالح البريطانية .

عانت الكويت كثيراً من الويلات جراء الحصار البحري البريطاني لما وفي اذار ١٩٢١ توفي الشيخ سالم . فتولى الحكم بعده الشيخ احمد الجابر في ٢٩ اذار ١٩٢١ الذي وطد علاقته بالبريطانيين . وخلال مدة حكمه انعقد مؤتمر العقير في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٢ واستمر لمدة خمسة أيام وحضر المؤتمر ممثلون عن العراق والكويت والسعودية وكان هدف المؤتمر مناقشة مشاكل الحدود . وطبقاً لهذا المؤتمر . فقد دفعت الحدود الجنوبية للكويت . مائة وخمسين ميلاً الى الوراء لصالح سلطنة نجد . اما الحدود الكويتية - العراقية فقد اصبحت تبدا عند تقاطع وادي العوجة مع وادي الباطن وتسير مع وادي الباطن شمالا حتى نقطة تقع جنوب خط عرض صفوان . ومن هناك يتجه شرقاً ماراً جنوب آبار صفوان وجبل سنام وام قصر . وهكذا حتى ملتقى مصبي خور الزبير وخور عبدالله . ولم تناقش الحدود الكويتية العراقية في هذا المؤتمر لان النزاع كان محصوراً بين نجد من جهة وكل من العراق والكويت من جهة اخرى .

انتهز الشيخ احمد الجابر فرصة تسوية انواع الحدود بين الكويت ونجد للعناية بالشؤون الداخلية . وقد كان لاكتشاف النفط في الكويت في الثلاثينيات اثر كبير في اجبار الانكليز على اعادة النظر في سياستهم ازاء الكويت . وفي ١٩٣٠ بدأت كل من شركة النفط الانكلو - ايرانية وشركة نفط الخليج الشرقية مباحثات منفصلة مع شيخ الكويت للحصول على حق امتياز التنقيب عن النفط . وفي ٢٣ كانون الاول ١٩٣٣ منح الشيخ احمد الجابر الامتياز لشركة نفط الكويت (شكلت من الشركتين المتنافستان حسب الشروط المتفق عليها في اتفاقية ١٩٣٣) وقد اشترطت بريطانيا ان يكون لها خمسين في المائة من رأسمال الشركة . كما احتفظت بقوة التصويت فيها . وقد غطى الامتياز جميع اراضي الكويت اليابسة وجزرها القريبة من الشاطيء وذلك لمدة خمسة وسبعين سنة . ووافقت الشركة مبدئيا على دفع ٤٧٠٠٠٠ روبية أي ١٤٢٫٠٠٠ دولاراً ، بالاضافة الى ايجار سنوي قدره ٩٥٫٠٠٠ روبية (٢٨٫٠٠٠) دولاراً . ويذكر الدكتور احمد حسن جودة في كتابه

« المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ » . ان شروط الامتياز لم تكن في صالح الكويت خاصة وان الوضع الاقتصادي انذاك كان راكداً ، لما لحق بصناعة صيد اللؤلؤ ، وهي الصناعة الاساسية في الكويت وما يلحق بها من صناعات مثل بناء السفن ، من نكسات خطيرة بسبب انتشار اللؤلؤ الصناعي الياباني ، هذا فضلاً عن انعكاس اثار الازمة الاقتصادية العالمية انذاك على الكويت .

وفي ٣٠ أيار ١٩٣٦ بدأ حفر اول بئر في الجرة رقم (١) كما اكتملت في الوقت نفسه عمليات الحفر في منطقة ايرقان جنوب شرقي الكويت واستمر الحفر حتى تموز ١٩٤٢ حين امر الجيش البريطاني بوقف العمليات . وفي تشرين الاول ١٩٤٥ استؤنفت عمليات الحفر . وفي ٣٠ حزيران ١٩٤٦ تدفق النفط لاول مرة حين ادار الشيخ جابر الصمام ايذاناً ببدء تعبئة اول شحنة من النفط الكويتي الخام .

عانت الكويت خلال هذه المرحلة من مشكلة نظام الحكم . وقد حلت هذه المشكلة من خلال التأكيد على انه ليس من الضروري ان يعتمد في خلافة الحكم على الابن البكر ، وانما يتم الامر ، طبقاً للتقاليد العربية التي تقوم على اساس اجتماع اكبر اعضاء الاسرة الحاكمة سناً واختيار خليفة للشيخ المتوفي ، ويتميز هذا النظام باستبعاد القاصرين والضعفاء وقد اتبعت هذه الطريقة في الكويت .

لقد ادرك الكويتيون اهمية النظام النيابي الديمقراطي . فمنذ ١٩٢٠ تم انتخاب مجلس للشورى من اثني عشر عضواً برئاسة حمد العبدالله آل صقر . وقد قسمت الكويت في حينه الى قسمين انتخب من كل منهما ستة ممثلين للمجلس ، لكنه انحل من تلقاء نفسه . وفي ١٩٣٤ اختار الكويتيون مجلساً بلدياً لمدينة الكويت ومجلساً آخر للمعارف سنة ١٩٣٦ . وفي بلد كان الحكم فيه مطلقاً كالكويت ، كان لهذه التطورات ان تواجه بعض المشاكل منها الصراع بين المجلسين والشيخ . وقد قام الحاكم بحل مجلس المعارف واجبار المجلس البلدي على ان يحل نفسه . وبدون شك فقد جعلت هذه الاحداث ، جبهة المعارضة للحكم اكثر قوة فاخذت هذه الجبهة على عاتقها تنظيم الحركة الوطنية وقيادتها لفترة من الزمن . وتمثلت الحركة الوطنية خلال الثلاثينات بجمعية سرية عرفت باسم « الشبيبة » والتي كانت تدعمها الحكومة العراقية وقادت هذه الجمعية اتجاهاً عربياً دعا الى ضم الكويت الى العراق وتحدي النفوذ البريطاني في كل من العراق والكويت . وقد قام الملك غازي بدور كبير في هذا المجال ، حيث اتهم شيخ الكويت من خلال

اذاعة قصر الزهور بانه امير اقطاعي عتيق ، وان حكمه يتعارض مع حكم العراق القومي وان دمج الكويت مع العراق هو أكثر فائدة لها .

قامت جمعية الشبيبة وضمت عناصر من الشباب الكويتيين الذين تلقى عدد منهم تعليمهم في العراق . في حزيران ١٩٣٨ بارسال وفد الى الشيخ احمد الجابر يحمل مذكرة جاء فيها : « ان الأساس الذي بايعتك عليه الامة لدى أول يوم من توليك الحكم جعل الحكم بينك وبينها على اساس الشورى التي فرضها الاسلام ومشى عليها الخلفاء الراشدون في عصورهم الذهبية . غير ان التساهل الذي حدث من الجانبين ادى الى تناسي هذه القاعدة الاساسية . كما ان تطور الاحوال والزمان واجتياز البلاد ظروفاً دقيقة تبعث المخلصين من رعاياك ان يبادروا اليك بالنصيحة راغبين في التفاهم واياك على مايصلح الامور ، ويدرأ عنهم وعنك عوادي الايام وتقلبا الظروف ويصون لنا كيان بلادنا وحفظ استقلالنا غير قاصدين الا ازالة اسباب الشكوى واصلاح الاحوال عن طريق التفاهم مع المخلصين من رعاياك ومتقدمين اليك بطلب تشكيل مجلس تشريعي مؤلف من احرار البلاد للاشراف على تنظيم امورهما . وقد وكلنا حاملي كتابنا هذا ليفاوضوك على هذا الاساس » .

وافق الشيخ احمد الجابر على تلك المطالب وجرت الانتخابات ، ونزل الوطنيون تحت اسم الكتلة الوطنية وكان اول ماعمله المجلس التشريعي هو وضع قانون اساسي (دستور) يعد اول وثيقة من نوعها في تاريخ الكويت ومن اهم مبادئها مايلي :

١- الامة مصدر السلطات ممثلة في هيئة نوابها المنتخبين .
٢- يشرع المجلس كافة قوانين البلاد .
٣- مجلس الامة التشريعي هو الجهة التي تصدق على المعاهدات الخارجية .

تألف المجلس التشريعي من اربعة عشر عضواً برئاسة عبد الله السالم الصباح . وبعد فترة قصيرة الغي المجلس واجريت انتخابات جديدة في كانون الاول ١٩٣٨ وجاء الى المجلس عشرون عضوا كان بينهم سبعة من القوميين وانشق المجلس الى حزبين احدهما يؤيد الانضمام الى العراق والأخر يؤيد الاستقلال . ويذكر الدكتور احمد حسن جودة ان الاوضاع الاقتصادية انذاك كانت تجعل الانسان يميل الى الاعتقاد بان غالبية الناس ، وخصوصا رجال الاعمال كانوا يؤيدون الحزب الاول . فقد كانوا يدركون ان احوالهم تزدهر اذا ضمت الكويت الى العراق .

نص الدستور على ضمان استقلال الكويت. وارسل الشيخ الى المجلس مسودة الدستور التي تقول بان الكويت مستقلة « تحت الحماية البريطانية » فرفض المجلس هذا النص واطلب الحاق الكويت بالعراق وضمها اليه . وقد ادت هذه الاحداث الى ثورة في الكويت في ايار ١٩٣٨ . فقام الشيخ احمد الجابر باعلان حالة الطوارئ وتمكن من اخماد الثورة والقبض على اعضاء المجلس واصدر دستوراً جديدا اكد فيه من جديد الرابطة الكويتية مع بريطانيا وانشأ مجلساً تشريعياً محدوداً . ولكنه اضاف بان قرارات ذلك المجلس غير ملزمة الا اذا حظيت بموافقة الشيخ . وكان من المقرر ان يتكون المجلس من عشرين عضواً عشرة منهم يعينون من قبل الشيخ ، ولكن هذا المجلس المقترح لم يجتمع منذ سنة ١٩٣٩ وبدلاً من ذلك استعاض عنه الشيخ بمجلس للشورى مكون من ثمانية اعضاء معينين لم تكن مشورتهم ملزمة للشيخ على اية حال .

وصل نمو صناعة النفط في الكويت الذروة خلال حكم الشيخ عبدالله السالم الصباح (١٩٥٠ – ١٩٥٦) الذي خلف ابن عمه الشيخ احمد . وحمل تأميم عمليات شركة الانكلو – ايرانية في سنة ١٩٥١ . شركة نفط الكويت على زيادة الانتاج الذي قفز من ٣٧ مليون طن سنة ١٩٥٢ الى ٦٠ مليونا في سنة ١٩٥٦ و٨٢ مليونا في سنة ١٩٦٠ . واصبحت الكويت خلال عشر سنوات اكبر دولة مصدرة للنفط في المنطقة وكانت بريطانيا تعتمد على الكويت في الحصول على ٤٠ بالمائة من صادراتها النفطية السنوية . وخلال الخمسينيات بلغت حصة الكويت من احتياطي النفط المثبت في العالم حوالي الخمس .

انتهج الشيخ عبدالله السالم الصباح في سياسته خطة تقوم على اساس خلق دولة عصرية . فاهتم بالتعليم والشؤون العلمية والتعمير والانشاءات وتقطير المياه المعذبة من مياه الخليج . وقد استفاد الاقتصاد البريطاني من رغبة الكويت في التطور السريع فحصلت المؤسسات البريطانية على معظم عقود مشاريع التنمية الواسعة التي تضمنت بناء شبكة طرقات عصرية ومطار دولي ومدارس ومستشفيات ومساكن لذوي الدخل المحدود ومبان حكومية ومركز تجاري حديث . وقد استقبلت الكويت جراء خطتها التنموية هذه اعداد كبيرة من العاملين العرب والاجانب . وفي سنة ١٩٥٧ كان العرب يشغلون حوالي ثلاثة ارباع المناصب الحكومية وخاصة في اجهزة التربية والتعليم . ومعظم هؤلاء العرب كانوا من الفلسطينين والاردنيين والمصريين ممن حملوا مشاعر قومية انعكست في سياسة الكويت التعليمية انذاك .

جرت خلال الفترة التي سبقت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق محاولة لادخال الكويت الى الاتحاد العربي الهاشمي الذي ضم الاردن والعراق سنة ١٩٥٨ . وقد تم ذلك خلال مناقشة موضوع ميزانية الاتحاد والاعباء المالية التي يتحملها العراق ازاء الاردن . وقد اغتنم نوري السعيد رئيس وزراء العراق الفرصة ليطالب بريطانيا بأن تساعده في الحصول على جزيرة وربة الواقعة في مدخل شط العرب حتى يتسنى للعراق بناء ميناء كبير عليها حماية له من اي عدوان يقع عليه من ايران . وقد عقد اجتماع سري حول هذا الموضوع وزار الشيخ عبد الله امير الكويت بغداد عدة مرات سنة ١٩٥٨ . الا ان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق جعلت بريطانيا تسعى الى ابعاد الكويت . وكل اقطار الخليج العربي ، عن التأثر بالاحداث الجديدة . ويبدو ان الثورة العراقية اثارت الجدل داخل الاسرة الحاكمة في الكويت حول قيمة التحالف مع بريطانيا من جهة وحول المستقبل السياسي للكويت من جهة اخرى . وابتداءً من سنة ١٩٥٩ سارت الكويت . بدعم من بريطانيا . بالاتجاه التدريجي نحو الاستقلال الكامل . فتم تشجيع الامارة على الانضمام الى عدة منظمات دولية . مثل منظمة الصحة العالمية واليونسكو . وضرب نقد كويتي مؤلف من الدينار والفلس وحل محل الروبية الهندية واخذ البريطانيون على عاتقهم تدريب قوة الشرطة ووضعت قوة عسكرية تحت امرة احد ابناء شقيق الشيخ . وتنازل المندوب السامي البريطاني عن سلطاته القضائية على المواطنين غير المسلمين وسلمت دائرة البريد والمطار الى الكويتيين وانجز لاول مرة قانون مدني عصري للكويت وفي سنة ١٩٦٠ تم ارسال (١١) شاباً كويتياً الى جامعة اكسفورد لدراسة العلاقات الدولية . وبدا شيخ الكويت يتبرع ببعض المبالغ لصناديق اغاثة اللاجئين الفلسطينيين وقدم قروضاً الى لبنان والاردن ووافق على المساهمة في رأسمال المنظمة العربية للانماء الاقتصادي المقترح انشاؤها من قبل جامعة الدول العربية .

لقد اتخذت في غضون شهر ايار ١٩٦١ عدة خطوات للاعلان عن استقلال الكويت اثر الزيارة التي قام بها الامين العام لجامعة الدول العربية السيد عبد الخالق حسونة للكويت لبحث انضمام الامارة الى الجامعة . وفي ٢٩ ايار اعلن رئيس دائرة المطبوعات والاعلام الكويتي ان الكويت ستعلن استقلالها قريبا وتتقدم بطلب للانضمام الى جامعة الدول العربية والامم المتحدة . وبهدوء جاوز السرية . تبادل السير وليم لوس المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي وشيخ الكويت مذكرتين اعترفا فيهما ان اتفاقية ١٨٩٩ « لم تعد تتوافق مع سيادة الكويت واستقلالها » ووعدت حكومة بريطانيا الكويت بالدفاع عنها اذا طلبت منها ذلك . ولم تذكر المذكرتان ما اذا كان المندوب السامي

١٩ حزيران ١٩٦١ / استقلال الكويت

البريطاني في الكويت جون ريتشموند سيحتفظ بلقبه ومنصبه مع ان الاحتفاظ سيوحي بوضوح الى استقلال الكويت الحقيقي . وثمة نقطة غريبة اخرى في المذكرتين وهي انهما لم يعلنا استقلال الكويت فعلاً ، بل انهما اشارتا فقط الى ان الحكومة الكويتية ، هي المسؤولة الوحيدة عن ادارة شؤون الكويت الداخلية والخارجية » . ومهما يكن من امر فأن الكويت عدت مستقلة منذ ١٩ حزيران ١٩٦١ . ورحبت الجمهورية العربية المتحدة بها دولة حرة مستقلة وجزءاً من الوطن العربي .

الا ان عبد الكريم قاسم رئيس وزراء العراق عقد مؤتمراً صحفياً يوم ٢٥ حزيران ١٩٦١ اعلن فيه ان الكويت باستقلالها اصبحت حرة ومهيأة للعودة الى الوطن الام الذي جزأته بريطانيا . وهنا تدخلت بريطانيا استجابة لطلب من شيخ الكويت لتنزل قواتها في الكويت . وقد سميت عملية التدخل البريطاني باسم « عملية فانتاج » ففي الاول من تموز نزلت اول وجبة من القوات البريطانية مؤلفة من ستمائة جندي وهم من وحدة الكوماندوس . وقد اعلن هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا ان السبب في التدخل البريطاني هو التزامات بلاده بموجب المعاهدة المعقودة مع الكويت ، وان القوة البريطانية وضعت تحت تصرف شيخ الكويت . وان سحب القوة سوف يتم حينما يعتبر الحاكم ان الخطر على استقلال الكويت قد زال .

اما الحكومة العراقية فقد ردت على انزال البريطانيين بنفي حشد قوات عراقية على الحدود الكويتية وبطلب عقد اجتماع لمجلس الامن الدولي لبحث تهديد بريطانيا المسلح لاستقلال وامن العراق . ونفت الحكومة العراقية انها كانت تنوي استخدام القوة العسكرية ضد الكويت . ونددت الصحف العربية بالتدخل البريطاني ولم تنته الازمة التي استمرت (٢٦) شهراً الا بعد اعتراف العراق بسيادة الكويت في ٤ تشرين الاول ١٩٦٣ وقبول جامعة الدول العربية بمسؤولية الدفاع عن الكويت بعد ان تطلب الكويت نفسها انسحاب القوات البريطانية واحلال قوات من جامعة الدول العربية محلها . وكان متوقعا ان يتراوح مجموع القوات العربية بين ٣٢٠٠ و ٤٠٠٠ جندي . وفي ١٩ ايلول ١٩٦٣ بدأت القوات البريطانية بالانسحاب واخذت القوات العربية تتسلم مواقعها .

٤ تشرين الاول ١٩٦٣ اعتراف العراق باستقلال الكويت

لقد أقدمت الكويت بعد انجازها الاستقلال على اجراء اصلاحات سياسية ، وبناء جيش وطني . وفي ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٣ جرت الانتخابات في الكويت لانتخاب برلمان مؤلف من ٥٠ عضواً . وبعد اربعة ايام عين الشيخ شقيقه صباح السالم ولي العهد رئيساً للوزراء وعين مجلس وزراء من (١٥) عضواً وهكذا بدأت الحياة الدستورية في

الكويت . وفي ٢ تشرين الاول ١٩٦٣ بدأ ولي العهد ووفد مرافق له زيارة رسمية للعراق وبعد يومين وقع اتفاقية تاريخية اعترف فيها العراق بسيادة الكويت الكاملة على اراضيه ضمن حدوده الراهنة . ووعدت ، الحكومتان باقامة علاقات دبلوماسية كاملة . وقد ظهرت من خلال هذا اللقاء نقطتان اساسيتان اولهما عزم الحكومة الكويتية على اعادة النظر في الاتفاقية التي عقدتها مع بريطانيا سنة ١٩٦١ وثانيهما رغبة العراق في تنقية الجو من الرواسب التي خلقتها حكومة عبد الكريم قاسم .

استقلال البحرين ١٩٧١ :

بدأ التاريخ السياسي الحديث للبحرين سنة ١٧٨٣ بمجيء آل الخليفة من العتوب الى هذه الجزر وقدرتهم على التخلص من نصر بن مذكور حاكم البحرين الموالي للفرس . ولقد واجهت البحرين منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر تحديات كثيرة نتيجة محاولات بعض القوى المحلية والاجنبية السيطرة عليها . ولقد استطاع آل خليفة وفي مقدمتهم الشيخ عبد الله بن أحمد (١٧٩٤ — ١٨٤٢) التخلص من الضغوط والاحتفاظ بوطنهم بمنأى عن الوقوع في دائرة النفوذ الاجنبي . كما ادرك الأهمية القومية والاستراتيجية لبلاده ضمن مشروع مصر الوحدوي في المنطقة ، حين وقع مع خورشيد باشا قائد القوات المصرية في الخليج العربي اتفاقا سنة ١٨٣٩ نص على تقديم المساعدات اللازمة التي تكفل للقوات المصرية حرية الحركة في الخليج لتنفيذ مهامها القومية المتمثلة في رد العدوان الاجنبي وخاصة الفارسي والبريطاني .

الا أن المسؤولين البريطانيين في المنطقة كانوا يرصدون النشاط العسكري والسياسي المصري في منطقة الخليج العربي ، وبدأت تساورهم المخاوف على مصالحهم في هذه المنطقة الحيوية المؤدية الى مستعمراتهم في الهند . وقد اتخذ تحركهم سبلاً شتى منها احتلالهم لجزيرة خرج ولعدن سنة ١٨٣٩ ، واصدار أوامر الى قطع اسطولهم في المياه الهندية بالتحرك صوب منطقة الخليج واحباط الاتفاق المصري البحريني . ولم يقتصر الامر على هذا بل قام الكابتن هنيل المقيم البريطاني في الخليج بزيارة البحرين وتهديد الشيخ عبد الله الذي أصر على الاتفاق مع المصريين وتمسك به ، ومن ثم اخذ يبرز رفضه للتهديدات البريطانية وتأكيده لعمق الروابط السياسية والاقتصادية للبحرين مع مصر وبقية الأق[illegible] التي دخلت في حوزة الحكم المصري .

وهنا هددت الحكومة البريطانية بالدفاع عن مصالحها بقوة السلاح ونجحت في تأليب الدول الكبرى ضد محمد علي باشا . وكان على محمد علي ان يسحب قواته من الجزيرة العربية والخليج العربي ليواجه تحالف الدول الكبرى . ولم تلبث هزيمة الجيش المصري في بلاد الشام في تشرين الثاني سنة ١٨٤٠ ان وضعت نهاية لمشروع محمد علي باشا وانتصارات قواته في الجزيرة وجهودها في منطقة الخليج العربي . وقد عمد الانكليز بعد ذلك الى تقوية نفوذهم في المنطقة ، في اعقاب خروج المصريين منه . فبالنسبة للبحرين قرروا وضعها تحت الاشراف البريطاني المباشر بواسطة معاهدة ١٨ أيار ١٨٦١ التي اضطر الشيخ محمد بن آل خليفة على توقيعها مع فيلكس جونز المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي . وتنطوي هذه المعاهدة على امتيازات واسعة النطاق لصالح بريطانيا في البحرين . وتتلخص موادها بما يلي :

١ - تأكيد المعاهدات السابقة مع بريطانيا ومنها معاهدة ١٨٢٠

٢ - تعهد شيخ البحرين بالامتناع عن اعمال القرصنة .

٣ - تنصيب المقيم السياسي البريطاني حكما في اي نزاع بين الحكام ويقبل الشيخ احكام المقيم .

٤ - يعطي البريطانيون الاقامة والتجارة في البحرين دون قيد ، ويوضع حد اقصى للضرائب البريطانية بقدر ٥ ٪ .

٥ - تحال الخلافات بين البريطانيين واهل البحرين الى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر .

تمثلت الحماية البريطانية في البحرين بعناصر ثلاثة هي المقيم البريطاني والمستشار البريطاني والقواعد العسكرية . وامتدت فترة الحماية حتى ١٩٧١ . وقد اعتادت بريطانيا منذ اوائل القرن التاسع عشر ان تدير شؤون الخليج العربي عن طريق المقيم السياسي في بوشهر وحينما زادت مصالحها اخذت تعين معتمدين تابعين للمقيم في في الامارات العربية . وقد نقلت دار الاقامة التابعة للمقيم الى البحرين سنة ١٩٤٦ واصبح المقيم الذي يحمل لقب سفير يساعده وكلاء سياسيون . وكان المقيم السياسي يمارس صلاحيات ادارية وسياسية وقضائية . ومن اختصاصاته كذلك الاشراف على البنوك والعمل على انعاش التجارة البريطانية وحصر المنافسة الخارجية لبريطانيا في ميدان التجارة . وكان المقيم مسؤولاً عن العلاقات الخارجية التي تربط البحرين بالعالم الخارجي . اما المستشار فكان يساعد الشيخ في ادارة شؤون الامارة . وفي

عهد الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة . عين اول مستشار للحكومة في البحرين وهو جارلس بالكريف وذلك في سنة ١٩٢٦ رفي دائرة سميت مستشارية حكومة البحرين .

اما الاسباب التي ادت الى استحداث منصب المستشار ، فهي ترجع الى الانتفاضة التي عمت البحرين سنة ١٩١٩ ، اثر وقوف الحركة الوطنية ضد تطبيق القوانين المدنية والجنائية في البحرين ، والتي كان معمولاً بها في الهند . وقد تمركزت السلطة في يد بلكريف منذ سنة ١٩٢٦ حتى اعفائه من منصبه سنة ١٩٥٧ اثر احداث السويس في مصر ١٩٥٦ فكان قائداً للشرطة . ورئيسا للقضاة ومشرفا عاماً على جميع الدوائر كالصحة والمعارف والاشغال العامة والطابو والكمارك والبلديات . وقد استعان برجال شرطة من الهنود . وبعد اعفائه عينت الحكومة البريطانية المستر سميث كسكرتير لحكومة البحرين . وهو لم يكن ذا مسؤوليات كبيرة كالسير بالكريف ، وانما كانت مسؤولياته محدودة باعتباره يمثل التوافق بين الحكومة البريطانية وحكومة البحرين .

توسعت بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية في اقامة قواعد بحرية في مدن مختلفة من جزر البحرين ، وخاصة بعد الجلاء من غرب السويس الى شرق السويس سنة ١٩٥٤ .

كما فكرت بريطانيا سنة ١٩٦٦ بان تستعيض عن قاعدة عدن بزيادة قواتها في البحرين غير ان هذه الخطة لم تتح لها فرصة النجاح ، حيث ان قرار الانسحاب من قواعد شرق السويس ما لبث ان اوقف الخطة . لكن هذا لم يمنع القوات البريطانية من التدخل في شؤون البحرين الداخلية خلال الفترة التي شهدت احداث السويس سنة ١٩٥٦ او احداث الانتفاضة الشعبية التي وقعت في البحرين سنة ١٩٥٦ فحينما رأت القوات البريطانية تعرض المنشآت الاجنبية للخطر من قبل المواطنين الغاضبين على العدوان الثلاثي على مصر تصدرت لبعض الاعمال التي وصفتها بالتخريبية بالسلاح والقنابل المسيلة للدموع .

تمثلت الحركة الوطنية في البحرين بمجموعة من النشاطات السياسية والثقافية . ففي سنة ١٩١٩ قامت في البحرين حركة مقاومة اخضاع البحرين للقوانين المدنية والادارية السارية في الهند وضد انشاء مجلس تنفيذي للبحرين يرعى تطبيق هذه القوانين . وقد ارادت بريطانيا انشاء هذا المجلس منذ سنة ١٩١٤ . الا ان الشعب العربي في البحرين . استند في رفضه هذه القوانين الى منافاتها للشريعة الاسلامية . ومن ثم وقف ضد انشاء هذا المجلس . وتذكر الدكتورة أمل ابراهيم الزياني في كتابها

« البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي » ان اثني عشر رجلاً بزعامة الشيخ عبدالوهاب الزياني . وهؤلاء يمثلون انذاك قادة الرأي في البحرين اجتمعوا بالشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين (١٨٩٧ - ١٩١٤) وطلبوا منه ان يضع حداً للتدخل البريطاني في شؤون القضاة . كما طلبوا منه ان ينشيء مجلساً يضم ذوي الرأي منهم ، ويخول لهم حق انتخاب القضاة الشرعيين ورؤساء الدوائر وعزل الاجانب ، فاجاب الحاكم مطلبهم واعطاهم اوراقاً ووثائق بذلك . الا ان المعتمد السياسي البريطاني الميجرديلي اعترض على ذلك . وفي مطلع سنة ١٩٢٠ عقد قادة الحركة الوطنية مؤتمراً اتخذوا فيه قرارات عديدة منها ما يلي :

١- استمرار شيخ البحرين في مباشرة الامور الداخلية كما كان سابقاً بدون تدخل المقيم السياسي او المعتمد .

٢- ان تجرى الاحكام جميعها على الشرع الاسلامي ، وعلى القانون المرضي الذي هو من الشرع ومطابق له .

٣- انتخاب مجلس شورى من عموم اهل الوطن ينظر في مصالح البلاد .

٤- وقوف المقيم عند نص الاتفاق بين بريطانيا والبحرين فلا يتدخل في الامور الداخلية .

وجاء رد الفعل من المعتمد البريطاني عنيفاً حيث سارع باعتقال قادة الحركة وابرزهم الشيخ عبدالوهاب الزياني والسيد احمد بن لاحج والشيخ عبداللطيف بن محمد بن فضل ونفاهم الى الهند دون محاكمة .

ثم جاءت المرحلة الثانية من الحركة الوطنية وتمتد من ١٩٢٧ وحتى ١٩٣٨ . وتتميز هذه المرحلة باهتمام زعماء الحركة بنشر التعليم الحديث . وقد ادى ذلك الى بروز فئة من الشباب كان لها دورها في انتفاضة سنة ١٩٣٨ وتتلخص مطالب الحركة الوطنية في هذه الانتفاضة بالدعوة الى انشاء مجلس وطني للعدل ومجلس وطني للمعارف ونقابة للعمال وطرد العمال غير الفنيين من شركة النفط واحلال رعايا بحرينيين محلهم وكان اكتشاف النفط واستخراجه في الفترة مابين ١٩٣١-١٩٣٤ قد ادى الى ظهور طبقة جديدة لم تكن معروفة في الخليج العربي ، وهي عمال النفط .

وخلال الحرب العالمية الثانية تجمدت الحركة الوطنية بحكم الظروف التي سادت انذاك . ومع انتهاء الحرب ظهرت في البحرين وسائل جديدة للتعبير عن الرأي العام تمثلت بالاندية والجمعيات السياسية والثقافية منها نادي البحرين ونادي العروبة ونادي الخريجين ،

كما ظهرت جمعيات نسائية منذ سنة ١٩٥٤ منها جمعية نهضة فتاة البحرين وجمعية فتاة اوال سنة ١٩٦٩ . وبدأت في البحرين نهضة صحافية ففي ١٩٣٩ صدرت جريدة البحرين . وقد اتخذت الصحافة لنفسها بين سنتي ١٩٥١-١٩٧٠ موقف المعارضة في نظام الحماية . وخلال الفترة مابين ١٩٥٤ و ١٩٥٦ بلغت الحركة الوطنية ، باعتبارها حركة معارضة لنظام الحماية البريطانية ذروتها . وقد اندلعت سنة ١٩٦٥ انتفاضة شعبية في البحرين اثر تسريح شركة النفط لعدد كبير من العمال البحرينيين .

كما استطاعت البحرين ان تحافظ على وجودها وكيانها السياسي واستقلالها الذاتي ازاء مطالبة ايران بها خلال الفترة مابين ١٩٢٧-١٩٧١ .

اعلنت بريطانيا في كانون الثاني ١٩٦٨ عن عزمها الانسحاب من شرق السويس بما في ذلك الخليج العربي في مدة اقصاها نهاية ١٩٧١ وقد بررت ذلك القرار على انه نتيجة لتخفيض نفقاتها الدفاعية لمواجهة مسؤولياتها في اوربا. وثمة دوافع اخرى وراء هذا القرار منها المصاعب العسكرية والاقتصادية التي تعرضت اليها بريطانيا خلال حرب السويس سنة ١٩٥٦ في البحرين ثم لمواجهة الحركة المسلحة في جنوب اليمن . ويشير بعض الكتاب الى ان سياسة بريطانيا اصبحت بعد ١٩٥٦ دفاعية بعد ان كانت قبل ذلك هجومية . ولايمكن ان ننسى ان التطور السريع في الاسلحة قد شكل دافعا آخر لتغير الاستراتيجية البريطانية التقليدية . فاصبح الاحتفاظ بعدد كبير من القواعد العسكرية ذات الاسلحة التقليدية عبئاً لامبرر له .

وفي ٤ كانون الثاني ١٩٦٩ اعاد شاه ايران الى الاذهان ، لمناسبة قرار بريطانيا الداعي الى الانسحاب من المنطقة . مسألة المطالبة بجزر لبحرين . الا انه قال ان سياسته الجديدة تتنافى ومبدأ القوة والاحتلال . وهنا بدأت المساعي العربية في العمل لتأكيد قضية انتماء البحرين القومي للامة العربية . وفي ٩ آذار ١٩٧٠ تلقى الامين العام للامم المتحدة رسالة من مندوب ايران يطلب منه بذل مساعيه للتعرف على رغبات شعب البحرين . وفي ٢٩ آذار ١٩٧٠ اكدت البحرين ان مسألة عروبتها من المسلمات البديهية التي لاتترك مجالاً لاي ادعاء ، ومع هذا فهي ترحب بجهود الامم المتحدة في تقصي الامور وفي ٣١ آذار ١٩٧٠ وصلت بعثة من الامم المتحدة الى البحرين واستمرت طيلة ٢١ يوماً استطاعت خلالها تقصي رغبة واراء قطاع كبير من الشعب العربي في البحرين . وقد اكد تقرير البعثة الذي رفع الى الامين العام للامم المتحدة في الثلاثين من نيسان ١٩٧٠ اجماع اهل البحرين على اقامة دولة عربية ذات سيادة وان تكون البحرين حرة في رسم

علاقاتها الدولية . وفي ١١ ايار ١٩٧٠ تبنى مجلس الامن قرار البعثة فاضطرت ايران الى الرضوخ لارادة الشعب العربي في البحرين . وفي ١٤ آب ١٩٧١ اعلن رسمياً ، ان البحرين دولة عربية مستقلة » وانها « تؤمن بالوحدة العربية كضرورة قومية ملحة يفرضها التاريخ والدين واللغة والثقافة والمصير العربي المشترك » . وقد اتخذت البحرين ثلاث خطوات لتأكيد الاستقلال الاولى انهاء المعاهدات والاتفاقيات السياسية والعسكرية التي كانت تنظم علاقات البحرين مع بريطانيا والثانية تأكيد سيادة البحرين على اراضيها وتصريف شؤونها الداخلية والخارجية باصدار مرسومين اولهما خاص بالتنظيم السياسي للدولة وثانيهما خاص بالتنظيم الاداري . اما الخطوة الثالثة فكانت الانضمام في ايلول ١٩٧١ لجامعة الدول العربية وهيئة الامم المتحدة .

استقلال قطر ١٩٧١ :

كانت قطر خلال العهد العثماني قضاءً تابعاً لسنجق (لواء) نجد الداخل ضمن ولاية البصرة . وكانت السيادة العثمانية ممثلة انذاك بحامية عسكرية صغيرة في بلدة الدوحة . وتشغل قطر شبه جزيرة مسماة بأسمها وتقع في موضع متوسط بين رأس مسندم وراس الخليج العربي عند الكويت . تمتد شواطيء قطر من خور الحضيض في الجنوب على امتداد ساحل عمان الى خليج سلوى في الشمال على امتداد ساحل الاحساء السعودي ويبلغ طول ساحل شبه الجزيرة نحو ١٨٠ كم ومساحة قطر لاتزيد عن ١٠٫٣ الاف كم² اكثرها تلال جرداء تسكنها قبائل من بني مرة . وكان اقتصادها حتى سنة ١٩٥٠ يعتمد على صيد السمك وتجفيفه وبناء السفن فضلاً عن انها كانت من مراكز استخراج اللؤلؤ ثم انصرف السكان الى الاعمال المتصلة بصناعة النفط الذي اكتشف سنة ١٩٤٠ ولكن لم يبدأ انتاجه على مستوى اقتصادي حتى سنة ١٩٥٠ . وقد منح امتياز التنقيب عن النفط في قطر لشركتين هما شركة نفط قطر وهي فرع من شركة نفط العراق وشركة شل .

لقد بدأ التدخل البريطاني في شؤون قطر منذ سنة ١٨٨٢ في صورة اتفاقات حماية عقدت مع بعض شيوخ القبائل . وفي ١٩١١ احتكرت بريطانيا تجارة اللؤلؤ . وفي ٣ تشرين الثاني ١٩١٦ عقدت بريطانيا مع شيخ قطر عبد الله بن قاسم ال ثاني معاهدة حماية مقابل عدم اقامة علاقات مع دولة اخرى . والامتناع عن بيع او تأجير او منح امتيازات اقليمية بدون موافقة بريطانيا ويمثل بريطانيا في قطر مقيم سياسي .

لم يكن في قطر نظام اداري قبل سنة ١٩٤٩ . حيث كان الطابع القبلي هو الذي يميز نظام الحكم . ولكن بعد اكتشاف النفط ظهرت الحاجة لظهور نوع من التنظيم الاداري . وعين في سنة ١٩٥٠ ضابط سياسي بريطاني ليحل محل المقيم البريطاني . كما عملت بريطانيا كذلك على تعيين مستشارين بريطانيين للاشراف على الاجهزة الادارية الجديدة كالمعارف والمالية والكمارك والتجارة والجيش . وفي سنة ١٩٦٢ بدأ الجهاز الاداري في قطر في النمو والتطور . وفتح المجال امام الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية للمواطنين . وفي مقدمة تلك الاصلاحات قانون رقم (١) لسنة ١٩٦٢ الخاص بتنظيم الادارة العليا للحكومة . وذلك بواسطة جهاز يشرف عليه نائب الامير الشيخ خليفة . وقد تكون من اربع دوائر مختصة بالشؤون المالية والميزانية وشؤون النفط والشؤون القانونية .

كما صدر قانون آخر سنة ١٩٦٤ يقضي بانشاء مجلس للشورى مؤلف من (١٥) عضواً يرأسهم الامير او نائبه . وكان هذا القانون محاولة لاشراك اكبر عدد ممكن من افراد الاسرة الحاكمة في تحمل مسؤولية الحكم .

لم يعبر النشاط الوطني في قطر عن نفسه بشكل واضح الا في فترة متأخرة ولعل السبب في ذلك هو ضعف الوعي السياسي نتيجة لانتشار الامية والتخلف من جهة وسيادة الروح القبلية من جهة اخرى . وبعد اكتشاف النفط وازدياد الوعي الوطني وتكون طبقة من العمال العاملين في ميدان صناعة النفط . ظهرت حركة عمالية استطاعت ان تقود اضراباً لعمال النفط في نيسان ١٩٦٣ . وكانت لهذا الاضراب ابعاد سياسية كبيرة لما تمخض عنه من نتائج تمثلت في تشكيل جبهة الوحدة الوطنية ومن المطالب التي تضمنها البرنامج السياسي للجبهة والداعي لاصلاح النظام السياسي وتطبيق الاسلوب الديمقراطي من خلال السماح بتشكيل النقابات والمجالس التمثيلية . وقد انتهى هذا الاضراب في ايار ١٩٦٣ بعد ان وعد الشيخ بتلبية تلك المطاليب . وكما يبدو ان الاوضاع اخذت تتطور بهذا الاتجاه لاسيما بعد ان اقترب الامل بتحقيق الاستقلال .

اتخذت في قطر خلال الفترة من ١٩٦٨-١٩٧١ بعض الخطوات التي تتناسب وعهد الاستقلال الذي بات امراً قريباً وخاصة بعد قرار بريطانيا الانسحاب من شرق السويس . فقد تشكلت اول وزارة قطرية برئاسة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني نائب الحاكم . كما صدر في قطر « النظام السياسي المؤقت للحكم » وهو عبارة عن اول دستور مكتوب لدولة قطر وتم عزل القائد البريطاني للجيش القطري .

وفي الثاني من ايلول ١٩٧١ اعلن عن قيام دولة قطر دولة مستقلة ذات سيادة. وفي اليوم الثالث من ايلول وقع شيخ قطر الشيخ أحمد بن علي آل خليفة مع المقيم السياسي البريطاني جيفري آرثر نفس الاجراءات الخاصة بانتهاء المعاهدات وعقد اتفاقية صداقة كما حدث بالنسبة للبحرين وذلك في مدينة جنيف ثم اصدر الحاكم في اليوم الرابع من ايلول كذلك مرسوماً يقضي باستعمال لقب « امير دولة قطر » وفي ١١ ايلول ١٩٧١ انضمت قطر الى جامعة الدول العربية وهيئة الامم المتحدة.

عانت قطر بعد أعلان استقلالها من بعض المشاكل الداخلية وفي مقدمتها التنافس على السلطة وازدواجية الحكم في الامارة. فلقد اتاحت المناصب التي اسندت الى الشيخ خليفة ابن عم الشيخ احمد آل ثاني امير قطر قد خلقت عنده تطلعات عديدة في الاستيلاء على الحكم. خاصة وانه يعد نفسه الاحق بالسلطة. ذلك ان والده حاكم قطر توفي وهو صغير فجعل اخاه الشيخ علي حاكماً مؤقتاً الى ان يبلغ سن الرشد الا ان العم آثر ان يولي ابنه الشيخ احمد الحكم. هذا فضلاً عن ان الشيخ خليفة كان نائب للامير ووليا للعهد. وفي ٢٢ شباط ١٩٧١ قام الشيخ خليفة بالاستيلاء على السلطة بانقلاب ابيض اثر غياب الشيخ احمد في رحلة صيد. وقد اعتبر كثير من المهتمين باحداث الخليج العربي انذاك حركة الشيخ اجراءاً اصلاحياً خاصة وانه كان الحاكم الفعلي لقطر منذ ١٩٦٠. هذا فضلاً عن انه وعد باجراء اصلاحات ادارية وسياسية تفسح المجال امام الشعب القطري لمساهمة اوسع في السلطة. وقد استمر مجلس الوزراء يمارس صلاحياته. بعد ان اضيفت اليه اربع وزارات هي الخارجية والمالية والنفط والاعلام والشؤون البلدية. وفي ٢٥ نيسان ١٩٧٢ انعقد اول مجلس للشورى بموجب دستور سنة ١٩٧٠ الذي نص على ان قطر دولة ذات نظام ديمقراطي وانها جزء من الامة العربية. وبموجب هذا الدستور. فان الامير يتولى السلطة التنفيذية بمعاونة مجلس الوزراء. وانه يصدر القوانين بناء على اقتراح مجلس للوزراء وبعد اخذ مشورة مجلس الشورى. كما نص الدستور على ان حكم الدولة وراثي وينحصر في اسرة آل ثاني وان قطر تؤمن بان اتحاد الدول العربية في المنطقة ضرورة مصيرية تحتمها المصالح العليا المشتركة في المنطقة خاصة وفي الوطن العربي الكبير عامة وتكرس الدولة كل مايمكن من جهودها لتأييد ذلك الاتحاد والعمل على تحقيقه في أنسب صورة تجمع بينها وبين تلك الدول الشقيقة التي تربطها بها اعمق الروابط جذوراً وأكثرها قوة واشدها اصالة.

استقلال الامارات العربية ١٩٧١ :

واجه التغلغل البريطاني في الخليج العربي صعوبات كبيرة ولم تستطع بريطانيا بسط نفوذها السياسي والاقتصادي في هذه المنطقة بسهولة بل اصطدمت بقوى عديدة في مقدمتها القبائل العربية ذات القوة البحرية المتميزة والحيوية العظيمة مثل القواسم على ساحل عمان. ويذكر الدكتور صالح العابد في كتابه : « دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٢٠ » ان القواسم برزوا في المنطقة الواقعة بين راس مسندم شمالاً وابوظبي جنوباً. قوة بحرية مهمة منذ اواسط القرن الثامن عشر. وقد دانت هذه القبائل بالولاء الى الاسرة الحاكمة في رأس الخيمة والشارقة. ويكتنف الغموض بدايات نشأة الاتحاد القاسمي واسماء زعمائه الاول. الا ان الدراسات التاريخية الحديثة توصلت الى ان الاتحاد القاسمي كان مؤلفاً من قبائل عديدة ابرزها بنوقتب الغفلة. والخواطر. والبو عريبان. المزاريع والحبوس. واهم الموانىء التابعة لهذا الاتحاد رأس الخيمة والشارقة وام القيوين وعجمان ودبي والحمرية. وتؤلف هذه المدن اليوم اتحاد الامارات العربية المتحدة. وتمثل رأس الخيمة ذات الموقع الستراتيجي المهم على الساحل العماني. قاعدة القواسم ومقر شيخهم الكبير. وقد اسهم القواسم في نقل تجارة الخليج العربي وفي بعض الاحيان كانوا يقومون برحلات تجارية الى الهند وافريقيا.

وبالنظر لافتقار ساحل القواسم للمصادر الاساسية لقيام مستوى حياة مناسب. فقد حاول القواسم الاستئثار بتجارة الخليج العربي ومنع اي قوة اخرى من مزاولة هذه المهنة او منافستهم في مواردها الامر الذي جعل المصادر الاوربية توصم نشاطهم الملاحي بالقرصنة بينما يعكس واقع الحال حيوية القواسم وروح الجرأة والشجاعة والمغامرة التي اتصفوا بها.

خضع القواسم خلال الفترة الواقعة بين سنتي (١٦٢٤ - ١٧٤٩) الى دولة اليعاربة في عمان. وكان لليعاربة. وهم قبيلة من اصل قحطاني. دور كبير في تأكيد السيادة العربية على الخليج العربي وتحريره من النفوذ الأجنبي وذلك من خلال دولتهم التي اسهمت في طرد البرتغاليين من آخر معاقلهم في الخليج والبحار العربية. وفي بداية القرن الثامن عشر حكم اليعاربة منطقة واسعة شملت الاقسام الجنوبية من الخليج العربي وامتد نفوذهم من جنوب الجزيرة العربية وسواحل شرقي افريقيا في الغرب الى سواحل وادي السند في الشرق. وحين ظهرت الدعوة الوهابية. تقبلها القواسم والتصقوا بها واستوعبوا مبادءها ووجدوا فيها فرصة لتوجيه ضربات قوية لسلطة حكام عمان البوسعيديين

الذين آلت اليهم مقاليد الامور بعد زوال حكم اليعاربة. كما ان الوهابية فيما قرنته من التأكيد على (الجهاد) وجدت لها صدى ملائما لطبيعة القواسم الحربية. اذ وجدت عملياتهم في اعتراض السفن الاجنبية مايبررها دينياً. ووفقاً لذلك اصبحت مغامراتهم البحرية جزءاً من حركة النضال ضد المستعمرين الاوربيين وخاصة البريطانيين.

وقع اول تعرض قاسمي للبريطانيين في سنة ١٨٠٤ حين هاجموا بحارة بريطانيين واقتادوهم اسرى الى رأس الخيمة وفي سنة ١٨٠٥ هاجم القواسم سفينتين بريطانيتين هما شانون Shannon وتريمر Trimmer. وقد قام القواسم بتسليح السفينتين والاستفادة منهما في عمليات حربية ناجحة. وفي سنة ١٨٠٦ هاجم القواسم سفينة البحرية الملكية البريطانية لايون Lion ذات الخمسين مدفعاً. وفي اوائل كانون الاول ١٨٠٨، تزايدت جراءة القواسم حين تمكنوا من اسر خمسين سفينة تجارية بريطانية مما يدل على مبلغ استهانتهم بالقوة البريطانية.

كان لاتساع عمليات القواسم البحرية تأثير سلبي على هيبة بريطانيا وتجارتها في الخليج العربي. لذلك قرر الانكليز مواجهة القواسم. وفي فجر يوم ٣ كانون الأول ١٨١٩ باشرت حملة بريطانية انزالها في راس الخيمة. وقد حققت هذه الحملة انتصارا عسكريا على القواسم ودمرت لهم عشرات السفن وخربت ميناء رأس الخيمة تخريباً تاماً. وظهر للمهاجمين ان القواسم كانوا يعانون من نقص في الذخيرة لهذا شددوا ضرباتهم. وقد حاول القواسم القيام بهجوم مضاد انتحاري الا انهم فشلوا وتكررت هذه المحاولات حتى يوم ٩ كانون الاول حين اعلن زعيم القواسم حسن بن رحمة (١٨١٤-١٨٢٠) رغبته في التسليم على ان تضمن القوات البريطانية سلامته. وقد اجيب على طلبه الا ان الجنرال كرانت كير Keir قائد الحملة أجبره على التوقيع على معاهدة ٨ كانون الثاني ١٨٢٠ التي وضعت حدا لنشاط القواسم. اذ وصل في اوائل شهر كانون الثاني جميع شيوخ الساحل العماني البارزين الى معسكر كير عارضين استسلامهم، منهم سلطان بن صقر شيخ الشارقة، وشخبوط بن ذياب والد طحنون بن شخبوط شيخ ابوظبي، ومحمد بن هزاع شيخ دبي اضافة الى شيوخ عجمان وام القيوين.

بادر الجنرال كير الى عقد اتفاقيات منفردة مع الشيوخ نصت على قيامهم بتسليم جميع سفنهم. وتبرز اهمية تلك الاتفاقيات بأنها اصبحت وسيلة شرعية للانكليز لمواصلة تدمير قوى القواسم العسكرية والبحرية باسم ساحل القراصنة او الساحل المهادن وعندما انتهى موعد الاتفاقيات في سنة ١٨٥٣ ابرمت بريطانيا مع الشيوخ معاهدة عامة اكدت

جميع بنود الاتفاقيات السابقة وقد جاء في معاهدة ١٨٥٣ مايؤكد على أمن البحار وان تنقطع الحرب والجدال فيما بين رعايانا والمتعلقين علينا وليستقيم بين الجميع منا ومن بعقبنا صلح تام في البحر على الدوام». وتقرر الاتفاقية انه اذا ماحدث اعتداء على اي فرد في البحر فلايحق للقبيلة المجني عليها الانتقام، انما ترد الأمر للسلطات البريطانية في الخليج العربي. وقد ادت المعاهدة هذه الى نتائج عديدة منها تدخل الانكليز في شؤون المشيخات العربية وتمزيقها وزيادة ضعفها وتفكك الأسر الحاكمة وعجزها عن مواجهة اطماع ايران في جزر ابوموسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى والتي اصبحت خارج المنطقة التي تغشاها السفن العربية. فبدأت الصلة تنقطع بين هذه الجزر والساحل الغربي للخليج العربي الامر الذي سهل للايرانيين فيما بعد (١٩٧١) احتلال هذه الجزر العربية.

لقد استطاعت بريطانيا في اواخر القرن التاسع عشر تقوية مواقعها في الخليج العربي بوسائل عديدة. فقد تصدت للنشاط المصري الذي كان يهدف الى ادخال منطقة الخليج العربي في مشروع محمد علي باشا لاقامة الدولة العربية القوية الموحدة. فمنذ ٢٩ تشرين الثاني ١٨٣٨ بعث اللورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية رسالة الى كامبل ممثل بريطانيا في مصر يطلب اليه ان يوضح لمحمد علي باشا بأن الحكومة البريطانية لتود جادة ان لاترى قواته على ساحل الخليج العربي كما قابل المقيم البريطاني في الخليج الكابتن هنيل Hennel سلطان بن صقر شيخ رأس الخيمة في ٢٧ نيسان ١٨٣٩ وناقش معه موقف بريطانيا من النشاط المصري. ولم يهدأ لبريطانيا بال الا بعد زوال خطر محمد علي عن مشيخات الساحل في ايلول ١٨٤٠ حين تصدت له واجبرته على الانسحاب من الجزيرة العربية والانكفاء داخل مصر. وفي سنة ١٨٩٢ عقدت بريطانيا سلسلة من المعاهدات مع شيوخ الساحل العماني اكدت فيها معاهداتها السابقة. وقد عرفت اتفاقات سنة ١٨٩٢ بالاتفاقات الأبدية ونصت بنودها التي وقعها شيوخ ابوظبي ودبي وعجمان والشارقة على مايلي:

١ - ان لايدخل هؤلاء الشيوخ في علاقات الا مع بريطانيا.

٢ - الايمنحوا الاذن بالاقامة في مناطقهم لممثلين لاي حكومة اخرى.

٣ - الا يتنازلوا بيعاً اورهنا اوهبة اوايجاراً (أي باي صورة من الصور) عن اية قطعة ارض من ارضهم لاي اجنبي الا بموافقة الحكومة البريطانية.

٤ - ان يكون هذا الاتفاق مقيداً لهم ولورثتهم ومن يخلفهم.

اصبح لبريطانيا بعد اتفاقات ١٨٩٢ مطلق السيطرة في التصرف بمقدرات الساحل
العماني . وخلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى واجهت بريطانيا خطر المنافسة
الروسية والفرنسية والالمانية التي ازدادت في الخليج العربي . وحين شعرت السلطات
البريطانية بتفاقم تجارة الأسلحة . اسرعت الى عقد اتفاقية حظر السلاح سنة ١٩٠٢ مع
شيوخ الساحل العماني . وتقضي هذه الاتفاقية الى مصادرة السفن التي يعثر فيها على
السلاح وقد افادت هذه الاتفاقية بريطانيا لانها قضت على اية محاولة للبدء في ترسيخ
قاعدة جديدة للمقاومة الوطنية للبريطانيين في المنطقة .

اتسم سلوك شيوخ الساحل العماني خلال الحرب العالمية الاولى بروح الصداقة
لبريطانيا . وقد تعهدت بريطانيا بأن « لاتتدخل في امر الشيوخ ما احترموا مصالحها وحقوق
رعاياها البريطانيين المقيمين في المنطقة . وبعد الحرب العالمية الاولى اتجهت بريطانيا
الى انشاء المطارات والقواعد العسكرية في المنطقة . وحين ارادت انشاء مطارين احدهما
في رأس الخيمة ومحطتين للنزول الاضطراري اعترض الشيوخ على ذلك بشدة . ويذكر
الدكتور عبد العزيز عبد الغني ابراهيم في كتابه بريطانيا وامارات الساحل العماني » ان
الخبراء البريطانيين رأوا ان تلك المعارضة ذات شقين ساحلية وداخلية . فبالنسبة للمقاومة
الساحلية ، فأن الشيوخ لابد سيعرفون ان الطريق الجوي سيرجع عليهم بفائدة اما التعرض
له فسيؤذيهم . اما المعارضة الداخلية فمرتبطة بأمر بن سعود الذي تتعارض اهدافه في
جمع الزكاة مع فرض كامل سيادته وسيطرته على القبائل . وفيما يتعلق بالمعارضة الداخلية
فقد قال الشيخ سالم شيخ بني قتب انه لايمانع في استعمال ارضه لنزول الطائرات غير انه
يرفض بشدة اقامة اي مؤسسات عسكرية او اقامة موظفين بريطانيين بارضه لان ذلك
سيؤلب عليه ابن سعود وسيحط من سمعته وسمعة العرب . كما اشترط الشيخ ان لاتستعمل
الطائرات التي تحط بارضه ضد القبائل العربية الاخرى . اما شيخ رأس الخيمة فقد رفض
منح البريطانيين ارضاً يقيمون عليها مطاراً فأتجه البريطانيون الى الشارقة يحاورون شيخها
الذي رفض كذلك وذكر تقرير بريطاني ان شيخ الشارقة قد يرفض ان يعطي الانكليز
قطعة ارض لتشييد المطار لانه سيواجه بمعارضة رجال عشيرته الذين سيتهمونه بأنه ترك
مقدرات العرب في ايدي الاجانب » وبعد جهد جهيد تمكن البريطانيون من اقناع الشيخ
سلطان بن صقر شيخ الشارقة بانشاء المطار .

قامت الحكومة البريطانية سنة ١٩٢٢ ، بعد اكتشاف النفط في المنطقة ، بالحصول
على الامتيازات . وتوصلت الى صيغة عقود امتياز ارتضاها شيوخ الساحل المهادن .
وتنص هذه العقود على انه بموافقة حكومة صاحب الجلالة اعطى الشيوخ للشركة الانكليزية
ـ الفارسية امتيازاً شاملاً لاستكشاف النفط وتنقيته وبيعه وكذلك استخراج الغاز الطبيعي
ومستخرجات النفط الاخرى وذلك في كل المناطق التابعة لهم ولمدة ستين سنة . ويشير
الدكتور عبد العزيز عبد الغني ابراهيم في كتابه آنف الذكر ان اولى تلك التعهدات موقعة من
الشيخ خالد بن أحمد شيخ الشارقة في ١٧ شباط ١٩٢٢ ومن شيخ رأس الخيمة في ٢٢
شباط ١٩٢٢ ومن الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي في ٢ ايار ١٩٢٢ . كما ارسل حمدان
بن زايد شيخ ابوظبي وكذلك شيخ عجمان رسالة تعهد مماثلة في ٤ ايار ورسالة اخرى
من شيخ ام القوين في ٨ أيار . وقد ارفقت هذه التعهدات برسالة موحدة الصيغة جاء فيها
اني ، اكتب هذه الرسالة بمحض ارادتي لاتعهد لسيادتكم بأنه اذا كان ثمة أمل في وجود
النفط في الاراضي التابعة لي فلن اعطي امتيازه لاحد من الاجانب اللهم الا للشخص
الذي تعينه الحكومة البريطانية السامية ... » . وفي سنتي ١٩٣٨-١٩٣٩ نجحت بريطانيا
في الحصول على امتيازات من الشيوخ تخول شركة النفط الانكليزية - الفارسية حق التنقيب
عن النفط . وهكذا تطورت مصالح بريطانيا بدرجة دعتها الى تطوير اساليب اداراتها
للمنطقة وبما ينسجم مع استمرار هذه المصالح .

لم يكن للبريطانيين قبيل الحرب العالمية الثانية على البر التابع لمشيخات الساحل العماني
الا بضعة مطارات ومحطات تزويد بالوقود . وفي ٨ آب ١٩٣٨ أرسل المقيم البريطاني
الى حكومته مذكرة جاء فيها انه في حالة قيام حرب فانه « ليس لنا اي التزامات تفرضها
علينا العلاقات التعاهدية في حماية الشيوخ المتهادنين على ساحلهم . واضاف ان مصالح
الحكومة البريطانية على بر هذا الساحل جداً قليلة اذ لم تتقدم صناعة النفط تقدماً ،
يجعلهم يضعونها في اعتبارهم . لذلك فأن مهمة الدفاع عن الساحل يجب ان تقتصر
على حماية مناطق المطارات والطريق الجوي خاصة في الشارقة ودبي . ومع نهاية الحرب
العالمية الثانية بدت التغييرات الادارية في الخليج العربي اشد وضوحاً . فتم انشاء وكالة
سياسية في الشارقة وعدت دبي قاعدة سياسية بريطانية تشرف على منطقة الساحل العماني
برمتها بينما استمرت الشارقة محتفظة بمركزها كقاعدة للخطوط الجوية البريطانية الى
الشرق الاقصى بالاضافة الى اتخاذها قاعدة عسكرية وجوية مهمة لبريطانيا في منطقة
الخليج العربي .

لقد حافظت بريطانيا على علاقاتها التعاهدية في منطقة الساحل العماني بأساليب
عديدة تراوحت بين القهر والقسر واثارة الخلاف بين القبائل وبذل لاموال وتوزيع الانواط
والنياشين . وفي كل الاحوال حرصت على ترك السكان في حالة من التخلف والجهل والمرض
حيث انها وقفت ضد تعلم السكان ولم تقم في المنطقة مدرسة الا بعد سنة ١٩٥٣ حين

انشأ شيخ الشارقة مدرسة ابتدائية . اما في المجال الصحي فقد بقي الساحل يعاني المرض دون ان يلفت بمعاناته نظر البريطانيين حتى ان المقيم البريطاني في البحرين كتب في شباط ١٩٣٥ يقول انه ليس من الفطنة السياسية في شيء ان نترك منطقة الساحل العماني ليدخل اليها اطباء من جنسيات اخرى ، اذ ان دخولهم سيضعف من النفوذ البريطاني في المنطقة لذلك اضطرت السلطات البريطانية ان تعين في ٥ تشرين الاول ١٩٣٦ مساعد طبيب يدفع راتبه مناصفة بين حكومة لندن وحكومة الهند البريطانية .

كما احتكر البريطانيون الحق الذي اعطتهم اياه معاهدة ١٨٩٢ في ادارة الشؤون الخارجية لشيوخ الساحل . وقد اعترف البريطانيون في سنة ١٩٣٥ بأن منطقة الساحل العماني هي ، بمنطق القانون الدولي ، مستعمرة لهم ، واكدت المصادر البريطانية نفسها ان الدول التي لاتدير شؤونها الخارجية لاتعد دولاً مستقلة

ان سياسة العزلة التي فرضتها بريطانيا على المنطقة لم تمنع من تأثرها بالرياح التي كانت تهب من بعض الاقطار العربية المتحررة . فلقد انعكست احداث الوطن العربي بشدة على هذه المنطقة فتعاظم التيار القومي الوحدوي . ففي سنة ١٩٣٥ جرى حوار بين حكام الساحل العماني لانشاء اتحاد بين الامارات ، لكن بريطانيا وقفت ضد هذه المحاولة لانها كانت تريد ان تتم بأشرافها المباشر خاصة بعد ان أثارت الاموال التي كانت تدفعها شركات النفط مشاكل بين المشيخات بحيث كل امارة كانت تريد أن تستحوذ على أكبر قدر ممكن من الارض . فسعى البريطانيون الى خلق قدر من الامن يوفر للشركات الوقت للعمل . فدعوا الى اقامة اتحاد في سنة ١٩٥٢ يقوم على اساس انشاء مجلس استشاري يضم حكام الامارات ويجتمع دورياً مرتين في السنة وكان المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي يحضر اجتماعات هذا المجلس للنظر في المشاكل التي تقع في المنطقة وتنسيق خطط التنمية ومناقشة الامور المشتركة بين المشيخات . ولم يكن للمجلس دستور مكتوب ولاجهاز تنفيذي حتى سنة ١٩٦٥ .

وفي سنة ١٩٥٠ عهد البريطانيون الى تكوين قوة مسلحة عرفت باسم الحرس العماني ثم اصبح اسمها بعد سنة ١٩٥٥ كشافة ساحل عمان . وقامت هذه القوة بالمحافظة على الامن والنظام داخل المشيخات . وكانت قيادتها للبريطانيين وجنودها من عناصر وطنية وأجنبية . كما ساهم في تدريباتها بعض ضباط الجيش الأردني وكان مقرها الشارقة وكلفت هذه القوة كذلك بحماية اعمال التنقيب عن النفط والقضاء على القوى المعارضة للمصالح البريطانية .

وعقب تأسيس حلف بغداد سنة ١٩٥٥ جرت محاولات لاجتذاب الامارات ، لكنها فشلت بسبب المعارضة الشعبية الشديدة لها والتي كانت قد تنامت بتأثير النشاط القومي الذي قادته مصر بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢

وخلال سنة ١٩٦٤ ظهرت فكرة توحيد المشيخات ثانية في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في القاهرة وقد تبنت جامعة الدول العربية هذه الفكرة وسعت الى اقامة صندوق للتنمية مهمته تطوير الامارات ومدها بالخبرات الفنية . الا ان بريطانيا قاومت خطط الجامعة . ودعت في ايار ١٩٦٥ الى عقد مؤتمر في امارة دبي حضره حكام الامارات السبع وشارك فيه كل من شيخ البحرين وشيخ قطر . وعرضت بريطانيا فكرة انشاء صندوق للتنمية تشترك فيه الامارات المنتجة للنفط وهي البحرين وقطر وابو ظبي . كما تسهم هي فيه بمليون باون استرليني سنوياً بشرط ان لاتقبل الامارات اي معونة عربية .

لقد ادى تعاظم المد القومي في الاقطار العربية الى ادراك بريطانيا بانها لاتستطيع ان تستمر في الخليج فاعلنت حكومة العمال البريطانية عزمها على الانسحاب من الخليج قبل نهاية سنة١٩٧١ وكان هذا الاعلان حافزاً مشجعاً على قيام الاتحاد في المنطقة لسد الطريق امام كل القوى المتربصة بها . وفي قرية السميح اعلن حاكما ابوظبي ودبي بتاريخ ١٨ شباط ١٩٦٨ قيام اتحاد فدرالي بينهما يفتح المجال امام بقية الامارات للانظام اليه . وقد لعب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة ابو ظبي دوراً كبيراً في البدء بهذه الخطوة ، وذلك حين ارسل الى حاكم دبي بخارطة ابو ظبي يطلب اليه ان يرسم بنفسه الحدود التي يريدها لبلاده . وفي ٢٥ شباط ١٩٦٨ انعقد مؤتمر الامارات في مدينة دبي وبعد سلسلة من الاجتماعات حضرها كل من شيخ البحرين وشيخ قطر قرروا اقامة (اتحاد الامارات العربية) ولكن الاتحاد واجه بعض المشاكل وفي مقدمتها انسحاب البحرين وقطر اثر الاختلاف الذي حصل حول المادة الرابعة من اتفاقية دبي (شباط ١٩٦٨) والمتعلقة بالمساواة بين الامارات التسع فيما يختص بالتصويت في المجلس الاعلى الذي يعد اعلى سلسلة في الدولة ، دون الاخذ بعين الاعتبار الامكانات الاقتصادية والبشرية لكل امارة كما يقول احمد خليل عطوي في كتابه « دولة الامارات العربية : نشأتها وتطورها » .

اجتمع الحكام السبعة في مدينة دبي في ١٨ تموز ١٩٧١ بعد ان فشلت الجهود المبذولة لاقامة اتحاد يضم امارات ساحل عمان والبحرين وقطر ، وقرروا اعلان قيام

٦ كانون الاول ١٩٧١ / انضمام الامارات العربية الى جامعة الدول العربية

« دولة الامارات العربية المتحدة » واصدروا دستوراً مؤقتا لها . اما البحرين فقد اعلنت في ١٤ آب ١٩٧١ استقلالها وكذلك فعلت قطر التي اعلنت استقلالها في اول ايلول ١٩٧١ . وقد انضمت دولة الامارات الى جامعة الدول العربية يوم ٦ كانون الاول ١٩٧١ وهيئة الامم المتحدة . يوم ١٠ كانون الاول ١٩٧١ وانتخب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم امارة ابوظبي رئيساً للدولة الجديدة . كما انتخب الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم امارة دبي نائباً لرئيس الدولة .

لقد أكد دستور الامارات على « ان دولة الامارات العربية دولة مستقلة ذات سيادة ، وهي « جزء من الوطن العربي » وشعبها « جزء من الامة العربية » وفيما يخص بالسلطات الاتحادية فقد اشار الباب الرابع من الدستور الى ان هذه السلطات تتكون في المجلس الاعلى للاتحاد ورئيس الاتحاد ومجلس وزراء الاتحاد والمجلس الوطني الاتحادي والقضاء الاتحادي . وقد حدد الدستور عدد أعضاء المجلس الوطني باربعين عضواً موزعين على الامارات بنسب سكانها . واكد الدستور أن الدولة الاتحادية تحرص على المساواة والعدالة الاجتماعية للمواطنين وتؤمن لهم تكافؤ الفرص وخاصة في مجال التعليم الذي اصبح مجانيا والزامياً في مرحلته الابتدائية . وثبت الدستور مبدأ استقلال القضاء وفي مجال السياسة الخارجية اشار الدستور الى أن دولة الاتحاد تستهدف في سياستها نصرة القضايا والمصالح العربية والاسلامية ، كما انها تسعى لتوثيق اواصر الصداقة والتعاون مع جميع الدول على الاسس والمواثيق التي اقرها المجتمع الدولي ، وخاصة ضمن السيادة والاستقلال والاحترام المتبادل . ومع ان النفط يأتي في مقدمة موارد الدولة الا انها تتجه الى رسم سياسة اقتصادية شاملة تقوم على ايجاد موارد اقتصادية جديدة تساعدها في مواجهة التطورات الاقتصادية العالمية .

استقلال سلطنة عمان ١٩٧١ :

اشرنا فيما سبق الى دور دولة اليعاربة في عمان في قيادة الحركة التحريرية الكبرى لتخليص منطقة الخليج العربي من السيطرة البرتغالية وخاصة في عهد حكامها الاوائل ناصر بن مرشد (١٦٢٤-١٦٤٩) وسلطان بن سيف (١٦٤٩-١٦٦٨) . وقد استطاع اليعاربة من اخضاع المنطقة الى نفوذهم . فمنذ بداية القرن الثامن عشر حكموا منطقة واسعة شملت الاقسام الجنوبية من الخليج العربي وامتد نفوذهم من جنوب الجزيرة العربية وسواحل شرقي أفريقيا في الغرب الى سواحل وادي السند في الشرق . وبعد زوال حكم اليعاربة ، آلت مقاليد الامور في عمان الى البو سعيديين الذين ارتبطوا ببريطانيا سنة ١٧٩٨ بمعاهدة مماثلة للمعاهدات التي عقدها مع حكام البحرين والكويت وقطر والتي كان الغرض منها المحافظة على الوضع القائم في المشيخات والامارات والحد من استقلال حكامها وتقييد سياستهم الخارجية . الا ان هذه الاوضاع لم تمنع الشعب العربي في هذه المنطقة من ان يقوم بالعديد من الانتفاضات . ففي عمان نشبت سنة ١٨٦٢ انتفاضة عربية استمرت قرابة عشر سنوات ضد سلطان مسقط الجديد ثويني بن سعيد (١٨٥٨-١٨٦٦) . الا أن الانكليز تمكنوا من قمعها سنة ١٨٧١ ولقي عزان بن قيس قائد الانتفاضة حتفه في المعارك واستولى الانكليز على مسقط ووضعوا على رأس الحكم السلطان تركي بن سعيد (١٨٧١ – ٧٨٨٨) وكان موالياً لهم . وفي سنة ١٨٨١ نشبت في عمان انتفاضة اخرى حاصر فيها الثوار مدينة مسقط . ولكن السلطان تركي تمكن من اخمادها .

لقد اثار خضوع حكام مسقط للانكليز موجة استياء واسعة في البلاد . ففي سنة ١٩١٣ انتفض العمانيون بقيادة سالم بن راشد الخروصي وألفوا حكومة مستقلة واتخذوا من نزوى عاصمة لهم . وقد استطاع الثوار تحرير جميع اراضي عمان ماعدا مسقط والمناطق الساحلية التي ظلت تحت حماية الاسطول البريطاني .

توثقت علاقة بريطانيا بسلطنة مسقط وعمان منذ تولى السلطان تيمور بن سعيد سنة ١٩١٣ . وفي سنة ١٩٥١ جددت معاهدة ١٧٩٨ بمعاهدة صداقة وفي اتفاقية ٢٦ تموز ١٩٥٨ عقدت بين الطرفين أتفاقية تسهيلات ومساعدات عسكرية . وخلال عهد السلطان تيمور ساعدته الحكومة البريطانية في قمع الحركة التي قادها امام عمان عيسى الحارثي ثم خلفته الامام غالب بن علي وأنتهت الحركة سنة ١٩٢٠ بعد سبع سنوات من القتال بمعاهدة « السيب » التي عقدت في ٢٥ ايلول ١٩٢٠ بين القنصل البريطاني ممثلاً لسلطنة مسقط وامام عمان محمد بن عبدالله الخليلي . وقد اعترفت هذه المعاهدة باستقلال عمان عن مسقط وتتسم بنود هذه المعاهدة بالغموض المقصود ، ويجري نظام الحكم على ان يتولى الامام بعد بيعة عامة يتفق عليها العلماء واهل الحل والعقد . وللامامة شروط خاصة لابد من توازها في الامام الذي ينعقد عليه الاجماع ؛

بدأ نزاع سياسي سنة ١٩٦٥ بين سلطنة مسقط وعلى رأسها انذاك سعيد بن تيمور . وامامة عمان وعلى رأسها غالب بن علي الهنائي . وكان لهذا النزاع علاقة بالنزاع الذي حدث حول واحة البوريمي وتقع هذه الواحة في موضع متوسط بين حدود السعودية

وأمارتي أبوظبي ومسقط . تبلغ مساحتها نحو الفي كيلومتر مربع وتروى من المياه الجوفية وتضم ثماني قرى منها العين والبوريمي والقيعي والمقرض وصعرا . وقد بدأ الاهتمام السياسي بها منذ ١٩٣٣ حين فتحت السعودية امتياز استغلال النفط الى الشركات الاميركية فتحركت بريطانيا بعد ان ثبت وجود النفط فيها خاصة منذ سنة ١٩٤٩ مسارعة بسط سيطرتها على المنطقة نيابة عن امارتي مسقط وابو ظبي اللتين ترتبطان بمعاهدات مع بريطانيا . ونفى السعوديون ذلك مستندين الى حقهم في جباية الزكاة من سكان الواحة بأسم ميرنجد منذ القرن الثامن عشر . وحين اكدت الدراسات الجيولوجية احتمال وجود النفط بدأ النزاع بين بريطانيا والسعودية ثم عقدت اتفاقية توقف سنة ١٩٥٣ تلاها تشكيل لجنة تحكيم سنة ١٩٥٤ عقدت اولى جلساتها بمدينة نيس الفرنسية في ١١ أيلول ١٩٥٥ ولكن لم تلبث ان توقفت في ٢٦ تشرين الأول في السنة نفسها ، بينما واصلت بريطانيا أعمال التنقيب وحماية بعثاتها باقامة مراكز عسكرية في انحاء الواحة .

لقد شجعت بريطانيا سلطان مسقط على احتلال امامة عمان ، ولكن الغزو باء بالفشل وفي سنة ١٩٥٧ اعاد سلطان مسقط المحاولة مما اضطر الامام غالب الى نقل مقره سنة ١٩٥٨ الى الدمام في السعودية ثم الى القاهرة ، حيث تبنت جامعة الدول العربية قضية عمان وعرضها على هيئة الامم المتحدة منذ سنة ١٩٦٠ . وقد ظلت القضية العمانية تناقش هناك حتى ١٩٧٠ حين استطاع قابوس بن سعيد بن تيمور ان يدبر انتفاضة ضد والده في ٢٣ تموز ١٩٧٠ تولى على أثرها الحكم . وقد قام السلطان قابوس بمحاولات وجهود واسعة لاجل تصفية المشاكل مع القيادة العمانية برئاسة الامام غالب بن علي . كما أجرى اتصالات مع جامعة الدول العربية وارسل مبعوثا خاصا الى الاقطار العربية التي رأت اعطاء الفرصة للنظام الجديد الذي تعهد باجراء اصلاحات عامة في عمان وتبنى الأهداف العربية القومية وتوفير الفرص للشعب العماني الذي عانى الكثير من التخلف في ظل العهد السابق . وقد اصدر السلطان قابوس مراسيم جديدة في الاصلاح الزراعي وفي أمور تنظيم الجهاز الحكومي . وادارات الهجرة والجوازات والسفر والصحة والتعليم . وقد عرضت الاقطار العربية وفي مقدمتها الجمهورية العراقية ودولة الكويت على النظام الجديد تقديم اقصى المساعدات لمساعدة القطر العماني في آماله في النهوض والتنمية . وقد بادر السلطان قابوس بتكليف عمه طارق بن سعيد الذي كان منفيا ايام السلطان سعيد بن تيمور بتشكيل وزارة تعد الاولى من نوعها في تاريخ السلطنة .. كما اعلن السلطان قابوس عن عزمه على تغيير اسلوب الحكم وفتح الباب على مصراعيه لبناء دولة حديثة واستثمار عوائد النفط الذي بدأ العمل باستغلاله وتصديره منذ سنة ١٩٦٧ .

في تحقيق التقدم واخراج السلطنة من عزلتها الطويلة التي عاشتها في ظل السلاطين السابقين .

لقد اتخذ السلطان قابوس سياسة الانفتاح على العالم . وطلب انضمام بلاده الى جامعة الدول العربية والى الامم المتحدة في نفس التاريخ الذي تقدمت فيه الاقطار الخليجية الاخرى . فقبلت في الجامعة في ٦ تشرين الاول ١٩٧١ وبعد يوم واحد قبلت في هيئة الامم لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخها .

الفصل التاسع

اشتداد حركة الدعوة لتحقيق الوحدة العربية

مقدمة

سعى العرب منذ نشوب الثورة الكبرى سنة ١٩١٦ الى تأكيد حقهم في اقامة الدولة العربية الموحدة ضمن الحدود التي رسمتها التنظيمات القومية السرية التي عملت في الساحة العربية وفي مقدمتها جمعية العهد وجمعية العربية الفتاة . ولئن ساهم قيام الحرب العالمية الاولى في اتجاه الحركة العربية الى المناداة باستقلال الاقطار العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية في المشرق في اطار دولة واحدة ، فانها انتهت بتجزئة الاقطار العربية بين الدول الغربية وتوسع الموجة الغربية في الفكر والاقتصاد والمؤسسات ، وتحقيق اطماع الصهيونية في فلسطين ، واثارة اتجاهات متباينة في الوطن العربي .

وبعد ظهور الكيانات السياسية العربية المنفصلة ، شغلت قضية الوحدة العربية باعتبارها نقيضاً لوضع التجزئة التي كان يعيشها الوطن العربي ، اهتمام وتفكير الشعب العربي في مختلف اقطاره . وظهر العديد من المشاريع والمحاولات الاتحادية والوحدوية اغلبها شكلي وسطحي واقلها جاد وحقيقي . وقد ارتبطت تلك المشاريع برغبة بعض الحكام العرب المرتبطين بطبقة الاقطاع وبعجلة السياسة الغربية وكان الهدف منها الدعاية او احتواء حالة المد القومي الوحدوي الذي كان ينمو بشدة خلال تلك الفترة .

ومع ان حزب البعث العربي الاشتراكي كان واعيا لحقيقة تلك المشاريع ومدى جديتها منذ الدعوى اليها في الاربعينيات الا انه كان يعلن باستمرار وقوفه وتأييده لكل خطوة وحدوية من الناحية المبدئية ، من دون ان يكون له فيها دور مخطط وفاعل فهو مع مشروع سورية الكبرى المطروح سنة ١٩٤٥ اذا حافظ على عروبة فلسطين والنظام الجمهوري ، ويتم برضى الشعب ويحقق المصلحة العربية العليا وهو مع وحدة وادي النيل ومع استقلال امارات الخليج العربي واتحادها مع بعضها .

اهتم حزب البعث العربي الاشتراكي بميثاق جامعة الدول العربية المعلن سنة ١٩٤٥ وابدى رأيه فيه بقوله : « انه صورة ناقصة مشوهة لاماني العرب الحقيقية في الوحدة ، لانه صادر عن حكومات ؛ هي صورة ناقصة ومشوهة لحقيقة الشعب العربي ولكنه رغم جميع علله ونواقصه قادر على تحقيق بعض الخير للعرب . فيما لو استطاعت الحكومة ان تخلص له وتفيد من جميع امكاناته » .

وخلال الخمسينات ، تأججت المشاعر القومية العربية نتيجة لعوامل عديدة منها تعاظم دور حزب البعث العربي الاشتراكي في بعض الاقطار العربية وفي مقدمها سوريا ، وبروز قيادة الرئيس جمال عبد الناصر لمصر وتوجيهه سياستها وجهة قومية تحررية تقدمية . وكان من نتائج ذلك تحقيق الوحدة السورية المصرية وقيام الجمهورية العربية المتحدة . وكانت دوافع حزب البعث العربي الاشتراكي في اللقاء مع عبد الناصر والسعي معه من اجل اقامة الوحدة عديدة لعل من ابرزها ايمانه العميق والمطلق بفكرة الوحدة العربية وبضرورتها في مواجهة تحالف القوى الاستعمارية والصهيونية . وكذلك رغبته في جعل تلك الوحدة مركز استقطاب قومي للاقطار العربية الاخرى ، وجعلها نموذجاً يقتدى به .

لقد فشلت بعض المشاريع الوحدوية ، وقسم منها لم يخرج الى حيز التنفيذ ، فضلاً عن ان السياسة الاستعمارية كانت ولا تزال ترى أن من مصلحة الغرب ترسيخ التجزئة في الوطن العربي وتعميقها ، كي يسهل عليها استغلال خيراته والافادة من موقعه الممتاز ستراتيجياً وتجارياً والحيلولة دون نهوضه وقيامه بدوره الانساني الحضاري اما ابرز المشاريع والخطوات الوحدوية التي شهدها الوطن العربي في تاريخه المعاصر فهي مشروع الهلال الخصيب ومشروع سوريا الكبرى وجامعة الدول العربية والجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربي الهاشمي وميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣ الذي ارسى اسس قيام الوحدة بين العراق وسوريا ومصر . وبعد نشوب الحرب العراقية – الايرانية سنة ١٩٨٠ بادرت بعض اقطار الخليج العربي الى اقامة « مجلس التعاون لدول الخليج العربية » ، كاطار للتنسيق بين هذه الاقطار في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .

مشروع الهلال الخصيب

يطلق اصطلاح الهلال الخصيب على الاقطار العربية المحيطة بشمال شبه الجزيرة العربية وهي العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن . بشكل هلال تمتد اطرافه بين خليجي العقبة والسويس من جهة الغرب وحتى الخليج العربي شرقاً . ويقع رأس الهلال عند الحدود التركية وقد اصبحت الدعوة لتوحيد هذه المنطقة تظهر فوق الساحة العربية منذ اندلاع الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ . وحين قيام الحكم العربي في دمشق اثر تحريرها سنة ١٩١٨ حاول الملك فيصل توحيد برامج الكفاح بين العراقيين والسوريين . لكن معركة ميسلون في تموز ١٩٢٠ واضطرار الملك فيصل الى الخروج من سوريا ، حال دون تحقيق ذلك الحلم .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، ظهرت الدعوة الى تحقيق وحدة الهلال الخصيب ومما ساعد على ذلك ان بريطانيا شعرت انها في حاجة ماسة الى دعم هذا المشروع خاصة بعد ان تعاظم النفوذ الالماني في المنطقة العربية .

قدم نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي (٨ تشرين الاول ١٩٤٢ – ٢٥ كانون الاول ١٩٤٣) في كانون الأول ١٩٤٢ مشروعاً في كتاب خاص سمي بالكتاب الازرق Blue book الى ريتشارد جيمس وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط الذي كان يقيم آنذاك في القاهرة . كما وزعه شخصياً على رؤساء الوزارات العرب سنة ١٩٤٣ . وقد وجد نوري السعيد في ظروف المنطقة العربية آنذاك فرصة يمكن الاستفادة منها في تحقيق وحدة اقطار الهلال الخصيب : فسوريا ولبنان قد تحررتا من حكم فيشي وبذلت لهما الوعود بالاستقلال الذي اعترف به فعلاً بعد فترة دون ان ترتبط البلدان بمعاهدة تحدد طبيعة علاقاتها مع فرنسا كتلك التي عقدها العراق مع بريطانيا سنة ١٩٣٠ . والاردن وفلسطين كانتا ترزحان تحت الانتداب البريطاني . اما العراق فقد وقع تحت الاحتلال البريطاني الثاني عقب فشل ثورة ١٩٤١ .

تضمن مشروع نوري السعيد الاتحادي تصوراته للمشاكل القائمة في المنطقة العربية وطرق علاجها وتلافي النتائج التي قد تتمخض عنها ويرى في مشروعه « الحل المنصف الوحيد بل الامل الوحيد لضمان دوام السلام والاطمئنان والتقدم في هذه المناطق » وقد طلب نوري السعيد من المسؤولين البريطانيين ان يأخذوا بنظر الاعتبار مايلي : –

١ – ان الاراء التي تضمنها الكتاب لا تعبر ، رغم أن عدداً من الزعماء العراقيين يشاركون مقدمه الرأي ، الا عن وجهة نظر شخصية بحته ، وليس هناك ما يدعو الى اعتبار هذه الاراء بياناً عن سياسة الحكومة العراقية .

٢ – ان تفسير اوجه الخلاف بين العرب والانكليز والفرنسيين بخصوص الاحداث التي شهدتها المنطقة العربية منذ اواخر الحرب العالمية الاولى قد عولج في الكتاب بقدر المستطاع معالجة واقعية بعيدة عن التعصب لاي فريق من الفرقاء .

٣ – ان توضيح مستقبل الاقطار العربية التي كانت فيما مضى جزءاً من الدولة العثمانية وكذلك فلسطين تقتضي ادلاء بريطانيا والولايات المتحدة بتصريح معين . وان تؤكد الأمم المتحدة عدم مساندتها لفكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين .

أما الاسلوب الذي يجب ان يتم به تكوين الاتحاد العربي فهو كما يلي :

١ – ان يعاد توحيد سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن في دولة واحدة .

٢ – ان يبت سكان هذه الدولة أنفسهم في نوع الحكومة التي تتخذها هذه الدولة سواء كانت ملكية اوجمهورية ، وايضا سواء اكانت وحدة اواتحاداً .

٣ – ان تنشأ عصبة (جامعة Leaque) عربية ينظم اليها العراق وسوريا فوراً ، على ان يباح للدول العربية الاخرى الانضمام اليها متى شاءت .

٤ – ان يكون لهذه العصبة العربية مجلس دائم ترشحه الدول المنخرطة في سلك هذه العصبة ، يرأسه أحد رؤساء الدول الذي يتم اختياره اختياراً تقبله الدول ذات الشأن .

٥ – ان يكون مجلس العصبة مسؤولاً عن الامور التالية :

أ – الدفاع

ب – الشؤون الخارجية .

جـ – العملة .

د – المواصلات

و – حماية حقوق الاقليات

ز – التعليم

٦ – يمنح اليهود في فلسطين ادارة شبه ذاتية في المنطقة التي يكونون اكثرية فيها ، مع منحهم الحق في ادارة مناطقهم الريفية والمدنية ، ويشمل ذلك المدارس والمؤسسات الصحية ، اما الشرطة فتكون تابعة لاشراف الدولة السورية بوجه عام .

٧ – تكون القدس مدينة يباح الدخول اليها ابناء جميع الاديان بقصد الزيارة او العبادة . وتتألف لجنة خاصة من ممثلي الاديان الثلاثة السائدة لضمان ذلك .

٨ – ان يمنح الموارنة في لبنان ، اذا شاؤوا ، ادارة ممتازة على نحو ما كانوا يتمتعون به خلال السنوات الاخيرة من عهد الدولة العثمانية . وتستند هذه الادارة الخاصة اسوة بالادارات التي تؤسس وفق احكام الفقرتين (٦) و (٧) السابقتين الى ضمان دولي .

لم يحظ المشروع بتأييد الأقطار العربية الأخرى وخاصة مصر والمملكة العربية السعودية ولبنان وسوريا ، وذلك لأنه يقتصر الاتحاد على اقطار الهلال الخصيب ويستبعد مصر وأقطار الخليج العربي والجزيرة العربية والمغرب العربي . هذا فضلاً عن اعتقاد تلك الأقطار بان أي اتحاد عربي تقوده بريطانيا لابد وان يأتي لخدمة الاسرة الهاشمية واتساع نفوذها في الوطن العربي . كما سجلت على المشروع مآخذ أخرى في مقدمتها انه استخدم مظاهر الوحدة الشكلية لتكريس التجزئة والممارسات الاقليمية والطائفية . واعطاء الفرصة لتحرك الصهيونية وتحقيق احلامها العدوانية في فلسطين . لذلك كله لم يحالف النجاح المشروع ، فظل حبراً على ورق .

مشروع سوريا الكبرى

اشرنا فيما سبق الى ان الامير عبد الله بن الحسين . استطاع ان يؤسس امارة في شرقي الاردن وقد سعى الامير عبد الله الى الثأر من اسقاط الفرنسيين لحكومة شقيقه فيصل العربية والدعوة الى اعادة توحيد بلاد الشام أو ما يعرف بسوريا الكبرى . لذلك حاول أن يستفيد من ظروف الحرب العالمية الثانية وتصريح انتوني ايدن وزير الخارجية البريطانية في ٢٩ ايار ١٩٤١ والذي أكد على ان بريطانيا تؤيد كل التأييد اي مشروع وحدوي يتفق العرب عليه ، ليتقدم في تموز سنة ١٩٤١ بمشروعه الى الحكومة البريطانية المتضمن تحقيق وحدة سوريا الجغرافية أي يضم الاردن وسوريا في دولة واحدة وهو المشروع الذي عرف بـ (سوريا الكبرى) .

لم يلق المشروع تأييداً واضحاً من لدن الزعماء السوريين الذين عبروا عن رغبتهم في اقامة حكمهم على اساس النظام الجمهوري وتعللوا في تأجيل المشروع بضرورة [illegible] على الاستقلال أولاً . وفي ٨ نيسان ١٩٤٣ اعاد الامير عبد الله طرح مشروعه [illegible]كومة البريطانية لحل ما اسماه بـ (المسألة السورية بوجه خاص والمسألة العربية

بوجه عام) . وتضمن المشروع الدعوة الى قيام دولة عربية بوحدة في سوريا باطار حدودها الطبيعية والتي تضم سوريا وشرق الاردن وفلسطين ولبنان ، مع وضع ادارة خاصة في لبنان وفلسطين ويكون هورئيسا للدولة السورية الموحدة ، وبعد قيامها يصار الى انشاء اتحاد عربي بين سوريا والعراق ويكون الباب مفتوحاً امام انضمام الاقطار العربية الأخرى .

لم يلق المشروع تأييداً من الاقطار العربية الاخرى وعدته محاولة من الاسرة الهاشمية كذلك لتدعيم نفوذها في المنطقة . وبالرغم من فشل المشروع فان الاميرعبد الله ظل يدعو له حتى بعد تأسيس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ . ويبدو ان معارضة السوريين واللبنانيين انفسهم للمشروع كان له اثر كبير في عدم اخراجه الى حيز التنفيذ . وفي وقت لاحق وضح حزب البعث العربي الاشتراكي موقفه من هذا المشروع مؤكداً بانه يعارضه بسبب ماتضمنته المعاهدة البريطانية الاردنية من انتقاص لاستقلال الاردن من جهة وحرص سوريا على النظام الجمهوري من جهة أخرى . واضاف انه يؤيد المشروع اذا حافظ على عروبة فلسطين والنظام الجمهوري وحقق المصلحة العربية العليا .

تأسيس جامعة الدول العربية

اتجهت الأقطار العربية ، بعد فشل مشروعي الهلال الخصيب وسوريا الكبرى الى البحث عن صيغة أخرى للوحدة . ففي ١٧ اذار ١٩٤٣ بعث نوري السعيد رئيس وزراء العراق برسالة الى مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر يعرض عليه فكرة عقد مؤتمر عربي لبحث موضوع الوحدة العربية خاصة بعد تصريح ايدن انف الذكر والذي أكد بان بريطانيا « تنظر بعطف الى أي حركة بين العرب ترمي الى تحسين وحدتهم الاقتصادية ، والثقافية والسياسية » . وان « المبادرة باي مشروع من هذا القبيل يجب ان تصدر من العرب انفسهم » . كما بعث نوري السعيد برسالة مماثلة الى الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية ، وأرسل وفدا رسميا عراقيا الى كل من سوريا والاردن للتشاور حول الخطوط الرئيسة للتعاون العربي الجديد .

وعلى كل حال ، فقد وقف مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر في مجلس الشيوخ المصري يوم ٣١ اذار ١٩٤٣ والقى بياناً تطرق فيه الى فكرة « انشاء جامعة الدول العربية » جاء فيه : « منذ أعلن المستر ايدن تصريحه ، فكرت فيه طويلاً ، وقد رأيت ان الطريقة المثلى التي يمكن ان توصل الى غاية مرضية ، هي ان تتناول الحكومات العربية هذا الموضوع ، وانتهيت من دراستي الى أنه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل . فتبدأ باستطلاع اراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من آمال ، كل منها على حدة ، ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها في التوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت السبيل الى ذلك . ثم تدعوهم الى مصر في اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدأ السعي للوحدة العربية ... فاذا تم التفاهم اوكاد ، وجب ان يعقد في مصر مؤتمر ... لاكمال بحث الموضوع ، واتخاذ ما يراه من القرارات محققاً للاغراض التي تنشدها الأمة العربية ... » .

وجه النحاس الدعوة الى رئيس وزراء العراق نوري السعيد ، الذي غادر بغداد في ٧ تموز ١٩٤٣ متجهاً نحو سوريا ولبنان وشرق الاردن . وفي هذه الاقطار تشاور نوري السعيد مع المسؤولين حول تصورهم للوحدة العربية . واجمل نتائج مشاوراته بالتصريح التالي : « ان الناس في لبنان انقسموا الى فريقين : فريق يناصر فكرة التعاون ين الدول العربية الى حد محدود ، وفريق يناصر فحره الوحدة الكاملة . أما اراء الامير عبد الله ، أمير شرق الاردن فواضحة كل الوضوح ، اذ يناصر فكرة الوحدة السورية ويراها عاملاً اساسياً في بناء الوحدة العربية ، أما سوريا فمشغولة بالانتخابات » .

وصل نوري السعيد القاهرة يوم ٢٢ تموز واجتمع بالنحاس اجتماعات متعددة درس خلالها الرئيسان : المصري والعراقي قضية تكوين « جامعة الدول العربية » من نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . كما اتصل النحاس بالملك عبد العزيز آل سعود ، وامام اليمن ، والامير عبد الله بن الحسين ، وفاوض مندوبيهم حول الموضوع وفي اوائل ١٩٤٣ فرغ النحاس من مباحثاته واستشاراته مع ممثلي الجمهوريتين : السورية واللبنانية واخذ يدرس موضوع عقد مؤتمر تمهيدي لتحقيق فكرة الجامعة .

كما وصل بغداد يوم ٢٧ كانون الاول ١٩٤٣ وفد سوري برئاسة وزير الخارجية جميل مردم وذلك لتبادل وجهات النظر « فيما يخص الوحدة العربية على الاساس الذي جرت عليه المشاورات في مصر » . وقد اسفرت المحادثات السورية - العراقية عن اتفاق تام حول الموضوع . وفي ٣ نيسان ١٩٤٤ وصل الى بغداد وفد لبناني برئاسة رياض الصلح وزير الخارجية للغاية نفسها التي جاء من اجلها الوفد السوري . كما جرت مشاورات بين الاردن ومصر وبين السعودية ومصر وبين اليمن ومصر وانتهت مع بدء سنة ١٩٤٤ وكانت الحرب العالمية الثانية على وشك الانتهاء بانتصار الحلفاء الذين كانت جيوشهم تسيطر على معظم اقطار الوطن العربي .

وجه مصطفى النحاس في ٢١ حزيران ١٩٤٤ رسالة الى حمدي الباجه جي رئيس الوزارة العراقية جاء فيها : « تعلمون ... ان مشاورات الوحدة العربية قد جرت حتى الان مع العراق وشرق الاردن والمملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان واليمن . وقد كنت ، ولاازال ، أعلق اهمية كبيرة على ان تجري ايضاً مع من يمثلون عرب فلسطين تمثيلاً صحيحاً . ولم ار الانتقال الى المرحلة التالية من مراحل مشروع الوحدة العربية حتى يتم ذلك » واقترح النحاس اسمي الزعيمين الفلسطينيين جمال الحسيني وامين التميمي المعتقلين في جنوب افريقيا لتمثيل الفلسطينيين وقال انه بذل مساع متصلة للافراج عنهما غير انه لم ينجح ، ولما كانت المصلحة تقتضي من جهة اخرى الاسراع قدر المستطاع في مشروع الوحدة العربية ... لذلك ...اقترح عقد اللجنة التحضيرية في اواخر تموز – اوائل اب ١٩٤٤ » .

وفي ١٢ تموز ١٩٤٤ وجه النحاس الدعوة الى الحكومات العربية الاخرى التي شاركت في المشاورات التمهيدية لارسال مندوبيها للاشتراك في « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام التي ستتولى صوغ المشروعات لتحقيق الوحدة العربية » .

اجتمعت اللجنة التحضيرية في ٢٥ ايلول ١٩٤٤ في الاسكندرية بحضور مندوبين عن مصر وسورية ولبنان والعراق وشرق الاردن والسعودية واليمن وعن عرب فلسطين وعقدت ثماني جلسات متوالية استبعد المجتمعون ، منذ البدء ، فكرة الحكومة المركزية ومشروعي الهلال الخصيب وسوريا الكبرى بعد مناقشات طويلة . وظهرت خلال المناقشات كذلك فكرة تأسيس اتحاد عربي له سلطة تنفيذية وقرارات ملزمة . لكن المجتمعين لم يتفقوا على ذلك واستبعدوا الفكرة للاسباب نفسها التي ادت الى استبعاد فكرة الحكومة المركزية . ولم يبق الا الاتفاق على تكوين اتحاد لاتكون قراراته ملزمة الا لمن يقبل بها . وقدم النحاس اقتراحاً نص على تأليف جامعة من الدول العربية المستقلة لها مجلس تمثل فيه الدول على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد اجتماعات دورية للنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها وتوثيق الصلات بينها ، وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون فيها . وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها ، فيما عدا الاحوال التي يقع فيها خلاف بين دولة عربية واخرى ، ففي هذه الاحوال تكون قرارات مجلس الجامعة نافذة ملزمة .

اتخذت اللجنة التحضيرية عدداً من القرارات ابرزها تكوين لجنة سياسية فرعية لاعداد مشروع نظام جامعة الدول العربية . واجتمعت اللجنة في الاسكندرية في ٢٥ كانون الاول ١٩٤٤ ووضعت ميثاق الجامعة العربية . وبعد مراسلات طويلة تم الاتفاق على صيغة الميثاق الذي تضمن نقاطاً عديدة اهمها ما يلي :

١- تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق (مادة ١)

٢- الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية . تحقيقاً للتعاون بينها . وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها ، كذلك من اغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً ، بحسب نظم كل دولة فيها واحوالها ، في الشؤون الاقتصادية والمواصلات والثقافية والجنسية والشؤون الثقافية والصحية (مادة ٢)

٣- لايجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين ، اواكثر من دول الجامعة (مادة ٥)

٤- تحترم كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الاخرى وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بان لاتقوم بعمل يرمي الى تغيير ذلك النظام فيها (مادة ٨) .

ان من ابرز مايلحظ على الميثاق انه اعترف بسيادة واستقلال الاقطار العربية بحدودها القائمة فعلاً . كما وضع الاقطار العربية المشتركة على قدم المساواة مع بعضها واعترف بحق كل دولة ان تبرم من المعاهدات والاتفاقات مع غيرها من الدول العربية او غير العربية شرط الا تتعارض مع احكام ميثاق الجامعة . ولم يضع الميثاق اي الزام على الاقطار العربية لاتباع سياسة خارجية موحدة . لكن هذه الفقرة عدلت بحيث تم التأكيد على انه لايجوز في اي حال من الاحوال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها .

اتخذت القاهرة مقراً دائماً لجامعة الدول العربية وفي يوم ٢٢ اذار ١٩٤٥ وقع مندوبو الدول العربية الميثاق الذي اصبح نافذ المفعول منذ ١١ ايار ١٩٤٥ . وقد اتفقت الدول الموقعة على أسناد الامانة العامة للجامعة العربية الى عبد الرحمن عزام المصري الجنسية واشترطت ان يكون تعيينه لمدة سنتين ، على ان يحدد مجلس الجامعة فيما بعد المستقبل للامانة العامة .

لقد أقر الميثاق تشكيلات الجامعة . وابرزها مجلس الجامعة والامانة العامة واللجان . ويعد مجلس الجامعة الجهاز الرئيس الذي يتألف من ممثلي الدول الاعضاء ومهمة المجلس القيام بتحقيق اهداف الجامعة ومعالجة الخلافات التي تقع بين الدول الاعضاء وتقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية لضمان الامن والسلام وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية . ويجمع مرتين في السنة ولاتصبح مقررات المجلس نافذة مالم توافق عليها حكومات اقطار الجامعة ولاتكون ملزمة الا للدول التي توافق عليها . اما الامانة العامة فهي الجهاز المنفذ للاعمال الادارية وعلى رأسه الامين العام وتعادل درجته الوظيفية رتبة سفير يعاونه امناء عامون مساعدون . فضلاً عن عدد من الموظفين . ويعد الامين العام مشروع ميزانية الجامعة وتوجيه الدعوة الى الدول الاعضاء لعقد الاجتماعات وثمـة لجان عديدة في الجامعة منها لجنة الشؤون السياسة ولجنة الشؤون الثقافية ولجنة الشؤون الاقتصادية ولجنة المواصلات .

قامت الجامعة بنشاطات سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة منذ نشأتها . فهي قد ساعدت بعض الاقطار العربية على نيل استقلالها وكان لها دور في تسوية بعض الخلافات التي حدثت بين الاقطار العربية . وسعت الجامعة لعقد اتفاقية التعاون الاقتصادي سنة ١٩٥٠ . كما اقرت الجامعة مشروع معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية في نيسان ١٩٥٠ . وقد تألفت بموجب هذه المعاهدة ثلاثة اجهزة رئيسة هي اللجنة العسكرية الدائمة . ومجلس الدفاع المشترك والمجلس الاقتصادي . وقد نصت المادة الاولى في معاهدة الدفاع المشترك على ان الاعتداء المسلح على اية دول من الدول الموقعة يعد اعتداء على دول الجامعة كلها وان عليها ان تتخذ جميع التدابير اللازمة بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد العدوان .

ثمة محاولات عديدة لتقويم جامعة الدول العربية . منها ان قيام الجامعة لم يكن بأي حال من الاحوال . بديلاً عن الوحدة او الاتحاد بين العرب . وانما كان بديلاً عن حالة الفوضى وعدم التنسيق التي كانت قائمة بين الاقطار العربية قبل قيامها . كما ان هناك من يرى بأن الجامعة اعاقت قيام الوحدة . واخفقت في معالجة الكثير من المشاكل التي تواجه الامة العربية . وقد انعكست حالة التجزئة على وضع الجامعة . فجاء ميثاقها صورة صادقة للواقع الرسمي الذي كان عليه الوطن العربي .

حرص حزب البعث العربي الاشتراكي على ابداء وجهة نظره بجامعة الدول العربية في مناسبات عديدة . وتتلخص وجهة النظر هذه في ان الجامعة « صورة ناقصة مشوهة لاماني العرب الحقيقية في الوحدة » . ودعا الحزب الى اقامة جامعة شعبية عربية . وبنى الحزب موقفه هذا على اساس ان « الوحدة العربية لم تكن هدفاً قومياً في ذهن الذين خلقوا الجامعة العربية . بل كان الهدف المحافظة على التجزئة الراهنة ... ان الجامعة ليست للوحدة اداة وطريقاً . وبات من واجبنا ايجاد الاداة المؤاتية » .

قيام الجمهورية العربية المتحدة

شهد الوطن العربي في الخمسينات . حركة ثورية واسعة النطاق فبعد اندلاع ثورة مصر ١٩٥٢ وثورة الجزائر ١٩٥٤ وثورة العراق ١٩٥٨ أخذ المد العربي الوحدوي يتنامى بشكل لم يكن له مثيل طوال التاريخ العربي الحديث . وقد ساعد على ذلك تعاون قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي مع قيادة الرئيس المصري جمال عبد الناصر في تكريس موقف قومي تقدمي متميز ازاء القضايا الوطنية والقومية والدولية . فعلى الصعيد الوطني تم التأكيد على دور الجماهير العربية في ان تأخذ دورها الفاعل في عملية بناء المجتمع العربي الجديد وذلك عن طريق السعي لتحقيق الاهداف الرئيسة للنضال وهي الوحدة والحرية والاشتراكية . اما على الصعيد القومي فقد كشفت قيادة البعث وعبد الناصر النقاب عن دور القوى الرجعية المتخلفة في ضياع فلسطين وتأخر الوطن العربي وعلى الصعيد الدولي تم التأكيد على سياسة عدم الانحياز ورفض الانضواء تحت الوية الاحلاف والتكتلات الاستعمارية . ولقد ادى العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ وفشله في تحقيق اهدافه الى تعاظم العمل القومي العربي ومهد لقيام الوحدة بين سوريا ومصر .

بدأ حزب البعث العربي الاشتراكي منذ النصف الثاني من الخمسينات . يعرب عن تقديره لثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر ويعتبرها مع حركة البعث وثورة الجزائر (١٩٥٤) « حركات اصيلة عميقة تتكلم نفس اللغة .. وتعلن نفس الاهداف والمبادىء وتناضل من اجل نفس الغايات والاهداف » . وفي ١٩٦٤ اعلن الحزب مشروعاً لاقامة الوحدة السورية والمصرية . وحين قبلت الاحزاب الوطنية السورية وفي مقدمتها الحزب الوطني وحزب الشعب مشروعه وافق الحزب على المشاركة في الحكم وشهدت الفترة التي سبقت العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ توطيد العلاقات بين البعث والقيادة الناصرية . حيث وصل صلاح سالم ممثل عبد الناصر الى سوريا للعمل على وضع اسس التعاون في مجال تحقيق الوحدة . وفي ٥ حزيران ١٩٥٦ قررت الحكومة السورية العمل لاقامة « اتحاد فدرالي بين مصر وسوريا » . وفي ٥ تموز ١٩٥٦ صادق مجلس النواب

السوري على القرار وخول الحكومة البدء بالمفاوضة من اجل تحقيق الهدف . ورافق ذلك كله عقد بضعة اتفاقات عسكرية بين مصر وسورية نجم عنها تشكيل قيادة عسكرية مشتركة .

وبعد فشل العدوان الثلاثي على مصر . تبادل الوفدان البرلمانيان السوري والمصري الزيارات . وعمت كل انحاء مصر وسوريا موجة عارمة من التظاهرات الشعبية تطالب بتطوير التعاون وتوجيهه نحو اقامة دولة واحدة . بعلم واحد ورئيس واحد وجيش واحد . وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧ عقد مجلس النواب السوري جلسة تاريخية حضرها اعضاء وفد مجلس الامة المصري . وفي ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٧ اصدر البرلمان السوري والمصري على قرار يخولان فيه حكومتيهما التفاوض من اجل تحقيق الوحدة .

التقى وفد سوري عسكري ضم الاستاذ صلاح الدين البيطار وزير الخارجية بالرئيس عبد الناصر يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٥٨ . وخلال المباحثات تطرق الجانبان الى بحث المبادىء الدستورية لدولة الوحدة وتم تشكيل لجنة لصياغة الاجراءات ووضع جدول زمني لذلك وعاد الوفد السوري الى دمشق في ٢٧ كانون الثاني واجتمع مجلس الوزراء السوري لمناقشة ماتم بحثه في مصر ثم عاد الى مصر حاملاً مشروع الاتحاد . وفي ٢٨ كانون الثاني تبنى مجلس الوزراء السوري الصيغة النهائية لوحدة القطرين وقد حملها صلاح الدين البيطار . وفي ٣١ كانون الثاني وصل الى القاهرة الرئيس السوري شكري القوتلي على رأس وفد سوري كبير . وقد استقبلوا في مصر استقبالاً شعبياً حافلاً . وتبع ذلك اجراء المباحثات التي انتهت في ١ شباط ١٩٥٨ باعلان الوحدة بين مصر وسوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة . كما تم الاتفاق على اجراء استفتاء شعبي . وقد حصل قرار الوحدة على مايشبه الاجماع وبعد اعلان نتائج الاستفتاء في ٢١ شباط ١٩٥٨ يوم واحد اصبحت الجمهورية العربية المتحدة حقيقة واقعة وانتخب الرئيس عبد الناصر. ليكون اول رئيس لها بعد ان حصل على ٩٩ ٪ من الاصوات في كلا القطرين .

وفي ٥ اذار ١٩٥٨ صدر الدستور المؤقت الذي اكد بان الدولة العربية الجديدة جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة وشعبها جزء من الامة العربية وتتكون من اقليمين هما مصر وتعد الاقليم الجنوبي وسوريا وتعد الاقليم الشمالي وينشأ من كل اقليم مجلس تنفيذي يرأسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية باقتراح من رئيس المجلس . اما السلطة التشريعية فيتولاها مجلس يسمى مجلس الامة وفي ٦ اذار ١٩٥٨ شكلت اول حكومة مركزية برئاسة الرئيس عبد الناصر

يعاونه اربعة نواب اثنان من مصر وهما المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي واثنان من سوريا وهما اكرم الحوراني (احد قادة حزب البعث العربي الاشتراكي) وصبري العسلي (من الحزب الوطني السوري) .

نشأة الاتحاد العربي الهاشمي :

ظهرت في كل من العراق والاردن ، رغبة جامحة لتحقيق الاتحاد بينهما . فبعد اعلان قيام الوحدة بين سوريا ومصر ، اوفد الملك حسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية وزير البلاط الملكي سليمان طوقان الى بغداد يحمل رسالة الى الملك فيصل الثاني ملك العراق لزيارة عمان . وفي ١١ شباط وصل الملك فيصل عمان على رأس وفد كبير . ولم يلبث المجتمعون ان توصلوا الى اعلان الاتحاد العربي بين العراق والاردن . وفي ١٤ شباط ١٩٥٨ صدر في عمان بلاغ مشترك عن الاتفاق اعاد الى الاذهان ايام الثورة العربية الكبرى واهدافها في تحرير الوطن العربي الكبير ، وتوحيده ومما جاء فيه ان الاتحاد يكون مفتوحا للدولة العربية الاخرى الراغبة في الانضمام اليه . وان تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة ، وسيادتها على اراضيها ، وبنظام الحكم القائم فيها . كما اكد الاتفاق على تنفيذ اجراءات الاتحاد بين الدولتين اعتباراً من تاريخ الاعلان الرسمي لقيام الاتحاد في توحيد الجيش والسياسة الخارجية ومناهج التعليم .

لقد تولت شؤون الاتحاد حكومة اتحادية مؤلفة من مجلس تشريعي وسلطة تنفيذية ويكون ملك العراق رئيسا للاتحاد . وفي حالة غيابه يحل ملك الاردن محله ويكون مقر حكومة الاتحاد بصورة دورية في بغداد لمدة ستة اشهر من السنة وفي عمان لستة اشهر اخرى . وتضع حكومة الاتحاد دستوراً خلال مدة لاتزيد عن ثلاثة اشهر من تاريخ توقيع الاتفاق . وفي ٧ اذار ١٩٥٨ وضعت الصيغة النهائية لمشروع الدستور وفي ١٢ اذار تم تشريعه وقد نص على ان الاتحاد يتكون من المملكة العراقية والمملكة الاردنية الهاشمية (مادة ١) وتتألف حكومة الاتحاد من رئيس الاتحاد ، وسلطة تشريعية وسلطة تنفيذية وسلطة قضائية (مادة ٤) ويعاد النظر في وضع رئاسة الاتحاد عند انضمام دول اخرى اليه (مادة ٥) ويتألف مجلس الاتحاد من اربعين عضواً عشرون منهم من العراق وعشرون من الاردن (مادة ١٠) ومدة مجلس الاتحاد اربع سنوات (مادة ١٣) وتناط السلطة التنفيذية برئيس الاتحاد ، ويمارسها بواسطة مجلس وزراء الاتحاد (مادة ٣٥) ورئيس الاتحاد هي القائد الاعلى للجيش الجديد (الجيش العربي) الذي يشكل من الجيش

العراقي والجيش الاردني (مادة ٥٣) ويعد ملك الاردن القائد الاعلى للقوات المرابطة في الاردن من الجيش العربـــي .

كما الحقت بالدستور احكام متفرقة . معظمها تتعلق بكيفية مواجهة « حدوث اضطرابات اوطوارىء خطيرة في اية جهة من بلاد الاتحاد اوفي حالة وقوع خطر اعتداء على اية منطقة من مناطق بلاد الاتحاد » . فلقد نصت المادة (٧٣) على انه في حالة حدوث طوارىء من شأنها الاخلال بالامن العام في اية جهة من الاتحاد ، فلرئيس الاتحاد ان يعلن حالة الطوارىء في جميع انحاد البلاد الاتحاد او في اية منطقـة معينـة منهـا .

كلف الملك فيصل الثاني بصفته رئيسا للاتحاد العربـي يوم ١٩ ايار ١٩٥٨ نوري السعيد لتأليف اول وزارة للاتحاد . وقد اختار السعيد زملاءه من ستة اشخاص يمثـل نصفهم الشطر العراقي ويمثل النصف الاخر الشطر الاردني . واصبح لرئيس الوزراء الاتحادي نائبا من الاردن .

وبعد نشوب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق اصدر رئيس الوزراء العراقي والقائد العام للقوات المسلحة بياناً في ١٦ تموز اعلن فيه انسحاب الجمهورية العراقية من الاتحاد. ومما جاء في البيان « ان الاتحاد بين العراق والاردن ، على الصورة التي تم بها ... لم يكن اتحاداً حقيقياً يستهدف مصلحة الشعب في القطرين ، وانما كان لتدعيم النظام الملـكي الفاسد ، ولتمزيق وحدة الصف العربـي المتحرر ، ولتحقيق مصالح زمرة من الحاكمين الذين لم يأتوا الحكم عن طريق الشعب ، ولم يعملوا على تحقيق امانيه ... » وقد عد البيان جميع الاجراءات والتشريعات التي تمت بموجب الاتحاد باطلة وملغية ، وان الحكومة العراقية تعتبر نفسها في حل من جميع الالتزامات المالية ، والعسكرية ، وغيرها مما فرض على العراق نتيجة لقيام هذا الاتحاد .

- **ميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣ :**

بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، ظهرت محاولات لضم بعض الاقطار العربية اليها . وكانت المملـكة اليمنية المتوكلية في مقدمة الاقطار التي استفادت من ميثاق الوحدة الذي ينص على السماح بانضمام اقطار عربية الى الجمهورية العربية المتحدة . اذ وصل القاهرة في اذار ١٩٥٨ وفد يمني كبير برئاسة ولي عهد اليمن الامام البدر مفوضاً من قبل والده الامام أحمد لبحث قواعد الاتحاد وتوقيعه . وقد وقع ميثاق اتحاد جديد بأسم الدول العربية المتحدة وبمقتضاه احتفظت كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم فيها . وتقرر ان يكون لمواطن الاتحاد حق العمل وتولي الوظائف العامة في البلاد المتحدة دون تفرقة وفي حدود القانون . وكذلك نص دستور الاتحاد على ان تتبع الدول سياسة خارجية موحدة . اما التمثيل السياسي والقنصلي فتقرر ان تتولاه هيئة واحدة ويكون لـكل دولة في الاتحاد وزير يمثل دولته وتكون له صفة الوزراء المحليين . وفي سنة ١٩٥٩ انتهز ولي العهد البدر فرصة غياب والده في ايطاليا للعلاج فأدخل بعض الاصلاحات الا ان الامام لم يرض عنها بعد عودته فألغاها وازداد الضغط الشعبـي ضده . فأنسحب من الاتحاد بعد اعلان القرارات الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة .

وعلى اثر اندلاع ثورة ايلول ١٩٦٢ توثقت العلاقات بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة وعقدت بينهما معاهدة اخذت بموجبها الجمهورية العربية المتحدة على عاتقها مساندة اليمن عسكريا واقتصادياً وسياسياً خاصة بعد محاولات القوى المضادة التسلل داخل اليمن واعادة نظام الامامة الى الحكم. وكان لدعم الجمهورية العربية المتحدة اثر اثر كبير في استمرار النظام الجمهوري في اليمن .

لقد وافق حزب البعث العربـي الاشتراكي بعد اعلان قيام الوحدة بين مصر وسوريا على حل تنظيماته . لـكن الخلافات بين الحزب وعبد الناصر سرعان ماطغت على السطح نتيجة للممارسات الخاطئة التي بدا يسير عليها المسؤولون في الجمهورية العربية المتحدة . لذلك اضطر الحزب الى الانسحاب من السلطة بعد ان فشلت محاولاته في تصحيح مسار دولة الوحدة في الاتجاه الصائب . وفي المؤتمر القومي الرابع المنعقد في ١٩٦٠ . حذر الحزب من اخطار تلك الممارسات على مستقبل الدولة الجديدة . ويبدو ان القوى الرجعية في سوريا استطاعت بدعم من القوى الاستعمارية استغلال الاخطاء التي وقعت في هذه التجربة الوحدوية . فأقدمت على ضرب الوحدة وتحقيق انفصال سوريا عن مصر في ٢٨ أيلول ١٩٦١ وقد تعاونت الحكومة الانفصالية التي تشكلت في سوريا مع عبد الـكريم قاسم الذي انحرف بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق عن مسارها التقدمي . فعاد حزب البعث العربـي الاشتراكي ليقف الى جانب الرئيس جمال عبد الناصر ، بالرغم من الخلافات بينهما . ثم تمكن الحزب عبر نضال طويل وشاق في كلا القطرين العراقي والسوري من قيادة ثورتي ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق و ٨ اذار ١٩٦٣ في سوريا [illegible] تهيأت الظروف ثانية للتقارب بين قيادة البعث والقيادة الناصرية من اجل [illegible] ثلاثية تضم سوريا ومصر والعراق .

وخلال الفترة مابين ١٤ و١٧ نيسان ١٩٦٣ جرت في القاهرة مباحثات بين وفود سورية ومصرية وعراقية انتهت بأعلان قيام اتحاد ثلاثي عرف بميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣. وقد اكد البيان على ان الوحدة ثورة لانها شعبية وتقدمية وحضارية ولانها مرتبطة ارتباطا عميقا بقضية فلسطين وان على القيادة الجديدة ان تضع تدريجيا تنظيماً سياسياً موحداً. واتفق اعضاء الوفود على ان الوحدة الجديدة اتحادية وليست اندماجية وان هناك مجلسين احدهما بنسبة عدد السكان في كل قطروالثاني يتكون من عدد متساومن الاعضاء في كل قطر. وينتخب رئيس الدولة من مجلس الامة ويكون له ثلاث نواب واحد من كل قطر. وثمة مجالس تشريعية ووزراء ورؤساء لـكل قطر الى جانب الوزارة الاتحادية ومجلس الامة الاتحادي ورئيس الدولة الاتحادي.

لقد ادى الصراع على السلطة في سوريا وانشغال العراق في قمع تمرد الجيب العميل في شمال القطر، والخلاف المتفاقم الذي نشب بين الرئيس عبدالناصروالمسؤولين السوريين الى فشل هذه المحاولة الوحدوية. واعلن الرئيس عبدالناصر الغاءه الاتفاق من طرف واحد، ثم جاءت ردة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ السوداء في العراق لتقضي على اخر ثمرة من هذا الميثاق وهي الوحدة العسكرية بين العراق وسوريا.

وطوال الفترة من ١٩٦٣ وحتى الوقت الحاضر جرت محاولات اتحادية جديدة، الا ان هذه المحاولات لم تتحقق لعدم جديتها، ولتأكيدها على الجانب الشكلي من الوحدة، ولابتعادها عن طموح الجماهير العربية صاحبة المصلحة الحقيقية في الوحدة. نذكر في هذه المحاولات، اعلان قيام الاتحاد الثلاثي بين مصر وسوريا وليبيا في نيسان ١٩٧١ واعلان الوحدة بين ليبيا وتونس في كانون الثاني ١٩٧٤ وعقد ميثاق اتحادي بين ليبيا والمغرب في آب ١٩٨٤.

مجلس التعاون لدول الخليج العربية :

اشرنا فيما سبق الى القرار البريطاني في كانون الثاني ١٩٦٨ والمتعلق بالانسحاب من منطقة شرق السويس والخليج العربي في فترة اقصاها نهاية سنة ١٩٧١. ويذهب بعض المؤرخين الى ان فكرة الاتحاد والتعاون بين امارات الخليج العربي مرتبطة بالقرار البريطاني آنف الذكر، ولـكن الوقائع التاريخية تشير الى ان فكرة الاتحاد تعود الى ابعد من ذلك، ويمكن ردها الى سنة ١٩٣٥ حين جرى حوار حول انشاء اتحاد بين الامارات الا ان المشروع لم يتخذ شكلاً جدياً لان الامارات كانت تعتمد على بريطانيا. وقد تجددت فكرة الاتحـاد في الاربعينات بعد ظهور النفط فـي كل من الـكويت وقطـر والبحرين، وحاولت بريطانيا تشجيع الفكرة واتخذت سنة ١٩٥٢ قراراً بأقامة مجلس استشاري لامارات الساحل العماني تحت اشرافها.

لقد تأثرت منطقة الخليج العربـي بالمد القومي الذي غمر الوطن العربـي في الخمسينات وخلال العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ بادرت السعودية والـكويت الى فرض حظر النفط ضد بريطانيا وفرنسا. ويشير عبدالله بشارة الامين العام لمجلس التعاون امام المنتدى الفكري بالرياض الذي عقد للفترة من ٢٩ –٣٠ نيسان ١٩٨٥ الى ان هذا الحدث هو ابرز ترابط سياسي جدي بين امارات الخليج العربـي ودوله من جهة وبقية الاقطار العربية من جهة اخرى. ويقول ان تجربة الوحدة المصرية – السورية سنة ١٩٥٨ غرست مفهوم الوحدة في المنطقة واهميتها واعطت شرعية للرواد الذين نادوا بوحدة المنطقة سواء كان هولاء الرواد من اصحاب القرار اومن ارباب الاعمال.

وخلال مؤتمر القمة العربـي المنعقد في القاهرة في كانون الثاني ١٩٦٤ جرى الحديث عن ضرورة تحقيق نوع من الاتحاد بين امارات الخليج العربـي وانشاء صندوق عربـي للتنمية يأخذ على عاتقه تطوير المنطقة. الا ان بريطانيا عارضت خطط الجامعة العربية وحالت دون تحقيقها وفي الوقت نفسه حثت الامارات على عقد اجتماع في دبـي في ايار ١٩٦٥ للقيام برسم شيء من التنسيق بينها وكانت الغاية بحث توحيد النقد في منطقة الخليج العربي وفي كانون الثاني ١٩٦٨ بادرت الـكويت الى دعوة الامارات العربية في الخليج الـى التعاون في المجال السياسي، وقاد الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير خارجيتها حملة لدفع المساعي نحو الاتحاد التساعي الذي يضم الامارات وقطر والبحرين. لـكن ايران لعبت دوراً سيئاً في ابعاد المشروع عن التحقيق. وفي ١٨ شباط ١٩٦٨ صدر اعلان من حاكمي دبـي وابوظبـي بأقامة اتحاد فيدرالي بينهما وينفتح الانضمام اليه امام الامارات الاخرى. وعلى اثر الدعوة التي وجهها كل من حاكمي ابوظبـي ودبـي الى بقية حكام الامارات انعقد في دبـي اجتماعاً في الفترة من ٢٥–٢٧ شباط ١٩٦٨ واسفر عن اعلان اتفاقية دبـي التي نصت على انشاء اتحاد يكون الغرض منه توثيق الصلات بين الامارات الاعضاء وتقوية التعاون بينها في كل المجالات. الا ان المشروع الاتحادي هذا سرعان ماخفـق [illegible] الستار عليه لعوامل عديدة ابرزها الخلاف الذي احتدم بين الحكام حول الشكل للاتحاد واختيار العاصمة. كما ان الاطماع الايرانية في البحرين كانت قائمة

اثناء المحادثات في الدورات الاربع التي عقدها الحكام خلال الفترة من شباط ١٩٦٨ حتى ٢٥ تشرين الاول ١٩٦٩ .

وبعد اعلان استقلال البحرين وقطر وقيام اتحاد الامارات العربية سنة ١٩٧١ ظهرت فكرة توطيد اواصر العمل المشترك بين اقطار الخليج العربي مرة اخرى . وليس من شك في ان قرار انسحاب بريطانيا من المنطقة كان له دور في ظهور الفكرة ثانية ، الا ان الاتحاد ، استند على ذراع قوي من الشرعية المتأصلة في الادراك بحتمية الوحدة كان في الامارات اجماع على ضرورة قيام الاتحاد خاصة بعد حصول سلطنة عمان على الاستقلال سنة ١٩٧١ وانضمامها الى الامم المتحدة وبذلك اكتملت واتضحت صورة المنطقة سياسياً بحيث اصبحت تضم ست دولة مستقلة .

وخلال سنتي ١٩٧٨ — ١٩٧٩ راقبت حكومات الخليج العربي التطورات الجديدة الناجمة عن سقوط نظام الشاه في ايران بقلق شديد خاصة بعد ان اعلن النظام الجديد ان اقطار الخليج العربي تمثل اهدافاً محددة في برنامجه التوسعي العدواني العنصري . وقد اتضح ذلك من خلال تصريحات رسمية ادلى بها قادة النظام الجديد ، والتي كانت تهدد سيادة الاقطار العربية في منطقة الخليج العربي وتعدها اساساً جزءاً من الامبراطورية الفارسية القديمة . واصبح واضحا لدى الاقطار الخليجية ان الحكومة الايرانية الجديدة عازمة عزماً اكيداً على اضعاف المنطقة واجتياحها . ورغم وجود اختلافات بين اقطار زعماء الاقطار الخليجية في كيفية تفسير التهديدات الايرانية الا انهم ادركوا جميعا ان المجتمع في الخليج العربي سيتأثر فعلاً وبصورة سلبية بما يحدث في ايران .

وسرعان مازداد الشعور العام بضرورة التوصل الى صيغة مشتركة للعمل العربي بين الكويت والسعودية من جهة والبحرين وقطر ودولة الامارات وسلطنة عمان من جهة اخرى بعد اندلاع الحرب العراقية — الايرانية ويقول عبد الله بشارة ان الرسالة الواضحة من هذه الحرب كانت تقول ان على اقطار الخليج العربي ان تفكر وتتصرف لان هذه الحرب هي حرب لتغيير الوضع السائد status quo سياسياً وجغرافياً واجتماعياً وهو أمر، بالنسبة الى اقطار الخليج العربي ، يرقى الى مصاف الطوفان ، بنتائجه على التركيبة الاجتماعية والسياسية والجغرافية للمنطقة . وهكذا كانت الضرورات الامنية واحتمالات تعرض الكيانات الخليجية ، كما يقول الدكتور محمود علي الداؤد ، الى هزات او مؤامرات

او حتى انقلابات من الداخل بمخططات ايرانية هي التي أملت (بالدرجة الاولى) صيغة العمل العربي المشترك الجديدة في المنطقة .

ويضيف عبد الله بشارة الى ذلك اسباباً اخرى لقيام مجلس التعاون منها التغيرات الجذرية في العلاقات الاقتصادية العالمية التي نجمت عن انتقال السيادة النفطية من الشركات ودول الاستهلاك الكبرى الى المنتجين والتي اكسبت في السبعينات . [illegible] حاءت هذه التغييرات بحقيقة ان من يملك شيئاً نادراً يحتاج له الجميع لايمكن المحافظة عليه بوسائل تقليدية . وقد كان من نتائج هذه التغييرات بروز الخليج كمنطقة تتبع مايحتاجه الاخرون ، لذلك لابد لهؤلاء ان يأخذوا في الحساب حاجتها وان يقروا بشرعية همومها ومشاكلها . وهذا يتطلب ضرورة وجود نوع من الترابط العضوي بين اقطار الخليج يقوي ظهرها ويشد عودها ، خاصة وان معركتها واحدة ، ومخاوفها واحدة .

كما ان التغييرات العربية ، وابرزها التداعي والتآكل العربي وسقوط وحدة الامن العربي والحرب الاهلية اللبنانية واستقطابها لقوى عربية كثيرة ، ومعاهدة كامب ديفيد ونتائجها ، ومشكلة الصحراء العربية ، واسقاط الثوابت التي تنال الاجماع العربي مثل وقوف نظامي سوريا وليبيا مع ايران ضد القطر العراقي ، كلها عوامل ادت الى قناعة في اقطار الخليج العربي بأن الوقت يستدعي توافر ذراع جماعي يكون عامل استقرار في المنطقة .

وهكذا تأسس مجلس التعاون لدول الخليج العربية في ٢٥ ايار ١٩٨١ بمشاركة كل المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة والبحرين وسلطنة عمان وقطر . وفي مدينة ابو ظبي تم التوقيع على وثيقة قيام مجلس التعاون . كما اقرت ورقة عمل تحدد العمل الخليجي المشترك وانشاء سبع لجان وزارية حددت اختصاصاتها . وصدر بيان ختامي يوم ٢٦ ايار ١٩٨١ يحدد الشكل الخارجي للمجلس .

لقد أشارت مقدمة النظام الأساسي ان مجلس التعاون جاء ادراكاً من أقطار الخليج العربي لما يرتبط بينها من علاقات خاصة وسمات مشتركة وانظمة متشابهة اساسها العقيدة الاسلامية ، وايماناً بالمصير المشترك ووحدة الهدف التي تجمع (بينها) ورغبة في تحقيق التنسيق والتكامل والترابط من جميع الميادين ، واقتناعاً بأن ذلك انما يخدم الاهداف السامية للامة العربية ويأتي تمشياً مع ميثاق جامعة الدول العربية الداعي الى تحقيق تقارب اوثق وروابط اقوى .

اما اهداف مجلس التعاون فقد تمثلت بتحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الاعضاء في جميع الميادين وصولاً الى وحدتها ، وكذلك تعميق وتوثيق الروابط والصلات واوجه التعاون القائمة بينها في مختلف المجالات ووضع انظمة متماثلة في الشؤون المالية والاقتصادية والتعليمية والثقافية والعلمية والاعلامية والتشريعية والادارية .

هذا فضلاً عن دفع عجلة التقدم العلمي والتقني في مجالات التعد[illegible] والصناعة والزراعة والثروات المائية والحيوانية وانشاء مراكز بحوث علمية واقامة م[illegible]يع مشتركة وتشجيع تعاون القطاع الخاص .

لقد اختار زعماء مجلس التعاون ميكانيكية سهلة وبسيطة ، تؤمن سير العمل ، فعلى رأس الهرم الدستوري يجلس الرؤساء حيث يلتقون كل سنة لمراجعة الاوضاع سياسياً وامنياً واقتصادياً ، ويتدارسون المسيرة ويجرون عملية تقويمية لها . ويلعب المجلس الوزاري دور الحكومة حيث يلتقي كل ثلاثة اشهر ليقر توصيات اللجان الوزارية ، ويستمع الى تقارير الامانة العامة عن سير العمل ومشاكله ، ويعطي تعليماته لتجاوز المشاكل . وفي القاعدة لجان وزارية كثيرة ، انبثقت منها لجان فنية تجتمع باستمرار وبشكل متواصل لتقرب القوانين وتوحد الخدمات وتعد استراتيجية صناعية وزراعية موحدة . اما الامانة العامة فقد اعطاها النظام الاساسي حق المتابعة والاشراف على تنفيذ القرارات وتقديم المقترحات .

عقدت القمة الثانية لمجلس التعاون بالرياض في تشرين الثاني ١٩٨١ . وفي البيان الختامي جاءت الاشارة لاول مرة الى التعاون العسكري وذلك « لمواجهة الاخطار المحيطة بالمنطقة وزيادة الاتصالات بين دول المجلس في هذا المجال » . وبعد سنة من اطلاق حرية العمل العسكري المشترك ، اكد البيان الختامي لقمة البحرين والمنعقدة في تشرين الثاني ١٩٨٢ بان المجلس أقر توصيات وزراء الدفاع الهادفة الى بناء القوة الذاتية للدول الاعضاء والتنسيق بينها بما يحقق اعتماد دول المنطقة على نفسها من حماية امنها والحفاظ على استقرارها . وبين ايلول ١٩٨٣ وتشرين الاول ١٩٨٤ جرت مناورات عسكرية مشتركة سميت بـ (درع الجزيرة) .

ان من ابرز الانجازات التي حققها مجلس التعاون التوصل الى الاتفاقية الاقتصادية الموحدة التي وقعها زعماء المجلس في اجتماع الرياض في ١١ تشرين الثاني ١٩٨١ . وفي

الدورة الثالثة للمجلس الاعلى التي انعقدت في المنامة عاصمة البحرين خلال الفترة من ٩-١١ تشرين الثاني ١٩٨٢ تقررت الخطوات التنفيذية للاتفاقية الاقتصادية الموحدة اعتباراً من الاول من اذار ١٩٨٣ . ومن هذه الخطوات اضفاء صفة وسائل النقل الوطنية على وسائط النقل العائدة لمواطني اي من دول المجلس ومنح التسهيلات اللازمة لمرور البضائع والسماح لاصحاب المهن بفتح المكاتب الهندسية والعيادات الطبية والاستشارات الادارية ومنح تسهيلات للبواخر والسفن والقوارب المملوكة لاي من الدول الاعضاء ومعاملتها كمثيلاتها الوطنية واعفاء المنتجات الزراعية والصناعية ومنتجات الثروات الطبيعية من الرسوم الكمركية .

لقد اكد الامين العام للمجلس في الذكرى السنوية لتأسيس المجلس انه بالرغم من كون الميثاق لم يحدد النظرية السياسية لمجلس التعاون ، الا ان هناك اجماعاً للتوصل الى صيغة كونفدرالية . وتستند هذه الصيغة الى كون كل قطر يرغب في الاحتفاظ بشخصيته الخاصة وسلطاته التشريعية واستقلاله المتميز . وحدد الامين العام السبل والوسائل التي يتبناها المجلس للوصول الى هذا الهدف واهمها التنسيق السياسي والاندماج الاقتصادي والتعاون الدفاعي والتعاون الامني والتقريب الاجتماعي والثقافي والتعليمي .

لقد اقترن تعزيز التعاون بين الدول الاعضاء بازدياد النشاط الدبلوماسي من اجل توجيه الاهتمام بمشاكل المنطقة . وعندما بدأت ايران بضرب البواخر في الخليج العربي اتخذت دول المجلس اجراءات احترازية محلية . كما لجأت الى مجلس الامن الذي اصدر قراره رقم (٥٥٢) يوم اول حزيران ١٩٨٤ مؤيداً موقف دول المجلس .

وحرص مجلس التعاون على تأكيد رفضه وغضبه ازاء استمرار الحرب العراقية - الايرانية التي دخلت عامها السابع .. ففي محاضرة القاها الامين العام للمجلس عبد الله يعقوب بشارة في واشنطن في ايلول ١٩٨٦ قال « انه ليس بالامكان التقليل من اهمية تعاطف عام من قبل المجتمع الدولي ضد استمرار الحرب واضاف بان ثمة حوارين مجلس التعاون وبقية دول العالم ، بما فيها العواصم الرئيسة . لوضع حد لهذه الحرب لما لها من اثار سلبية على امن الخليج العربي واستقراره . وختم محاضرته بالقول ان دول المجلس مصممة على مساندة القطر العراقي ، وهي قادرة على الدفاع عن سلامة اراضيها بصورة جماعية » .

ان انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية كان خطوة مهمة على طريق العمل العربي المشترك . وقد اعلن العراق ، بالرغم من تعرضه لعدوان ايراني لايستهدف ارضه فحسب بل ينوي اجتياح منطقة الخليج العربي » عن مساندته لقيام المجلس وعد تأسيسه خطوة ايجابية . ويتطلب هذا الموقف من المجلس ان يدرك بان التعاون والتنسيق المشترك في اطار مجلس التعاون هو جزء من العمل العربي المشترك وليس بديلاً عنه فالعدوان الايراني يستهدف امن وسيادة الامة العربية باسرها وحماية الهوية القومية لمنطقة الخليج العربي مسؤولية كل العرب في اطار معاهدة الدفاع المشترك . كما ان من الضروري التأكيد على خطورة المخططات الصهيونية تجاه امن الخليج العربي ومن هذا المنطلق كما يرى الدكتور محمود علي الداؤد ، فان من الضروري جداً اتخاذ الاجراءات الكفيلة للحد من الهجرة الاجنبية الى اقطار الخليج العربي وماتحمله هذه الهجرة من تهديد خطير لوجود دول مجلس التعاون وسيادتها وامنها واستقرارها . ومن المهم كذلك الانتباه الى ان المطامع الاجنبية تبذل جهودها وبشكل متواصل لاضعاف القرار السياسي لمراكز الحكم في دول مجلس التعاون بوسائل عديدة ابرزها المحافظة على جيوب ضاغطة لها امكانات خرق الادارات والامن القومي والاقتصاد الوطني ، لذلك لابد من البدء بتصفية هذه البؤر الاجنبية في كافة الاطر وبذلك يصبح مجلس التعاون عامل قوة حقيقية للامة العربية كلها ..